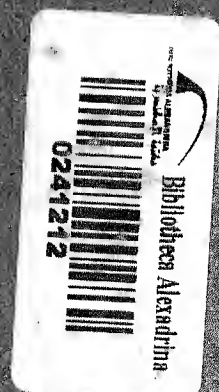


كتاب
النفس والروح
في حقيقتهما



مطبوعات معهد الابحاث الاسلاميه ، اسلام آباد باكستان



كِتَاب النَّفْس وَالرَّوْح و شرح قواهما

تأليف

الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي

(المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . ش .)



تحقيق

(الدكتور) محمد صغير حسن المعصومي

أستاذ بالمعهد

Pages 1—192 printed at the Industries Printing Press, Karachi.
Pages 193—220 and ۲۱۱ printed at the Ripon Printing Press Ltd.,
Bull Road, Lahore.
Published by the Islamic Research Institute, Islamabad, Pakistan

مقدمه

رأى معهد الابحاث الاسلاميه في نطاق وظائفه الثقافيه العلميه التي تهدف اول ما تهدف الى تفتح العقل الاسلامي على نفسه وعلى غيره ، والى تربيه جيل اسلامي يعرف ما في ماضيه من قيم ، ويعرف ما في حاضره من عقبات ومشكلات ، رأى ان ينشر المخطوطات التي لم تنشر من التراث الاسلامي العربي القديم ، وقد استطاع ان يبدأ بنشر مخطوطات قد يكون عددها قليلا ، غير أن قلة عددها لا تؤثر في اهميتها التاريخيه والدينيه والعلميه .

ثم رأى المعهد استكمالا لهذا الاقتراح ان يركز اهتمامه ببعض الكتب والدراسات التحقيقيه التي نشرت من قبل ، وينقلها الى الاردويه والانكليزيه ، وينتقى منها ما كان يتصل بالحياه الاسلاميه في كفاحه المستمر في سبيل الرقي والحرية ، والثوره على الظلم ، والدفاع عن الحق والدين ، ونشر الرسائل والمجلات و نتائج الافكار الدينيه السمحه ، وطبعها بعد تحقيقها تحقيقا جديدا حتى يتيسر تناوله للجميع .

وقد ابتداء المعهد هذه السلسله بكتاب نادر في علم الاخلاق للعلامه المفسر الشهير ، والمتكلم الكبير ، الامام فخر الدين الرازي (المتوفى سنه ٦٠٦ هـ) - ان هذا الكتاب مذكور في الفهارس باسم "كتاب النفس والروح وشرح قواهما" ، والآن ينشر لأول مره عن نسخه بودليانا الوحيدة الموجوده باكسفورد - ولم نعث على نسخه اخرى لهذا الكتاب الى اليوم .

ولدى المعهد مشروعات اخرى لكتب ودراسات تحليليه وتحقيقيه

سوف ينشرها و يعرضها بأسعار رمزية - والرجاء ان يكون "كتاب
النفس و الروح و شرح قواهما"، للعلامة الرازى، بشيرا عن هذا
المشروع و باكورة من ثماره، و الترجمة الانكليزية لهذا الكتاب سوف
تنشر مع التعليقات المفيدة التى اشير اليها فى النص العربى بأرقام .

فله الحمد ، و له الفضل و المنة ، و عليه التكلان مادام الملوان .

(الدكتور) فضل الرحمن

مدير

معهد الابحاث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

الف

تَهْيِيد

الامام فخر الدين الرازي

نشأ الامام فخر الدين ابو عبد الله (ابو المعالي) محمد بن عمر بن الحسين الرازي (١) (المتوفى سنة ٥٠٦ هـ) الشهير بابن خطيب الري في وسط القرن السادس في بيت الشرف والعلم والفضل في الري، قرأ الكتب المتداولة في الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية على والده ضياء الدين عمر خطيب الري الى ان وصل الى جوار الله تعالى، ثم قصد الكمال السمعاني (٢) وقرأ عليه مدة. ثم عاد الى الري وأتى المجد الجيلي (٣) وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة، وقد حفظ "الشامل" لامام الحرمين (٤) في علم الكلام، وتمهر في العلوم، وقد فتح الله عليه من العلوم ما تفوق به على اهل زمانه وفضل به اضرابه وامثاله، وانتشر ذكره وذاع صيته وعظم قدره - جرى له مناظرات مع اهل الاعتزال في خوارزم وفيا وراء النهر وخراسان، ومع الكرامية والباطنية في الهرة والري، وكان ينال من الكرامية وينالون منه شيئا من التكفير.

انه لازم الاسفار، ونفق على الملوك، وكان في أول عهده ضيق اليد، لم يكن له ثروة ونعمة، (٥) ثم اتصل بالسلطان علاء الدين محمد بن تكتش (٥٩٦/١١٩٩ - ٦١٧/١٢٢٠) المعروف بخوارزم شاه، فحظى عنده ونال أسنى المراتب، ولم يبلغ أحد منزلته عنده، وعامل شهاب الدين الغوري صاحب غزنة (تولى على غزنة في ٥٦٩/١١٧٣) في جملة من المال، ثم قصد اليه لاستيفاء حقه منه فبالغ في اكرامه والانععام عليه، وحصل له من جهته مال

ب

طائل، و بنيت له عدة مدارس ، و أثرى و كان له أكثر من الخمسين عبداً ، و كان العلماء يقصدونه من البلاد ، و كان يركب و حوله السيوف المجذبة (٦) ، و له الممالك الكثيرة و المرتبة العالية و المنزلة الرفيعة عند السلاطين، و مناقبه أكثر من ان تعد ، و فضائله لا تحصى .

و قد ذكر المتقدمون ”ان الفخر الرازى كان مجدد هذا القرن (القرن السادس)“، (٧) ، كما قال السيوطى فى ارجوزته :

و السادس الفخر الامام الرازى - و الراعى مثله يوازى

و قد كان الراعى فقيهاً شافعيًا ، فلا يضاهى الرازى الذى كان يضرب بسهم فى علوم كثيرة . و كان واسع الاطلاع - فكان اظهر ائمة الاشعرية فى هذا القرن ، و قد غلبت فرقته على غيرهم .

صنف الامام الرازى فى الفقه والحكمة والتفسير و الأدب ما يزيد على مائتى مصنف (٨) ، و كل كتبه ممتعة ، و انتشرت مؤلفاته فى البلاد و قد حظيت بالاقبال عليها اقبالا عظيما ، فان الناس اشتغلوا بها و ضربوا بعرض الحائط الكتب القديمة ، بذ القدماء فى الفقه و علم الاصول و الكلام و الحكمة و رد على ابى على بن سينا الشيخ الرئيس ، و استدرك عليه (٩) ، و كان له فى الوعظ اليد البيضاء ، و كان يعظ باللسانين العربى و الفارسى - و كان يلحقه الوجد فى حال الوعظ و يكثر البكاء - و كان يحضر مجلسه بمدينة هراة اصحاب المذاهب و المقالات ، و يسألونه فيجيب باحسن اجابة ، و رجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية و غيرهم الى مذهب السنة . و كان يلقب بهراة ”شيخ الاسلام“ ، فعظم ذلك على الكرامية و هم كثيرون بهراة ، و كانوا يرمونه بالكبائر (١٠) ، و ينسبون اليه من مستشنعات من الاقوال ، منها انه كان يقول : ”قال محمد التازى“ ، يعنى العربى ، يريد النبى صلى الله عليه وسلم ، و ”قال محمد الرازى“ ، يعنى نفسه -

ج

ومنها انه كان يقرر في مسائل كثيرة مذاهب الخصوم و
شبههم بأتم عبارة ، فاذا جاء الى الاجوبة اقتنع بالاشارة (١١) ، و
أحيانا عدوه من الروافض (١٢).

وقد قال سبط ابن الجوزي (١٣) وكان يرد على ما نسب اليه :
”و كان تلميذه (تلميذ الرازي) الشيخ عبد الحميد الخسرو
شاهي (١٤) رحمه الله . يحكى عنه من الفضائل وكرم الاخلاق وحسن
العشرة واعتناؤه بالملة الاسلامية ما يبطل قول الكرامية ، وكان
صديقنا الخسرو شاهي من اكابر الافاضل ، جامع اسباب الفضائل ،
عاقلا رئيسا ، دينا صالحا ، محسنا متمسكا بالدين ، سالكا طريق السلف
الصالحين . تقلبت به الاحوال تارة بالشرق و تارة بالغرب وتارة
بالكرك ، وتارة بمصر ، وآخر قدومه دمشق في سنة ١٢٥٣ / ١٢٥٥ ،
فتوفي بها ودفن بقاسيون عند باب تربة الملك المعظم عيسى قدس الله
روحه“.

ولا ريب انهم حسدوه لفضيلته العلمية ومنزلته السنية ، فكان
رحمه الله ، يأخذ نفسه بالرياضة والتشف ، وكان له ايراد لا يحل
بها . ومؤلفاته دالة على انه حينما يتحدث عن صاحب الرسالة و
النبوة يظهر اكرامه لصاحبها بقوله (١٥) : ”قال صاحب الشريعة“ ،
”وقال عليه الصلوة والسلام“ . ووصيته التي املاها عند موته
تدل على حسن عقيدته وقوة ايمانه ، فقال (١٦) : ”يقول العبد الراجي
رحمة ربه الوائق . . . وان ديني الاسلام ومتابعة محمد وصحبه و
آله عليه وعليهم السلام ، و ان دأبي هو القرآن العظيم ، و امامي
السنة وعليهما المعول ، وما صنفته من العلوم فمن نظرفيها فاسأله
ان يذكرني اذا انتفع به في صالح دعائه و لا قوة الا بالله عليه
توكلت واليه انيب“ — وكان مع غزارة علمه وتبحره يقول : ”من
التزم بمذهب العجائز ، كان هو الفائز.“

ولما استوطن مدينة هراة وتملك بها ملكا وأولد اولادا ، ولقب
بشيخ الاسلام ، عظم ذلك على الكرامية ، فقبل انهم وضعوا عليه
من سقاء السم فمات ، ففرحوا بموته ، وكانت وفاته يوم الاثنين وكان
عيد الفطر سنة ست وستمائة (١٢٠٩/٦٠٦) ، ودفن آخر النهار
في الجبل المصاقب لقرية مزدا خان ، وأظهر ذلك (١٧) ، والحقيقة
انه دفن في داره وكان يخشى ان يمثل به العامة لما كان يظن به
من الانحلال والخروج عن الدين .

وكانت ولادته في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة
اربع واربعين و قيل ثلاث و اربعين وخمسائة بالرى
(١١٤٩ ، ٤٨/٥٤٣ ، ١٨) .

تصانيفه :

و من اشهر تصانيفه 'محصل افكار المتقدمين و المتأخرين' ،
'حكمة الاشراق' ، و 'اساس التقديس' . و 'لواعب البيئات' ،
'شرح الكليات' . و 'شرح الاشارات' ، و 'المحصل' . و 'مفاتيح
الغيب' ، وهو المعروف 'بالتفسير الكبير' ، قال ابن خلكان : 'جمع فيه
كل غريب وهو كبير جدا ، لكنه لم يكمله ، وصنف الشيخ نجم الدين
احمد بن محمد تكملة له و توفي سنة ٧٢٧/١٣٢٦ ، و قاضى القضاة
شهاب الدين بن خليل الدمشقى كمل ما نقص منه أيضا و توفي سنة
٦٣٩/١٢٤١' ، (١٩) ،

- وقال ابن تيمية في شأنه : 'فيه كل شئ الا التفسير' ، وفي الحقيقة
يشتمل على كل شئ من التفسير ، كما قال النجم الطوفى في كتابه الاكسير
في علم التفسير (٢٠) : 'وما رأيت في التفاسير اجمع لغالب علم التفسير
من القرطبي و من تفسير الامام فخر الدين الا أنه كثير العيوب -
فحدثني شرف الدين النصيبى عن شيخه سراج الدين السرمياحى المغربى
انه صنف كتاب الماخذ في مجلدين بين فيهما ما في تفسير الفخر من الزيف

٥

والبهرج ، وكان ينقم عليه كثيرا ، ويقول يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب اهل السنة والحق على غاية من الوها ، قال الطوفي : ”و لعمري ان هذا دأبه في كتبه الكلامية والحكمية حتى اتهمه بعض الناس ولكنه خلاف ظاهر حاله ، لانه لو كان اختار قولاً او مذهبا ما كان عنده من يخاف منه حتى يستر عنه ، ولعل سببه انه كان يستفرغ اقوالا في تقرير دليل الخصم ، فاذا انتهى الى تقرير دليل نفسه لا يبتى عنده شئ من القوى . ولا شك ان القوى النفسانية تابعة للقوى البدنية -“

وانه لم يؤلف كتابا في الحديث ، ومؤلفاته تدل على انه كان عالما بالحديث ، و قال السبكي في طبقاته (٢١) : ”واعلم ان شيخنا الذهبي ذكر الامام (الفخر الرازي) في كتاب الميزان في الضعفاء وكتبت انا على كتابه حاشية مضمونها انه ليس لذكره في هذا المكان معنى ، ولا يجوز من وجوه عدة : اعلاها انه ثقة ، حبر من احبار الامة ، وأدناها انه لا رواية له ، فذكره في كتب الرواة مجرد فضول وتعصب وتحامل تقشعر منه الجلود“ .

واكثر كتبه لم يطبع الى الآن ، وكثير منها مفقود يمكن ان يوجد في الخزائن القيمة في إيران ومصر وتركيا .

كتابه في علم الاخلاق المسمى بكتاب النفس والروح و شرح قواهما

ومن نوادره القيمة ”كتاب النفس والروح و شرح قواهما“ او كتاب في علم الاخلاق ، عثرت عليه عند إقامتي باكسفر ، انكلترا سنة ١٩٥١ م .

بينما كنت أفحص عن المخطوطات وجدت مجلدا عتيقا تحت رقم هنت ٥٣٤ (Ar. Ms. Hunt 534) في خزانة بودليانا ، مشتملا على كتب عديدة ، اولها كتاب النجاة لابن سينا الشيخ الرئيس ، و كتب ناسخه :

و

”فرغ من نسخه نصر بن منصور... عشية ليلة الثلاثاء
لليلتين بقيتا من مستهل ذي الحجة سنة ست وستين واربعمائة
(الورقة ٢٥٦ ظ)“.

والكتاب الثانى فى المجلد وخطه غير خط الكتاب الاول ، (من
الورقة ال ٢٥٧ و- الورقة ال ٢٩٥ ظ) هو كتاب النفس والروح وشرح
قواها ، وعلى الورقة الاولى من هذا المجلد مكتوب بازاء كتاب النفس
والروح : ”وهولل امام الرازى“ ، و عند ما قرأت بعض موضوعاته
تيقنت انه من متأثر الامام فخرالدين الرازى ، الامام الماهر فى
علوم العقل وعلوم النقل ، ومباحث الكتاب وعباراته ناطقة بأنها
توافق العبارات التى قد صدرت من يراع الامام ، وقد عرفت
مؤلفات لاهل الحديث والسنة باسم ”كتاب النفس والروح“ ،
فهناك كتاب النفس والروح للحافظ الشهير ابى عبدالله بن منده (٢٢) ،
وكتب ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١/١٢٩١-١٣٥٠) كتابين
فى الروح ، فانه يذكر فى كتاب الروح المطبوع (٢٣) ”وعلى هذا
اكثر من مائة دليل ، قد ذكرناها فى كتابنا الكبير فى معرفة
الروح والنفس“ . فصرت مولعا بتحقيق كتاب الرازى وحصلت
تساويده .

وعندما التحقت بمعهد الابحاث الاسلاميه بكراتشى (باسلام آباد حالا)
اردت ان اطالع هذه النادرة ، و بعد الفحص والتفتيش عن نسخها
الاخري ظهر لى انه لا يمكن ان اجد نسخة اخرى منها ، والكتب الموجودة
فى النفس فى فاتيكان (Vatican, Rome) ، روما ، و دار الكتب
المصريه المنسوبه فى الفهارس (٢٤) الى الامام الرازى هى غير النص
الذى هو موضوع هذا المقال .

وانما تقدمت فى تحقيق هذا النص معتمدا على نسخة واحدة ،

٥

لأنه من النوادر التي بقيت لنا و يوضح لنا كثيرا من شأن هذا الامام الجليل ، وهو مجدد المائة السادسة ، ولأنه يرجى ان يمكن لأحد من الاعلام ان يرشد القراء الى نسخة اخرى جيدة او احسن منها. و ورد ذكر هذا النص في كشف الظنون تحت عنوان ”كتاب النفس و الروح“ ، و يخبرنا الحاجي خليفة ان لهذا النص تلخيصا لمحمد العلائي ، و عبارته تدل على ان العلائي رتب الكتاب على اقسام (٢٥) ، و الصحيح ان الامام الرازي نفسه رتب الكتاب على قسمين ، ولكنه يقول : ”وهذا الكتاب مرتب على اقسام : القسم الاول في الاصول السلكية لهذا العلم“.

اما المآخذ الاخرى فلا تذكر هذا النص ولا ترشد اليه ، و لكن القفطي ، و هو اقرب المترجمين الى الامام زمانا ، يذكر كتابا للامام في علم الاخلاق ، وليس له ذكر في الفهارس ، ولم اعثر الى هذا اليوم على نسخة منه ،

و العجب ان المستشرق الشهير بروكلمان (٢٦) لا يذكر هذا الكتاب تحت ترجمة الامام ، و انما أشار الى رسالته في النفس الموجودة بالاسكندرية تحت ”الفنون“ ، رقمها ١٥٥ ، الرسالة الخامسة من المجموع ، و الى رسالة اخرى تسمى ”برسالة في النفس و تحقيق زيارة القبور“ ، الموجودة بالفاتح باستانبول ، تحت رقم ٢٦٥ ، الرسالة الرابعة في المجموعة ، و هما غير النص الذي نبهت عنه ،

الانتقاد على كتب الامام الرازي

أما محتويات هذا الكتاب فانها ترشدنا الى أن الذين اخذوا عليه من المعاصرين و من جاؤا من العلماء بعده انما نقدوا عليه لشيء لم يشبهوه له ، و لم يحققوا ما نسبوا اليه ، فالامام الشهير ابن تيمية رح استفاد من خزائن علمه ، و استعمل حججه البينة في مصنفاته ، و لكنه

ج

أحيانا يأخذ عليه ، ويقول ، مثلاً (٢٧) ”و مقصودنا بحكاية هذا الكلام ان يعلم ان ما ذكره الرازى في هذه المسألة قد استوعب فيه حجج النفاة وبين فسادها ، وأما الحجة التى احتج بها فهى اضعف من غيرها ، كما سيأتى بيانه“.

ويظهر بادنى تأمل ان الامام ابن تيمية ما أنصفه في هذا النقذ فانه ذهل عن هذه الحقيقة ان الامام الرازى حينما اوضح فساد ”حجج النفاة“ ، فانه لا يحتاج الى حجة قوية لاثبات دعواه ، فلا يضره قول الامام ابن تيمية : ”أما الحجة التى احتج بها فهى اضعف من غيرها“.

وكذا صاحبه الشيخ ابن القيم أحيانا يشير اليه و ينقده لئلا لا توجد في كتبه . إنه يقول (٢٨) : ”و قد ضبط ابو عبد الله ابن الخطيب (الامام الرازى) مذهب الناس في النفس فقال : ”ما يشير اليه كل انسان بقوله ”انا“ ، إما ان يكون جسما او عرضا ساريا في الجسم ، او لا جسما و لا عرضا ساريا فيه ، أما القسم الاول و هو انه جسم ، فذلك الجسم اما ان يكون هذا البدن ، و إما ان يكون جسما مشاركا لهذا البدن ، و إما أن يكون خارجا عنه ، أما القسم الثالث و هو ان نفس الانسان عبارة عن جسم خارج عن هذا البدن ، فهذا لم يقله أحد ، واما القسم الاول و هو ان الانسان عبارة عن هذا البدن و الهيكل المخصوص ، فهو قول جمهور الخلق ، و هو المختار عند اكثر المتكلمين .“

”قلت : هو قول جمهور الخلق الذين عرف الرازى اقوالهم من اهل البدع وغيرهم من المضلين ، و أما اقوال الصحابة و التابعين و اهل الحديث فلم يكن له بها شعور البتة ، و لا اعتقد ان لهم في ذلك قولاً على عادته في حكاية المذاهب الباطلة في المسألة ، و المذهب الحق . الذى دل عليه القرآن و السنة ، و اقوال الصحابة لم يعرفه ولم

ط

يذكره ، وهذا الذي نسبته الى جمهور الخلق من ان الانسان هو هذا
البدن المخصوص فقط ، وليس وراءه شئ هو من أبطل الأقوال في
المسألة ، بل هو أبطل من قول ابن سينا واتباعه ، بل الذي عليه
جمهور العقلاء ان الانسان هو البدن والروح معا ، وقد يطلق اسمه
على احدهما دون الآخر بقرينة .“

وأما ما ضبطه الامام الرازي في تضائيفه فهو غير ما نسبته اليه
ابن القيم ، فانه يقول في تفسيره (٢٩) : ” فنقول انهم قالوا ان الانسان
لا يجوز ان يكون عبارة عن هذا الهيكل المحسوس “ — و يقول في
الرسالة الكمالية (٣٠) : ” پس لازم آيد كه ذات ما چيزی باشد مغاير
اجسام و اغراض جسمانی پس لابد ذات جوهری مجرد باشد “ —

موضوع الكتاب و مزاياه :

وقد كتب الامام الرازي فصلين طويلين في هذا الكتاب يفصل
فيهما ان النفس ” شئ “ غير هذه البنية الظاهرة المحسوسة ، وأن
النفس شئ غير الجسد ، فقال (٣١) :

” الفصل الرابع في البحث عن ماهية جوهر النفس ، اعلم أن
الذي يشير اليه كل احد بقوله : ” انا جئت و انا انصرف ، و انا سمعت ،
و انا فهمت ، و ، انا فعلت ، شئ “ غير هذه البنية الظاهرة المحسوسة ،
و يدل عليه المعقول والمنقول ،

اما المعقول فمن وجوه : الأول ان نقول النفس و احدة ، و متى
كانت واحدة وجب ان تكون مغايرة لهذا البدن ولكل واحد من
اجزائه .“

وقال (٣٢) : ” الفصل الخامس في الدلائل المستفادة من الكتاب
الالهى في اثبات ان النفس شئ غير الجسد الخ .“

ي

ولهذا الكتاب مزية أخرى تتميزها عن سائر المصنفات في علم الاخلاق بانه يبنى على اصول الاسلام أولا ، انما يشير الى افكار أرسطاطاليس و جالينوس في المباحث التي تتعلق بالطبيعات و علم التشريح و النفسيات ، لانه يبحث في المسائل بطريقة علمية و حجج مقنعة ، فالنظر عنده لا يناقض النقل و يرشد الى ما صح بالنقل والشرع ، ففصل المسائل تحت ظلال القرآن الحكيم ، واقوال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

والكتاب مرتب ، كما سبق ، على قسمين :

قسم يبحث عن الاصول الكلية لعلم الاخلاق ، ويريد ان يكشف عن مرتبة الانسان من مراتب الموجودات — فقسم الموجودات في ثلاثة تقاسيم من حيث الطبيعة والشهوة اولا ومن حيث الوجود والخلق ثانيا ، ومن حيث الكمال والنقصان ثالثا — وجاءت محتويات هذا القسم في اثني عشر فصلا — فانه قد شرح مراتب الارواح البشرية ، و ماهية جوهر النفس ، وقوى النفس ، والذات العقلية والذات الحسية مستدلا بأقوال الحكماء والمتطبيين من اليونانيين وغيرهم مستضيئا من الآيات الكريمة القرآنية والاعبار النبوية على صاحبها الصلوة والسلام ،

والقسم الثاني يشتمل على عشرة فصول ، يبحث عن علاج ما يتعلق بالشهوة والنزوع ، ومباحثه تتعلق بحب المال والجاه ، وعلاج البخل ، والكلام في الرياء و درجات اهل الرياء ، وشرح الطاعات البدنية وما يتعلق من الطاعات بالخلق —

لا غرو أن الامام الرازي استفاد من كتب المتقدمين ، و خصوصا في القسم الثاني من احياء علوم الدين للغزالي رح (٣٣) ، و لكنه أجاد و زاد في بيان العلاج و احتج بحجج قيمة بينها من نفسه واسترشد

يا

اليها بعلوم القرآن وعلوم الاءوائل ، فلذا يتفوق هذا الكتاب على
سائر التصانيف التي جاءت الينا فى علم الاخلاق ،

ونص هذا التراث العلمى فى ايديكم ، و ستطبع ، ان شاء الله
تعالى ، ترجمته الانكليزية والتعليق المفيدة ، التي اشير اليها بأرقام
مثبتة فى النص ،

وانه يجب على ان اشكر لمساعى الدكتور فضل الرحمن ،
مدير معهد الابحاث الاسلامية ، اسلام اباد ، فى نشر هذا النادر
مستقلا عن الترجمة و التعليق ليصل الى ايدي القراء ، فى اسرع
زمان ، كما اسجل له شكرى الخالص لمساعدته على انجاز العمل فى
هذا الكتاب ، فله الفضل وعاطر الشناء .

اسلام آباد (الدكتور) محمد صغير حسن المعصومى
أستاذ بمعهد الابحاث الاسلامية ، ١٣٨٨ هـ . ش . ١٩٦٨ م

تعالیق

(۱) راجع لترجمته ابن خلسكان : وفيات الاعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : ج ۳، ۳۷۹ : خير الدين الزركلي ، الاعلام ۷ : ۲۰۳ ، ابو شامة القدسي : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، قاهره ، ص ۶۸ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ۲ ص ۲۲۴ : السبكي : طبقات الشافعية ج ۵ ص ۳۵ : حاجي خليفة : كشف الظنون ج ۲ ص ۳۹۳ ، ابن حجر : لسان الميزان ج ۴ ص ۲۷ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدولة ص ۲۴ ، ۲۵۴ ، طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ج ۱ ص ۱۵۰ : ابن العماد : شذرات الذهب ج ۵ ص ۲۱ ، القفطي : تاريخ الحكماء ، ليبسك ، ص ۲۹۱ ، ابن الساعي : الجامع المختصر ، بغداد ج ۹ ص ۳۰۷ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، ج ۱۳ ص ۱۹ و ۵۵ ، وخواند مير : حبيب السير ، چاپخانه حيدري ايران ، ج ۲ ص ۳۳۱ : مختصر المعارف الاسلاميه (Shorter Encyclopaedia of Islam) ، تحت "الرازي".

(۲) كمال السمعاني ، وبعضهم كتبوا "السمناني" موضع "السمعاني" ، وخواند مير يقول (ج ۲ ص ۳۳۱) : وقتيکه والد او فوت شد آنکه بسجستان شتافته بيش كمال سجستاني در كمالات نفساني اهتمام كرد .

(۳) المجد الجيلي ، وخواند مير يذكر (نفس المصداق) : "و بعد از مدتی باری باز گشته در سلك تلامذه مجد جلی که از جمله شاگردان غزالی بود انتظام یافت" ،

(۴) هو ابو المعالي عبد الملك الجويني . (۹۴۹-۱۰۲۸/۱۰۸۵-۱۰۸۵) الاصولی الشافعی المشهور - وقد زعم ابن تیمیة ان "ابا عبد الله الرازي غالب مادته..... في مذهب الاشعري على كتب ابي المعالي كالشامل ونحوه (انظر "بيان موافقة صريح العقول لصحيح المنقول بهامش منهاج السنة النبوية" ، ج ۲ ص ۸۱) .

(۵) ابن خلسكان يذكر انه عاد من خوارزم "الى الري و كان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة و كان للطبيب ابتنان و لفخر الدين ابنان ،

بيج .

فمرض الطبيب و ايقن بالموت فتزوج ابنتيه لولدى فخر الدين ، و مات الطبيب فاستولى فخرالدين على جميع امواله ، فمن ثم كانت له النعمة ، وهذه قصة غريبة ، فالقفطى وغيره من المترجمين لم يذكروا هذه القصة ولا السبكي الذى يقول : ”فعاد الى الرى“ . و يظهر من بيان القفطى انه ”خرج من بخارا و قصد خراسان و اتفق اجتماعه بخوارزم شاه محمد بن تكش فقربه و ادناه و رفع منزلته و اسنى رزقه و استوطن هراة و تملك بها ملكا و اولد اولادا“ .

(٦) راجع القفطى : تاريخ الحكماء ليسك ، ص ٢٩١ : ”وكان يركب و حوله السيوف المجذبة“ ، و السبكي : طبقات ج ٥ ص ٣٥ : ”وكان اذا ركب يمشى حوله نحو ثلاثمائة نفس من الفقهاء وغيرهم“ .

(٧) راجع زكريا القزوينى : آثار البلاد و اخبار العباد ، ص ٣٧٧ ، و عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الاسلام ، المطبعة النموذجية مصر ، ص ٢١٥ .

(٨) ابن كثير : البداية و النهاية ج ١٣ ، مطبعة السعادة ، ص ٥٥ .

(٩) القفطى : تاريخ الحكماء ، ص ٢٩٢ .

(١٠) ابوشامة المقدسى : تراجم رجال القرنين ، ص ٦٨ .

(١١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٥٤٢ ، طبع حيدرآباد .

(١٢) ابن حجر العسقلانى : لسان الميزان ، طبع حيدرآباد ، ج ٤ ص ٤٢٩ : ”ثم اسند عن ابن الطباخ ان الفخر كان شيعيا . يقدم محبة اهل البيت لمحبة الشيعة“ ، ولا يوجد فى تصانيفه شئ يدل على انه كان شيعيا .

(١٣) فى كتابه مرآة الزمان ج ٨ ص ٥٤٢ .

(١٤) عبدالأحميد الخسروشاهى ، هو ابن عيسى بن عمويه توفى سنة ٦٥٣ هـ .

(١٥) انظر الوصية و كتاب النفس و الروح و هو كتاب فى الاخلاق ، مخطوطة بودليانا ، آخر الورقة ال ٢٦٠ ظ : ”وكل ما ذكرنا على وفق كلام صاحب الشرع“ ، الورقة ال ٢٦٢ ظ : ”وقال صاحب الشريعة عليه السلام“ ، الورقة ال ٢٦٧ ظ : ”وقال عليه السلام“ ، ”قوله عليه السلام“ ، الورقة ال ٢٦٩ و : ”فقال له النبى عليه السلام“ ، ... ”وكان يقول عليه السلام“ .

يد

(١٦) راجع نص هذه الوصية في الطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ٣٨ ، وفي الجاسع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابي طالب علي بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد الجزء التاسع ص ٣٠٧ —

(١٧) القفطي: تاريخ الحكماء ، ص ٢٩١ و ٢٩٢ .

(١٨) ابن خلكان : وفيات ، ج ٣ ص ٣٨٢ .

(١٩) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ ، ١٧٥٦ — استانبول ، ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م .

(٢٠) ابن حجر : لسان الميزان ج ٤ ص ٢٦٤ .

(٢١) السبكي : طبقات ، ج ٥ ص ٣٥ .

(٢٢) انظر كتاب الروح ، دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٦ ، و ابو عبدالله بن منده الحافظ هو محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهاني (٣١٦ — ٣٩٥ هـ)

(٢٣) ايضا ، ص ٤٦ .

(٢٤) راجع فهرس المخطوطات في خزنة فاتيكان (Vatican) روما ، لليوى دلاويده (Levi della vida) رسالة في الروح والنفس ، رقم ٢٩٩ (Vat. Arabo 299) من الورقة ال ١٠٨ — ١٢٤ ط) والظاهر انها رسالة لمؤلف مجهول نشأ بعد زمن الرازي ، فانه يقول في الورقة ال ١١٠ و ”والثاني انه جوهر لطيف نوراني مدرك الجزئيات و الكليات حاصل في البدن متصرف فيه ، غنى عن الاغتذاء ، يرثى عن التحلل والنماء ، وهذا اختيار فخر الدين الرازي وشمس الدين سمرقندي من العلماء المتأخرين“ .

وانظر فهرس المخطوطات المصورة لفؤاد سيد ج ١ ص ٢١٨ — ١٨١ ، القاهرة ١٩٥٤ : رسالة في النفس تأليف فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ تحت رقم البلدية ٣٣٣٦ ج — ١٠ ق ، و هي رسالة اخرى .

(٢٥) راجع كشف الظنون ج ٢ ، ١٧٥٦ : ”وصنف الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي كتابا في النفس والروح لخصه محمد العلائي و رتب على اقسام“ .

يه

- (٢٦) تاريخ الادب العربي ج ١ ص ٥٠٧ و الطبعة الثانية ص ٦٦٩ و ضميمه
ج ١ ص ٩٢٣ : C. Brockelmann: Geschichte der
(arabischen Litteratur, I. p. 507, S.I. p. 923.
- (٢٧) بيان موافقة صريح العقول لصحيح المنقول بهامش الجزء الثاني من
كتاب منهاج السنة النبوية ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ،
ص ١٠٦ .
- (٢٨) كتاب الروح ، الطبعة الثانية ، حيدر اباد ، ص ٢١٩ .
- (٢٩) التفسير الكبير ج ٢ ص ٥٣ .
- (٣٠) تحقيق سيد محمد باقر سبزواري ، طهران ، ١٣٣٥ هـ ص ١١٦ .
- (٣١) كتاب النفس والروح و شرح قواهما (في علم الاخلاق) الورقة الـ
٢٦٢ ظ .
- (٣٢) أيضا ، الورقة الـ ٢٦٦ ظ .
- (٣٣) راجع التعليقات التي ستنشر مع الترجمة الانكليزية لكتاب النفس
والروح للرازي ، تحقيق الكاتب المترجم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الورقة ٢٥٧ و)

كتاب النفس و الروح و شرح قواهما < في علم الاخلاق >

< للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي رح >

القسم الأول : في مرتبة الإنسان من مراتب الموجودات — في تقرير ذلك في مراتب الأرواح البشرية — في البحث عن ماهية النفس — في الدلائل المستفادة من الكتب الإلهية — في أن المتعلق بجوهر النفس هو القلب بدليل النقل والعقل — في شرح قوى النفس — في بحث يتعلق بالعبارات والألفاظ — [في نسبة] هذه القوى إلى جوهر النفس — في النفس الناطقة هل هي متحدة بالنوع أو بالجنس — في بيان أن اللذات العقلية أشرف من الحسية —

< القسم الثاني >: في علاج النفس — وفيه فصول :

[في فضل] المال — [في كيف] يتوصل بالمال إلى نيل السعادة — [في ذم] الحرص والبخل — في الجاه — في الرياء والسمعة .

(الورقة ٢٥٧ ظ) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتعالى كبرياؤه (١) عن منازعة الأشكال والأضداد ،
المقدس جلالة عن معارضة (٢) الأمثال والأنداد ، المنزه فردانيته ووجدانيته
عن الصاحبة (٣) والأولاد ، المبرأ (١) وجوده عن طبيعة القوة (ب) و
الاستعداد (٤) ، سامك المسموكات العاليات بلا أعماد ولا اعتماد ، وباسط
الارضين المدحيات بلا اسناد ولا استناد ، الذي تحيرت في بيده كنه
ازليته خواطر ذوى الارتباد ، وتاهت في نور هوية الوهيته أفكار
طلاب السداد ، وانظار أصحاب الرشاد ، فسافرت في غيب الغيب وازل
الآزال وأبد الآباد (٥) ، فلم ترجع إلا لجرد الإقرار بأنه فرد لا كالأفراد ،
واحد لا كالأحاد ، إن قلت : ” متى كان “ ؟ فقد كان ولا زمان (٦)
بشار إليه قبل الإيجاد ، وإن قلت : ” فيم “ ؟ فقد جل عن الحلول
والنقلة والاعتماد ، فهو الله لا إله الا هو ، له الحمد في الأولى والآخرة
حمدا من غير انقطاع وإنقاد .

أحمده حمدا صادرا عن صفاء الاعتقاد ، واشكره على ما أفاض
هلينا من أباد (٧) (ج) وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
مبرأة عن الكذب والعناد ، مهياة لأن يتوسل بها إلى حصول النجاة في يوم
المعاد ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله أرسله إلى كافة العباد ، وجعله
أفصح من نطق بالضاد ، وصلوات الله عليه وعلى آله على تعاقب الأيام
والشهور والاعياد ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) في المخطوطة : المبرأ وجود وجوده الخ

(ب) ايضا : القوى

(ج) ايضا : الاياد ، جمع ايد جمع يد ، والصحيح عنه التعريف
’الاهادي‘

— ٣ —

اما بعد : فهذا كتاب في علم الاخلاق (٨) ، مرتب على المنهج البرهاني اليقيني لاعلى الطريق الخطابي الإقناعي ، نسأل الله ان يجعله سببا للنفع العظيم في الدارين والسعادة في المنزلين ، إنه خير موفق ومعين ، وهذا الكتاب مرتب على أقسام :

القسم الأول

في الأصول الكلية لهذا العلم ، وفيه فصول :

الفصل الأول

في شرح مرتبة الإنسان من مراتب الموجودات (١) :
لأعلم أنه يمكن وصف الموجود بوجوه كثيرة ، وبحسب كل واحد منها يظهر مرتبة الإنسان من مراتب الموجودات .

التقسيم الأول : أن يقال : المخلوقات على أربعة أقسام :
الأول : الذي له عقل (٢) وحكمة (٣) ، وليس له طبيعة (٤) ولا شهوة (٥) ، وهم الملائكة (٦) ، ومن صفتهم " أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويخافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون " (٧) .

الثاني : الذي ليس له عقل ولا حكمة ، وله طبيعة وشهوة (٨) ، وهو سائر الحيوانات سوى الإنسان .

الثالث : الذي ليس له عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا شهوة ، وهي الجمادات والنبات ،

ولما دخلت هذه الأقسام في الوجود لم يبق من الأقسام سوى القسم الرابع .

— ٤ —

الرابع : وهو الذى يكون له عقل وحكمة ويكون له طبيعة وشهوة و ذلك هو الإنسان .

ولما ثبت فى المعارف الحكيمية أن واجب الوجود عام الفيض على كل الممكنات ، اقتضى عموم [فيضه] لإدخال هذا القسم فى الوجود فلهذا قال تعالى : « إني جاعل فى الأرض خليفة » (٩) . ثلثا يبقى شئ من أقسام الممكنات [مجردا] (الورقة ٢٥٨ و) عن تأثير إيجادها ونعمة إبداعه .

ولما أوحى الله تعالى إلى الملائكة : « إني جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها » الآية (٩) ، ومعناه إذا جمعت بين الشهوة والغضب وبين العقل صار مشتغلا فى الهيمية قضاء الشهوة وإمضاء الغضب — وذلك يوجب وقوع الفساد من الشهوة ، وقوله ” يفسدك الدماء “ من استعمال الغضب فعند ذلك أوحى الله تعالى إليهم : « إني أعلم ما لا تعلمون » (٩) .

وهذا الكلام ، والله أعلم ، يحتمل وجوهاً من المعنى :

أحدها أن الملائكة عقول مجردة ، وأنوار صرفة ، فلا جرم لا يصدر منهم إلا التسبيح والتحميد والتقديس (١٠) ، وذلك هو القسم الأول من أقسام المخلوقات الموجودات (١١) ، أعنى الذى يكون له عقل وحكمة بلا طبيعة ولا غضب ، والمقتضى لإدخال القسم الأول فى الوجود لإدخال النفع من تقديسهم وتسبيحهم ، بل المقتضى لذلك عموم الجود ، وهذا المعنى قائم فى حق القسم الرابع فى الوجود .

وثانيها أن هذا القسم وإن اشتمل على الفساد بسبب الشهوة ، و هلى سفك الدماء بسبب الغضب ، لكنه يكون مشتغلا أيضا على التسبيح

— ٥ —

والتحميد (١) بسبب ما فيه من العقل ، ويكون اشتغالهم بهذا (ب) الخير أكثر من اشتغالهم وإقدامهم على ذلك الشر ، وترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير (١٢) ، فلأجل هذا وجب في الحكمة إيجاد هذا القسم .

وثالثها أن الملائكة القدسية والمعارف الإلهية حاصلة للملائكة لكن الشوق إلى الحق غير حاصل لهم ، ومقام الشوق مقام شريف ، فوجب في الحكمة إدخال الطبيعة البشرية في الوجود تحصيلًا لهذا المقام .
وبيان أن الشوق (١٣) غير حاصل للملائكة ، إن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء صار مدركًا من وجه غير مدرك من سائر الوجوه ، فإن الذي ما أدركه الإنسان بوجه من الوجوه لم يشق إليه ، وأما الذي أدركه بكماله وتماه فإنه لا يشق إليه ، لأن الشوق طلب ، وطلب الحاصل محال .

غير أن الشوق إلى المحبوب يقع على وجهين :
أحدهما أنه إذا راه ثم غاب عنه بقى في خياله آية تلك الصورة المحبوبة ، فاشتاق الروح أن ينقل الأثر من عالم الخيال إلى عالم الحس .

وثانيهما أن يرى وجه محبوبه أى ذاته ، لكنه ما رأى باقى محاسنه فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره .

إذا عرفت هذا ، فنقول : أما الوجه الأول من الشوق فذلك إنما يمكن في حق من يدرك شيئًا ، ثم يغيب عنه ، وهذا في حق الملائكة

(١) في المخطوطة : التوحيد
(ب) ايضاً : لهذا

غير حاصل ، لأن معارفهم دائمة حاضرة بريئة عن طبيعة القوة و الاستعداد ، فلا يتبدل عرفانهم بالغفلة ولا حضورهم بالغيبة وهذا هو المراد من قوله سبحانه : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (١٤) . ومن قوله عليه السلام : ” إنه من الملائكة قايمون لا يركعون وراكعون لا يسجدون “ . فامتنع أن يحصل لهم شوق من السقم الاول ، فإن حصل فذاك إنما يكون من القسم الثانى .

وأما البشر فهذان القسمان يمكن وقوعهما فى حقهم بالنسبة إلى المعارف الإلهية ، بل هما لازمان لكل العارفين ضرورة . أما القسم الأول فلأن الذى يظهر للعارفين من الأمور الإلهية ، وإن كان فى غاية الوضوح والجلال والإشراق ، إلا أنه يكون مشوبا بهشوايب التخيلات ، فإن الخيالات [لا تقرر فى] هذا العالم ولا تخلو (١) عن المحاكات والتمثيلات (الورقة ٢٥٨ ظ) وهى مكدرات لإشراق المعارف ولهذا قال عليه السلام (١٥) : ” إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة “ - وتتمام التخيل لا يحصل إلا فى الآخرة ، وحيث تزول الخيالات وتبطل التمثيلات ، فهذا هو النوع الأول من الشوق إلى الله تعالى .

وأما القسم الثانى ، فاعلم أن الشوق الذى يكون من هذا القسم غير متناه (ب) ، ولو أن العارف خلق فى أول حدوث العالم إلى الآن ، و سار بأسرع سير فى درجات المعارف الإلهية ، بل طار حول عرش الجلال أشد الطيران ، وبقي على هذه الحالة إلى آخر أوقات أهل الجنة

(١) فى المخطوطة : لا تتخلوا

(ب) أيضا : غير متناهي

— ٧ —

وأهل النار ، لكان الحاصل من طيرانه وسيره متناهيًا ، ولكان الذى بقى خارج وصوله غير متناه (١) ، وإذا كان كذلك ، ظهر أن القسم الأول من الشوق إلى الله ربما زال فى الآخرة ، وأما القسم الثانى فإنه البتة لا يزول ، بل كلما كان السير أشد والتوغل أكثر كان الشوق أعظم والظما أكمل وأعظم .

فإن قال قائل : الحق فرد مطلق منزّه عن جميع أنحاء التركيبات ، والفرد إن عرف عرف بتمامه وإلا فلم يعرف ، فكيف يعقل فى حقه ما ذكرتم ؟

قلنا : إنا نضرب لتحقيق كلامنا مثالا واحدا حتى يقاس عليه الباقى .

فنقول : هذا العالم الجسمانى الذى هو الآن موجود مركب من الأجزاء التى لا يتجزأ عند طائفة عظيمة من العقلاء فلو قدرنا أنه تعالى خلق بحسب كل جزء ولا يتجزأ من هذا العالم ألف ألف عالم مثل هذا العالم ، ثم قدرنا أن تلك العوالم امتدت حتى صارت فى الرقة إلى الغاية التى لا تبتقى منها ثخانة ، بل يصير الكل كالسطح الذى ليس له ثخن عند من يثبت الجزء الذى لا يتجزأ ثم قدرنا أنه كتب كاتب تلك الورقة العظيمة من نقوش رقوم الهندسة وأخذنا بحسب تلك الرقوم فى مراتب السنين ، فالعقل يعلم أنه لا سبيل للعقل إلى ضبط مقادير هذه السنين ولا إلى ضبط القليل منها (١٦) .

ثم إنا نعلم إذا قايستنا من هذه المدر المتطاولة بالنسبة إلى معنى الأزل (١٧) كانت تضاهيه ، لأنها وإن طالت وعظمت وخرجت عن ضبط العقول

(١) فى المخطوطة : غير متناهى

— ٨ —

والأوهام إلا أنها متناهية ، وحقيقة الأزلية غير متناهية ، ولا نسبة للمتناهى إلى غير المتناهى بوجه من الوجوه ، وعند هذا تعرف شمة من قولنا : أن العقول قاصرة عن اكتناه جلال الله تعالى ، إذا عرفت مثل هذا في بقاء الله سبحانه فاعرف مثله في معلوماته وفي مقدوراته و في آثار حكمته .

فيثبت بما ذكرنا أن الشوق إلى الله تعالى مقام عال شريف المرتبة ، فهو أن كل ما كان لذيذا إذا بقي واستمر لم يبق لذيذاً حال بقاءه ، وكذا (١) إن كان مولداً ، بل اللذة والألم لا يحصلان إلا عند الانتقال من أحد الجانبين إلى الجانب الآخر (١٨) ، والله أعلم .

و لنضرب لهذا مثالا ، وهو أن أحوال الخلق بالنسبة إلى الأغذية اللطيفة اللذيذة على ثلاثة أقسام :

الأول : حال الملوك المتنعمين المتوسعين في كل الأشياء اللذيذة الطيبة ، فإنهم لما واطبوا على أكلها اعتادوها ، فلا جرم لا يلتذون بها كغيرهم .

وأما القسم الثاني : الذين ما أكلوا إلا الأطعمة الخشنة البشعة ، ولم يتفق لهم ألبة تناول الأطعمة الطيبة ولا الأشرية ولا الملابس وغيرها .

وأما القسم الثالث : الذين في أكثر الأمر ياكلون الأطعمة الخشنة البشعة (ب) وقد يتفق لهم في بعض الأوقات تناول الأطعمة اللذيذة الطيبة فهؤلاء (الورقة ٢٥٩ و) لما ذاقوا الطيبات ثم لم يجدوها اشتاقوا إليها ،

(١) المخطوطة : كذى

(ب) ايضاً : الشبعة

فإذا وجدوها اشتاقوا والتدوا بها التذاذاً عظيماً .

إذا عرفت هذا فنقول : الملائكة المقربون وإن كانت درجاتهم عالية في العرفان ، إلا أنهم آمنون في تلك الدرجات عن التغيرات فهم كالمملوك المتنعمين المواظبين على أكل الطيبات ، فالملائكة وإن كانوا مواظبين على الاغتذاء بنور جلال الله والإعبار من نسيم روح الله إلا أنهم لم يبق لهم فترة في هذه الحالة ولا انتقال من هذه الدرجة .

وأما الحيوانات العجم فحالمهم بالنسبة إلى هذه اللذات كحال الفقراء المواظبين على الفقر والضر والبؤس والمسكنة ، ولم يبق لهم انتقال من هذه الأحوال المؤذية إلى أحوال طبيعية ، فلا جرم لا يتالمون بتلك الأحوال التي هم عليها .

وأما الإنسان (١٩) فتارة يصير غرقاً في ظلمات علل الأجسام، وتارة يتمخلص منها إلى أنوار عالم القدس وسبحات سرادقات الجلال ، وينتقل تارة من الشدة إلى الرخاء ، وأخرى من اليأس إلى الرجاء ، فإذا انتقلوا من الظلمة إلى النور ومن الحجاب إلى الوصول عظم التذاذهم بذلك ويحصل لهم من اللذات والسعادات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (٢٠) .

وهاهنا دقيقة أخرى ، وهي أن في حق البشر إذا حصل الحضور بعد الغيبة كان ذلك الالتذاذ في غاية القوة ، ثم إذا حصلت الغيبة بعد (١) الحضور مع علم العقل [ما في الحضور والمشاهدة من السعادة (٢١)] كان ذلك الألم في غاية القوة ، فإذا تعاقبت هاتان الحالتان حصلت هناك آلام ولذات مختلفة مشبهة بالدغدغة الروحانية ، وهذا النوع من السعادة

(١) المخطوطة : بغير

والبهجة < كان > حاصلًا للإنسان وغير حاصل للملائكة المقربين ، ولا لسائر الحيوانات أصلاً ، فلا يبعد أن يكون هو المراد من قوله : ” أعلم ما لا تعلمون “ ، ذلك الوجه الرابع .

في بيان الحكمة في تخليق القسم الرابع — وهو الإنسان .
فنقول : إنه (١) بتخليق الملائكة ظهر من القدرة ، وذلك لأن كمال قوتهم يدل على كمال قدرة خالقهم ، وكمال عصمتهم يدل على ذلك أيضاً .

أما تخليق البشر فإنه يدل على كمال الجود والرحمة ، أما كمال الجود فلأنه لا مناسبة بين التراب وبين جلال رب الأرباب — ثم أن الحق برحمته النامة وجوده الكامل جعل التراب صفة الذرة الحاملة للأضواء الإلهية والأنوار الصمدية .

وأما كمال الرحمة فلأنه مع أنه مركب من الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة أودع قلبه نور العرفان وعلى لسانه ذكر التوحيد ، وجعل عينيه طريقاً لروية دلائله وأذنيه محلاً لسماع كلامه . فالملائكة (ب) بهم ظهر من القدرة والحكمة ، والبشر بهم ظهر الجود والرحمة .

التقسيم الثاني : أن نقول : الموجود إما أن يكون موجوداً لأول له ولا آخر له ، وهو الخالق تعالى وتقدس ، أو موجوداً له أول وله آخر وهو الدنيا ، أو موجوداً له أول ولا آخر له ، وهو الأرواح البشرية والدار الآخرة ، وأما الرابع وهو الذي لا أول له وله آخر ، فهذا ممتنع في الوجود لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه .

(١) المخطوطة : ” أن ”

(ب) أيضاً : بالملائكة

- ١١ -

ولإذا ثبت هذا ظهر من المشابهة بين الأرواح البشرية وبين الدار الآخرة أكثر ما بينها وبين الدنيا ، وظهر أن العبد < كان > كفوًا للآخرة لا كفوًا للدنيا ، والكفاءة معتبرة في الأرواح فيجب أن تكون رغبة الإنسان في السعادات (الورقة ٢٥٩ ظ) الروحانية الأخروية أكثر من رغبته في السعادات العاجلة .

التقسيم الثالث : المخلوقات على ثلاثة أقسام (٢٢) :

إما كاملة لا يتطرق النقصان إليها وهم أصحاب العالم العلوى ، أجسادهم السماوات وقلوبهم الكواكب ، وأرواحهم الملائكة المقربون الطاهرون المطهرون .

وإما ناقصة ولا يتطرق إليها الكمال وهي الحيوانات سبب الجن والشياطين والنبات والمعادن ،

والقسم الثالث وهم الذين يكونون نارة كاملين ونارة ناقصين ، فمن صاروا في حد الكمال كانوا مع الملائكة المقربين معتكفين على عتبات عزة الله تعالى ، مواظبين على ذكر جلال الله متفكرين في معارج آلاء الله ، متوكلين على فيض فضل الله ، مستغرقين في محبة الله تعالى ، ونارة ينزلون إلى أفق البهائم ومقامي الشهوة والغضب . أما في مقام الشهوة فتارة يكونون كمخزيراجيع ثم أرسل على النجاسات يأكلها ، وتارة كالسذاب الذي كلما ذب مال إلى القاذورات ، وأما في مقام الغضب فتارة كالكلب العقور ، وأخرى كالجمل الصؤول ، وثالثا كالنار المحرقة والسيول المفرقة ، فهو مع أنه شخص واحد يصدق عليه أنه ملك نوراني وشيطان ظالماني ، ومخزير حريص ، وحمار صبور ، وكلب نايج ، وثعلب رواغ ،

- ١٢ -

حيث لا شك أن شخصا واحدا يظهر منه هذه الآثار المتناقضة والاحوال المتباينة مما يدل على قدرة قاهرة وحكمة غير متناهية .

واعلم أن الانسان (٢٣) الموصوف بهذه الصفات بعث إلى هذه الدار ليكون مسافرا . قال أمير المؤمنين على : (٢٤) الناس على سفر والدنيادار ممر ، لادار مقر ، وبطن امه مبدأ سفره ، وزمان حيوته مقدار مسافته ، وضمنونه منازلهم ، وشهوره فرائضه وامياله ، وأيامه وأنفاسه خطاه ، والآخره مقصده يساربه سير السفينة براكبها ، وقد دعى إلى دار السلام كما قال تعالى : ” والله يدعوا إلى دارالسلام “ (٢٥) . ثم إن دارالسلام أشرف البقاع ، قال تعالى : ” جنات تجري من تحتها الأنهار “ (٢٦) .

الفصل الثاني

في تقرير ما سلف بطريق آخر أقرب إلى التحقيق
إعلم أن الموجودات بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام ،
لأنها :

- ١ — إما أن يؤثر ولا يتأثر ألبتة بوجه من الوجوه ،
 - ٢ — وإما أن يتأثر ولا يؤثر بوجه من الوجوه ،
 - ٣ — وإما أن يؤثر ويتأثر معا ،
 - ٤ — وإما أن لا يؤثر ولا يتأثر ألبتة ،
- فهذه أقسام أربعة لا مزيد عليها .

أما القسم الأول وهو الذى يؤثر ولا يتأثر ألبتة ، فهو الحق سبحانه وتعالى لأنه واجب الوجود لذاته ولحقيقة هويته (١) ، وكلما

- ١٣ -

كان واجبا لذاته كان واجب الوجود من جميع إعتباراته لأن ذاته المخصوصة إن كفت ذلك الإيجاب وذلك السلب ، دام ذلك الإيجاب وذلك السلب لدوام ذاته ، وإن لم تكف فحينئذ يتوقف حصول ذلك السلب وذلك الإيجاب على اعتبار حال الغير ، وتتوقف هويته على حصول ذلك الإيجاب أو ذلك السلب ، والمتوقف على المتوقف على الغير متوقف على الغير ، فحقيقته الموصوفة متوقفة على ذلك الغير الخارج ، والمتوقف على الغير ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته ، وللايجاد تأثير فهو من حيث أنه مستقل بذاته لا يقبل الأثر (الورقة ٢٦٠ و) عن غيره ، كان قائما بنفسه ، ومن حيث أنه يؤثر في كل ما سواه و يوجد كل ما يغيره فإنه مقوم لغيره ، والقائم بذاته المقوم لغيره يكون في أعلى (١) درجات القيام بالذات ، واسم ما يكون بهذه الصفة هو صفة القيوم (٢) ، لأنه مبالغة من القيام ، فثبت أنه لما كان الحق سبحانه مؤثرا لا يتأثر كان قيوما محضا ، فلهذا السر اتفق المحققون على أنه أعظم آية في كتاب الله تعالى هو قوله : " الله لا إله إلا هو الحي القيوم " (٣) .

وأما القسم الثاني وهو الموجود الذى يتأثر ولا يؤثر فهو الهوى ، فقد صحح - عندنا أن هوى هذا العالم الجسماني هو الأجزاء التي لا تتجزى (ب) ، وعند غيرنا هوى الأجسام موجود ليس بمتحيز ، و صورتها (ج) هى التحيز والجمعية .

-
- (١) المخطوطة : اعلا
(ب) ايضا : لا تتجزأ
(ج) ايضا : صورتها

- ١٤ -

إذا عرفت هذا، فنقول : تلك الأجزاء من حيث هي هي ليست حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا مجتمعة ولا مفترقة ، بل هي قابلة لهذه الصفات وهذه الأحوال .

وتلك الأجزاء تسمى عند بعضهم الهيئات ، وليس فيها إلا مجرد القبول والطاعة والإنقياد ، ولما كان الوجود بإعطاء الجود لا يصح إلا من الموجود ، وكان القبول والتأثر لا يحصل إلا عند حصول العدم ، لا جرم قيل في الكتاب الإلهي : " الله الغني وأنتم الفقراء " (٤) .

إذا عرفت هذا ، فنقول : إن الوجود أشرف من العدم ، ولهذا السبب كان أشرف الموجودات المؤثر الذي لا يتأثر ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وأخصها المتأثر الذي لا يؤثر وهو الهيولى .

وأما القسم الثالث : وهو الذى يؤثر ويتأثر معا فهو عالم الأرواح والنفوس ، وذلك لأنه لما ثبت أن واجب الوجود ليس إلا الواحد ثبت أنه كل ما سوى الواحد ممكن لذاته ، وكلما كان ممكنا لذاته ، فإنه لا يوجد إلا بإيجاد غيره ، وذلك الشئ " فقد قبل الأثر من ذلك الغير . فثبت أن الأرواح قابلة للأثر من الغير ، وأما انها مؤثرة ، فمنهم من قال لا مؤثر إلا الواحد ، وذلك لأن الممكنات مشتركة فى معنى الإمكان ، ومعنى الإمكان محوج إلى المؤثر ، فأما ان يحوج إلى مؤثر معين فى نفسه أو إلى مؤثر غير معين فى نفسه ، والثانى محال ، لأن ما لا يكون معيناً فى نفسه لم يكن موجوداً فى نفسه ، وما لا يكون موجوداً فى نفسه استحال ان يكون معطياً للوجود لغيره ، ولما بطل هذا < فلا بد من أن يثبت > الأول ، وهو أن

الإمكان مخرج إلى شئ معين في نفسه ، وكل ممكن فهو محتاج إلى ذلك المعين فلا مؤثر الا الواحد .

ثم إن هؤلاء قالوا : الأرواح مغبرات لا أنها مؤثرات ، وقال آخرون الأرواح مؤثرة في عالم الاجسام مدبرة لها متصرفة فيها ، ونصروا هذا القول بوجوه فلسفية وشيدوها برموز نبوية ، فإنه تعالى قال : في صفة الملائكة : "والمقسمات امرا" وقال : "والمدبرات امرا" (٥) .

إذا ثبت هذا ظهر على كلى القولين أن عالم الأرواح متوسط بين العالم الالهى والعالم الجسماني متوسطا لا بالحيز والجهة بل بالشرف والرتبة ، فهم من حيث أنها مؤثرة في الجسمانيات <ما> كانت أدون منها . فلا جرم كانت هذه الدرجة متوسطة بين الدرجتين الاوليين .

إذا عرفت هذا فنقول : إن الروحانيات (٦) مراتب ودرجات فأعلاها مرتبة وأجلها درجة الذين (الورقة ٢٦٠ ظ) يكونون مستغرقين في نور جلال الربوبية استغراقا تاما بحيث لا يتفرغون مع ذلك الاستغراق لتدبير العالم الجسماني ، فطعامهم التوحيد ، وشرايبهم التفريد والتمجيد ، استغرقوا في أنوار جلاله ولم يتفرغوا للشئ سوى الله وهؤلاء هم الملائكة المقربون ، وقد عبر الكتاب الالهى عن هذه المرتبة بقوله : "ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته" الآية (٧) .

ثم إن لهذا القسم من الروحانيات درجات في العرفان لا نهاية لها ، ولا يعرفها إلا الله ، لأننا بينا أن أنوار جلال الله لا نهاية لها ، فكذلك درجات العارفين في العرفان ايضا لا نهاية لها .

ثم أنه لما كان لا صفة لهذا القسم من الروحانيات إلا الاستغراق في المعارف الإلهية وتعقل تلك الجلالات الصمدية ، لا جرم سمي الحكماء الإلهيون لهذا القسم من الأرواح بالعقول المحضة ، لأنها وإن كانت جواهر قائمة بأنفسها ، إلا أنها لكثرة تعدادها وشدة معارفها صاروا كأنهم عين تلك التعقلات ، ونفس تلك الإدراكات .

فإن قال قائل : فعلى ما تقولونه انتم ؟ لم يبق لهذا القسم من الروحانيات إلا قبول الوجود عن الحق ، وقبول القدسية عن أضواء اللوحي لجلال الحق ، وكل ذلك انفعال وتأثير ، فأين الأثر والفعل ؟

قلنا : إنها وإن كانت مستغرقة في تلك التعقلات الإلهية للأضواء الصمدية ، إلا أنه لا يبعد أن تفيض عنها آثارها إلى عالم الأرواح أوعلى الأجرام الفلكية ، فيضان النور عن الشمس والحياة عن الروح ، وبهذا التقدير أنها تكون فعالة لا يبعد أن تكون مرتبة من مراتب تلك النفوس المشرقة ، إذا كانت أدنى حالا من غيرها ، فإنها تقبل تلك الأضواء عن ذلك الغير الذي هو أكل منها (ا) ، كما أن الشمس والقمر ، وإن كانا في العالم الجسماني جوهرين علويين شريفيين (ب) ، إلا أن القمر لما كان أضعف حالا من الشمس لا جرم صار يقبل النور عنها ، ثم أنه بعد قبول ذلك النور عن الشمس يصير فياضا على العالم الأرضي السفلى ، ولا يبعد أن يكون حال الروحانيات هكذا .

وأما الدرجة الثانية من عالم الأرواح والنفوس فهم الذين التفتوا

(أ) المخطوطة : منه

(ب) ايضا : بهريين

- ١٧ -

إلى تدبير عالم الاجسام ، وما توغلوا في الاستغراق في الحنين إلى الصمدية ، بحيث يذهلهم ذلك عن الالتفات إلى أفق الأسفل الجسماني ، وإن هذا القسم ايضا متفاوت (١) في الشرف ، فكل من كان تعقله لجسم أشرف وأقوى كان هو في نفسه أعلى وأبهى .

ولما كان أعظم الموجودات في الأفق الجسماني هو العرش ٨) كان أقوى الأرواح المتعلقة بتدبير الأجسام هو الروح المتصرف في كرة العرش ، ولا يبعد أن يكون هو المسمى بالروح الأعظم ٩) ، ولا يبعد أن يكون له قوى وفروع تلبث في جنبات تلك الكرة ، وأن يكون لتلك الفروع فروع أخرى ، والإشارة إلى تلك الفروع في قوله : ” ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ” (١٠) . و الإشارة إلى فروع الفروع بقوله : ” وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ” (١١) .

ثم يليه في الدرجة الروح المتصرف في الكرسي ، كما قال :
” وسع كرسيه السموات والأرض ” (١٢) .

ثم تليه الأرواح (ب) المدبرة بكرة زحل ، ثم بسائر كرات السموات وأجرام الكواكب على اختلاف درجاتها ومراتبها ، حتى ينتهي إلى الأرواح (ب) المدبرة لكرة القمر ثم لكرة الهواء ثم الماء والبحار والأرض وجبالها ، وكل ما ذكرناه على وفق كلام صاحب الشرع ، فإنه كان (الورقة ٢٦١و) يقول : ” جاءني ملك البحار ” (١٣) ،

(١) المخطوطة : متفاوتون

(ب) ايضا : الروح

سنة ١٨ هـ

فقال كذا وكذا (أ) ، وملك الجبال وملك الرعد وخازن الجنة وخازن النار ، فهذا الذى ذكرناه وشرحناه كما تقرر بالبرهان فقد تأكد بالوحى والقرآن .

واعلم أنك قد عرفت أن القسم الاول من اقسام الروحانيات أشرف من القسم الثانى (ب) ولا يبعد أن تسبح (١٤) من القسم الأول أنوار علوية شريفة على القسم الثانى فيقوى على تدبير هذه الأجسام بواسطة تلك الأنوار التى ساحت عليها من القسم الاول .

واعلم أنك بهذا الطريق الذى بيناه يظهر لك أن عالم النفوس والأرواح ابتدأت بالأشرف والأشرف منحطاً إلى الأدون فالأدون ، حتى بلغت أجزاء المراتب إلى الأرواح الأرضية وهى بالنسبة إلى الأرواح العامة كنسبة الأجساد الى الأجساد ، ثم إن الأرواح الأرضية فيما بينها تفاوتت تفاوتاً شديداً فى الشرف والدناءة ، فأعلاها وأشرفها الأرواح البشرية وتليها الأرواح البهيمية وتليها القوى النباتية ، وهى أيضاً من جنس الأرواح ، وهى آخر مراتب عالم الأرواح ، فهذا هو الكلام فى مراتب القسم الثالث وهو الموجود الذى يؤثر ويتأثر بها .

وإنما القسم الرابع وهو الموجود الذى لا يؤثر ولا يتأثر البتة ، فهذا ممتنع الوجود فى العقول ، لأننا لما دللنا على أن ما سوى الواحد الأحد الحق ممكن الوجود لذاته واجب لغيره لزم أن كل ما سوى ذلك الواحد أنه قبل الأثر عنه ، ووجد به ، فيكون عنه ، فكان هذا

(أ) المخطوطة : كذى وكذى

(ب) أيضاً : من قسم الثانى

القسم ممتنعا .

ومن الناس من يقول : الفضاء الذى لانهاية له ، والمدة التى لانهاية لها من هذا القسم ، وفيه اسرار دقيقة غامضة (١) لا يلبق ذكرها فى هذا الموضع .

الفصل الثالث

فى بيان مراتب الأرواح البشرية

إعلم أن الكلام فى تلخيص هذا المطلوب لا يتهدب إلا بتقديم مقدمة ، وهى أنا نعلم بالبداية (ب) أنا نحب شيئا ونكره شيئا . فنقول : إما أن يكون هاهنا شئ يكون محبوبا لذاته ، وشئ مكروها لذاته . وإما أن يقال أن كل شئ فإنما يكون محبوبا لاشتماله على شئ آخر . وإنما يكون مكروها لاشتماله على شئ آخر ، وهذا القسم الثانى باطل لافضائه إما الى التسلسل (١) ، وإما الى الدور (٢) ، وهما باطلان .

وهب أنا سلمنا صحة التسلسل والدور ، إلا أنه (ج) على هذا التقدير لا يكون فى تلك السلسلة المادة ، والدائرة شئ يكون محبوبا فى نفسه ، فعلى هذا القول ، فإن كل شئ فإنما يكون محبوبا لأجل اشتماله (د) على شئ آخر . فوجب القول بأنه ليس هاهنا محبوب البتة ولا مكروه البتة ، لكننا قد بينا ان العلم البديهي حاصل

(١) المخطوطة : غموضه

(ب) أيضا : بالبديهة

(ج) أيضا : ان

(د) أيضا : لاشتماله ، على هامش المخطوطة : لأجل اشتماله

بأن هاهنا محبوبا و مكروها . هذا خلف ، فثبت ان هاهنا من هو محبوب لذاته ، وشئى هو مكروه لذاته .

ثم أنا لما بحثنا وتأملنا لم نجد شيئا يمكن أن يقال إنه محبوب لذاته سوى اللذة والكمال . وفى الحقيقة لا فرق بينهما ، لأن ما يكون للذيذا يكون سبباً لحصول كمال حال الملتذ ، وما يكون كمالا يكون للذيذا ، إلا أنا سمينا اللذيد الجسائى باللذة واللذيد الروحائى (١) بالكمال .

وأىضا المكروه بالذات هو الألم والنقصان ، وفى الحقيقة لا فرق بينهما على ما تقدم تقريره فالكمال محبوب لذاته بذاته ، من حيث انه كمال ، والنقصان مكروه بذاته لذاته من حيث انه نقصان .

ومما يقرر هذه (الورقة ٢٦١ ظ) المقدمة بعد ما سبق البرهان القاهر وجوه :

الأول ان الناقص اذا وصف بصفات المدح فرح به وان كان يعرف ان القائل كاذب ، والكمال اذا وصف بصفات الذم حزن ، وان كان يعلم كذب القائل ، وما ذاك الا لأن تصور حصول الكمال لذاته لذيد ، وتصور خيال النقصان مكروه لذاته .

الثانى إنك متى سمعت فى اخبار رسم واسفنديار (٣) شدة شجاعتها واستيلائها على الاقران دخل فى قلبك حب شديد لها ، ولهذا السبب صار القاص يجمع العوام بأمثال هذه الحكايات يستخرجون الأموال منهم بهذه الطرق ، وذلك يدل على ان الكمال محبوب لذاته .

الثالث انا اذا حاولنا صناعة التجارة طلبنا من انفسنا انا لم اقدمنا

(١) المخطوطة : والروحائى

على تعب هذه الحرفة ، قلنا انما اتخذنا لطلب المال ، فاذا قلنا : ولم طلبنا المال ؟ قلنا : لنقدر به على تحصيل الذات ، فاذا قلنا : لم طلبنا الذات ؟ < قلنا > : بل قضى عقلنا أن اللذة مطلوبة بذاتها ، فكذا (١) ايضا الكمال مطلوب لذاته .

واذا تقررت هذه المقدمة فنقول : الكمال إما ان يعز في الذات او في الصفات . اما الكمال في الذات فهو ان يكون واجبا لذاته من حيث غير قابل للعدم والفناء بوجه البتة إلا ان تحصيل هذا الكمال محال لأن الشيء إما ان يكون واجبا لذاته أولا يكون ، فان كان واجبا لذاته كان الوجوب للذات (ب) حاصلا . والحاصل لا يمكن تحصيله وإن لم يكن واجبا لذاته ، امتنع ان ينقلب واجبا لذاته ، وما يمتنع وجوده لا يكون مطلوبا .

فثبت أن الكمال الحاصل بسبب الوجوب الذاتي ممتنع أن يكون مطلوبا ، بل الممكن لذاته لا يصير موجودا الا بسبب غيره ، وكلما كان موجودا لغيره كان واجب الوجود عند وجود ذلك الغير ، فيكون ذلك الغير هو الذي به يتم وجوب وجوده . ولما كان وجوب الوجود محبوبا بالذات ، فما يكون سببا لذلك الوجود يكون ايضا محبوبا ، فلهذا المعنى كل ما كان سببا لوجود الشيء ولبقائه على افضل احواله الفاضلة كان محبوبا بالذات ، وكل ما كان سببا لعدم الشيء في نفسه ولعدم احواله الفاضلة كان مكروها بالذات .

(١) المخطوطة : فكذى

(ب) ايضا : الذات

- ٢٢ -

ولما كان الحق سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته كان محبها
لذاته ومحبوبا لذاته .

ولما كان من لوازم ذاته فيضان الممكنات عنه ، وقد بينا أن
لوازم المحبوب محبوبة ، كانت أفعاله محبوبة ، فلهذا السبب قال :
” يحبهم ويحبونه “ (٤) . لما سمع بعض مشايخ الصوفية هذه الآية قال :
إنه وإن أحبهم فهو بالحقيقة ما أحب لإ نفسه (٥) .

وأما الكمال في الصفات فلما تاملنا لم نجد من هذا الجنس
شيئا سوى العلم والقدرة ، فالعلم لما كان كمالا لذاته كان محبوبا لذاته .
إذا عرفت هذا فنقول : الأرواح البشرية ، لما عرفت أنه لا
سبيل لها إلى تحصيل الوجوب بالذات طمعت في تحصيل الوجوب بالغير ،
فلا جرم كل ما كان سببا لحياة الإنسان ولبقائه كان محبوبا له بالذات .
وكل ما كان سببا لموته ولفنائه كان مكروها له بالذات .

وأما الكلام بالعلم والقدرة (الورقة ٢٦٢ و) ، فقد عرفت ،
أن الأرواح البشرية لها أنها قابلة ، ولها أنها فاعلة ، فإذا توجهت إلى
العالم الإلهي كانت قابلة ، وإذا توجهت إلى العالم الهولاني الجسماني
كانت فاعلة .

فأما كونها قابلة من العالم الإلهي ، فتارة تكون قابلة للوجود ،
وتارة تكون قابلة للجلايا القدسية والصور الروحانية ، وهى العلوم .
وأما كونها فاعلة في العالم الهولاني ، فذلك لكونها متصرفة في
هذا العالم بالتركيب والتحليل على مقتضى الإرادة . ولما كان لانهاية
لمراتب العلم والقدرة فذلك لانهاية لمراتب حب الإنسان بهذين الأمرين ،

- ٢٣ -

ولا نهابة للخوض على تحصيل هذين المطلوبين ، لكنه يمتنع أن يحصل للإنسان علوم لانهاية لها وقدرة على مقدورات لانهاية لها . بل العلوم الحاصلة للأرواح البشرية وإن كثرت فهي متناهية ، والقدرة على الموجودات الهيولانية وإن كثرت فهي متناهية ، لا جرم لانتهاى النفس الإنسانية فى العلم والقدرة إلى درجة إلا وكان الحاصل منها أمورا (١) غير متناهية ، لا جرم امتنع خلو جوهر النفس عن الحرص والطلب ، فحرص الإنسان على طلب المال ليس إلا انه يريد تحصيل القدرة على الجمادات ، وحرصه على طلب الجاه ، ليس إلا انه يريد تحصيل القدرة على أرواح العقلاء ، وحرصه على منازعة الأشكال ، ومصارعة الأبطال ليس إلا انه يريد أن يكون قادرا ويكره أن يكون (ب) مقدورا (ج) ، كل ذلك راجع إلى أصل القدرة التى هى صفة الكمال .

ولو أن الإنسان صار نافذ الحكم على بلدة واحدة دعتة نفسه إلى أن يصير نافذ الحكم فى الإقليم ، ولو وجد ذلك دعتة نفسه إلى أن يصير نافذ الحكم فى الأقاليم والبحار والجبال ، بل ربما دعتة نفسه إلى التعلق بأجرام الأفلاك والكواكب ، بل قد لا يقصد ذلك لعله تتعذر هذه القدرة عليه ، فامتناع الإنسان من هذا الطلب يكون لقيام المانع لالعدم المقتضى .

(١) المخطوطة : امور

(ب) ايضا : تكون

(ج) ايضا : مقدورات

ثم ها هنا دقيقة أخرى ، وهي أن الإنسان قبل وجدان لذة القدرة والمملكة لا يكون عظيم الرغبة في تحصيل هذه الحالة ، فإذا ذاقها والفها إزداد تشوقه إلى تحصيلها ورغبته في الوصول إليها والازدياد منها ، لأن مثاله في هذا الحب مثال الذوق ، مثاله من سمع لسم امرأة جميلة فعشقها بمجرد سماع الاسم وما رآها ، ثم إذا ذاق لذة النفاذ والمملكة كان أحب امرأة على أنه رآها وارتضاها والتذ بمخالطتها ، فأما تلك المخالطة مما تقوى العشق في جوهر الروح ويزيد العاشق حرصاً على المخالطة ، فكذلك هاهنا كلما كان وصوله إلى المراتب العالية في الدولة والمملكة أكثر كان حرصه على الإزدياد منها أقوى وأكمل ، فثبت بما ذكرنا أنه لانهاية لحرص الإنسان على طلب العلم وعلى طلب القدرة ، وثبت أن جملة العالم الجسماني (١) متناهية ، فلو قدرنا إنساناً واحداً استولى عليه بكليته لكان الحاصل عنده مملكة متناهية .

وقد بينا أنه يطلب قدرة غير متناهية ، فثبت أن الإنسان الواحد لو قدر على كل العالم الجسماني لم يسكن عن طلب الإزدياد ، ولو حصل عند الإنسان علم بجميع ما دخل في الوجود لكان حرصه على طلب العلم باقياً ، لما بيناه أن الحاصل عنده من مراتب القدرة والعلم < مقدور متناه > (ب) ويكون الغائب عنه مقدوراً (ج) غير

(١) المخطوطة : "الجسمانية"

(ب) ايضاً : بياض طويل ، وعلى الهامش : "متفاوتا متناهياً"

(ج) ايضاً : مقدور

- ٢٥ -

[مثناه] (الورقة ٢٦٢ ظ) فلهذا السبب قال صاحب الشريعة ﷺ :
"منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا" (١٦) .

إذا عرفت هذا فنقول : أما تحصيل القدرة على التصرف في الأفق
الأسفل (أ) وهو العالم الجسماني ، فهو وإن كان كاملا إلا انه يلزمه أمر
محدور (ب) ، وهو أن قدرة النفس على التصرف في العالم الجسماني مشروط
ببقاء تعلق النفس بالجسد ، ثم هذا التعلق منقطع ، وعند انقطاعه تزول
تلك القدرة بزوال المعشوق بعد طول الإلف به زوالا لا يسكنه (ج)
تحصيله ، يوجب البلاء العظيم والشوق المعلق المهلك ، فالأجل
الحذر عن الوقوع في هذا المحدور صار هذا المطلوب مرغوبا
عنه .

وأما اشتغال النفس بطلب كمال العلم فهو لذة في الحال وسعادة
في الإقبال ، وذلك لأن تصرف النفس في العالم الجسماني مشروط بتعلق
النفس بالبدن .

أما قبول النفس للجلايا القدسية (٧) والمعارف الإلهية ، فغير
موقوف على تعلق النفس بالبدن ، بل هذا التعلق كالعائق عن حصول
كمالها ، فإذا انقطع هذا التعلق اشرقت تلك الجلايا الالهية ، فنبت
بما ذكرنا أن التوجه إلى الأفق الأعلى لطالب قبول الجلايا الالهية يوجب
الكمال في الحال والإقبال .

(١) المخطوطه : " الأعلى ، وعلى الهامش : " لعله الأسفل " ،

(ب) ايضا : محدود

(ج) ايضا : لا يمكنه

- ٢٩ -

وأما التوجه إلى الافق الأسفل لأجل حصول الإستيلاء على العالم الجسافى ، فهو وإن كان يوجب لذة فى الحال ، إلا أنه يوجب الألم العظيم بعد الموت ، فلهذا السبب أطبق العقلاء على أنه يجب على كل العقلاء أن يشتغلوا بتوجه الروح إلى العالم الأعلى ولصرفها عن العالم الأسفل ، فإن المتوجهين إلى عالم القدس وجدوا بقاء بلا فناء وعزا بلا ذل ولذة بلا ألم وأمنا بلا خوف .

إذا عرفت هذا ظهر ان النفوس (٨ على ثلاثة أقسام (١) : فأعلاها درجة المتوجهين إلى العالم الالهى المستغرقين (ب) فى تلك الأنوار الصمديّة والمعارف الالهية ، وهم المسمون فى القرآن تارة بالسابقين حيث قال : "والسابقون السابقون ، أولئك المقربون" (٩) وتارة بالمقربين حيث قال : " فأما إن كان من المقربين " (١٠) .

والدرجة الوسطى هى النفوس التى لها التفات إلى العالمين ، فتارة تترقى إلى العالم الأعلى بالعبودية والخضوع ، وتارة تنزل إلى العالم الأسفل بسبب التدبير والتصرف ، وهم أصحاب اليمين والمقتصدون .

والدرجة الثالثة هم المتوجهون إلى العالم الأسفل ، المتوغلون فى طلب لذاته ، وهم أصحاب الشمال والظالمون .

فالعلم الهادى إلى طريق المقربين هو علم الرياضة الروحانية ، والعلم الهادى إلى طريق أصحاب اليمين هو علم الأخلاق .

(١) المخطوطة : أقسام ثلاثة :

(ب) أيضا : المستغرقون

الفصل الرابع

في البحث عن ماهية جوهر النفس

لأعلم أن الذي يشير إليه كل أحد بقوله : " أنا جئت " ، يقول : " أنا انصرف " و " أنا سمعت " و " أنا فهمت " و " أنا فعلت " شيء غير هذه البنية (١) الظاهرة المحسوسة ، ويدل عليه المعقول والمنقول .

أما المعقول فن وجوه : الأول أن نقول النفس واحدة ، ومتى كانت واحدة وجب أن تكون مغايرة لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه .

أما المقدمة الأولى ، وهو قولنا : إن النفس واحدة ، فنحن هاهنا بين مقامين ، تارة ندعى العلم البديهي ، وتارة نقيم البرهان على صحة هذا المقام .

أما الأول وهو إدهاء البديهية ، فنقول : المراد من النفس ما إليه يشير كل أحد إلى ذاته المخصوصة بقوله (الورقة ٢٦٣ و) : "أنا" ، وكل أحد يعلم بالضرورة ، لذا أشار إلى ذاته المخصوصة بقوله : "أنا" فإن ذلك المشار إليه واحد غير متعدد .

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون ذلك الشيء المشار إليه واحدا ، إلا أنه مركب من أشياء كثيرة : قلنا : إنه لا حاجة بنا في هذا المقام إلى إبطال هذا السؤال ، بل نقول المشار إليه بقوله : " أنا " ، معلوم بالضرورة أنه شيء واحد ، فأما أن ذلك الواحد ، هل هو واحد مركب من أشياء كثيرة ، أم هو واحد في نفسه وذاته وحده وحقيقته مما لا

حاجة إليه في هذا المقام البتة .

وأما المقام الثاني وهو مقام الاستدلال ، والذي يدل على توجه النفس وجوه :

الأول إن الغضب عند بقاءه يحدث عند محاولة دفع المنافي ، و طلب الملائم مشروط بالشعور بكون الشيء ملائما ومنافيا .

فالقوة الغضبية التي هي قوة دافعة للمنافي (١) على سبيل الاختيار و القصد ، لأن القصد إلى الجذب تارة وإلى الدفع أخرى ، مشروط بالشعور بالشيء ، فالشيء المحكوم عليه بكونه دافعا للمنافي على سبيل الاختيار لابد وأن يكون من وجه له شعور وبكونه منافيا ، والذي يغضب لابد وأن يكون هو بعينه مدركاً ، والذي يشتهي لابد وأن يكون بعينه مدركاً . فثبت بهذا البرهان أن الإدراك والغضب والشهوة صفات لثلاثة لذات واحدة لا أنها صفات متباينة في محال مختلفة .

الحجة الثانية أنا إذا فرضنا جوهرين مستقلين يكون كل واحد منهما مستقل بفعله الخاص ، امتنع أن يكون إشتغال أحدهما بفعله الخاص به مانعا للآخر من الإشتغال بفعله الخاص به .

وإذا ثبت هذا ، فنقول : لو كان محل الفكر جوهرًا ومحل الغضب جوهرًا ثانيًا ومحل الشهوة جوهرًا ثالثًا (ب) وجب أن لا يكون إشتغال القوة الغضبية بفعالها مانعا للقوة الشهوانية من الإشتغال بفعالها و لا بالعكس ، لكن التالي باطل ، فإن إشتغال الإنسان بالشهوة والصباية

(١) المخطوطة : للمباني

(ب) ايضاً : ثانيًا

٢٩

اليها يمنع من الإشتغال بالغضب والانصباب إليه وبالعكس ، فعلمنا أن هذه الأمور الثلاثة ليست مبادئ مستقلة بل هي صفات مختلفة لجوهر واحد ، فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر بأحد هذه الأفعال مانعا له عن الإشتغال بالفعل الآخر .

الحجة الثالثة أنا إذا ادركنا شيئا فقد يكون الإدراك سببا لحصول الشهوة ، وقد يصير سببا لحصول الغضب ، فلو كان الجوهر المدرك مغايرا للذى يغضب والذى يشتهى ، فحين أدرك صاحب الإدراك لم يكن ولاخبر عند صاحب الشهوة ولا عند صاحب الغضب ، فوجب أن لا يترتب (١) على هذا الإدراك إلا حصول الشهوة ، وهو حصول الغضب وحيث حصل هذا الترتيب علمنا أن صاحب الإدراك بعينه هو صاحب الشهوة ، وهو أيضا صاحب الغضب .

الحجة الرابعة : حقيقة الحيوان أنه جسم دون نفس ، حساسة متحركة بالإرادة ، فالنفس لا تمكن أن تتحرك بالإرادة إلا عند حصول الداعى ، ولا معنى للداعى إلا الشعور بخير يرغب فى تحصيله ، أو شر يرغب فى دفعه ، فهذا يقتضى أن يكون المتحرك (ب) بالإرادة هو بعينه حاسا بالخير والشر والمؤذى والمضر .

فثبت بما ذكرنا أن النفس الإنسانية شئ واحد ، وثبت أن تلك النفس هي المبصرة والسامعة والشامة والذائقة واللامسة ، وهي الموصوفة بعينها بالتخيل والفكر (الورقة ٢٦٣ ظ) والتذكر وتدبير البدن واصلاحه .

(١) المخطوطة : لا ترتب
(ب) أيضا : المتحرك

إذا هرقت هذا فلننتقل إلى اثبات المقدمة الثانية وهى أنه لما كان الأمر كذلك لم يكن النفس هذا البدن ولا شيئاً من أجزائه .

أما أن النفس يجب أن لا يكون جملة هذا البدن فلأنا علمنا بالضرورة أن القوة الباصرة غير سارية فى جملة أجزاء البدن ، وكذا (ا) القوة السامعة والذايقة والشامة ، وكذا (ا) القول فى القوة الفكرية والذكورية والمتخيلة وكذا (ا) القول فى الشهوة والغضب . والعلم بأن هذه القوى غير سارية فى جميع أجزاء البدن ، علم بديهى اولى بل هو من أقوى البديهيّات واجلها واجلاها .

وأما أن النفس يجب أن لا يكون عبارة عن شئ من أجزاء هذا البدن ، فالدليل عليه أنا نعلم بالضرورة أنه ليس فى البدن جزءاً واحداً هو بعينه موصوف بالأبصار ولا بالسمع وبالذوق وبالفكر وبالذكر ، بل الذى يتنادى فى أول الأمر إلى الخاطر أن الابصار مخصوصة بالعين وكذا (ا) القول فى سائر الإدراكات وسائر الأفعال .

وإما أن يقال أنه حصل فى البدن جزء واحد ، ذلك الجزء هو مخصوص بكل هذه الادراكات ، وكل هذه الأفعال . فالعلم الضرورى حاصل بأنه معدوم ، فثبت أن النفس الإنسانية شئ واحد موصوف بهذه الإدراكات وبجملة هذه الأفعال ، فثبت بالبداهة (ب) أن جملة البدن ليس كذلك ، وشئ من أجزاء البدن أيضاً ليس كذلك ، فحيثئذ يحصل اليقين ان النفس شئ مغاير لهذا البدن ولكل (ا) واحد من أجزائه ،

(ا) المخطوطة : كذى

(ب) ايضاً : بالبداهة

وهو المطلوب .

ولنقرر هذا البرهان بعبارة أخرى ، فنقول : إنا نعلم بالضرورة أنا إذا أبصرنا شيئا عرفناه وإذا عرفناه اشتهيناه أو كرهناه ، فإذا اشتهيناه حركنا أبداننا إلى القرب منه فلا بد من القطع بأن المبصر لذلك الشيء والعارف به والمشتهى له والمحرك إلى التقرب منه واحد ، إذ لو كان المبصر شيئا والعارف شيئا ثانيا ، والمشتهى شيئا ثالثا والمحرك رابعا (ب) لكان الذى ابصر لم يعرف والذى عرف لم يشته ، والذى اشتهى لم يحرك ، لكن من المعلوم أن ابصار شيء لا يقتضى كون شيء حالما <و> لا يقتضى كون شيء آخر شبيها له .

وأیضا فإننا نعلم بالضرورة أن الرأى للمرئيات "أنا" وإنى لما رأيتها عرفتها ولما عرفتها فقد اشتهيته ولما اشتهيته طلبتها ، وحركت الأعضاء إلى القرب منها ، ونعلم أيضا بالضرورة ان الموصوف بهذه الروية وبهذا العلم وبهذه (ج) الشهوة وبهذا التحريك شيء واحد لا أشياء كثيرة .

فالعقلاء قالوا الحيوان لا بد وأن يكون حساسا متحركا بالإرادة ، وذلك لأنه إن لم يحس بشيء البتة لم يشعر بكونه ملأثما وبكونه منافرا ، وإذا لم يشعر بذلك إمتنع كونه مريدا للجذب أو للدفع ، فثبت أن الشيء الذى يكون متحركا (د) بالإرادة فإنه بعينه يجب أن يكون حساسا ، و ثبت ان المدرك بجميع الإدراكات والمباشر لتحريك جميع الأعضاء شيء

(أ) المخطوطة : وبكل

(ب) أيضا : تابعا

(ج) أيضا : وبهذا

(د) أيضا : محركا

- ٣٢ -

واحد في الإنسان ، لأننا إذا تكلمنا فقد عقلنا أولا معنى ، ثم ردنا أن نعرف غيرنا ذلك المعنى ثانيا ، ثم انا باختيارنا أدخلنا تلك الحروف والأصوات ثالثا لنعرف غيرنا بواسطة (الورقة ٢٦٤ و) تلك الحروف والأصوات تلك المعاني التي عرفنا .

إذا ثبت هذا فنقول : إن كان محل العلم والإدراك هو بعينه محل تلك الحروف والأصوات لزم أن يقال أن محل العلوم والإدراكات هو الجنجرة واللهة واللسان . ومن العلوم بالضرورة أن الأمر ليس كذلك .

وإن قلنا : إن محل العلوم والإدراكات هو القلب ، ومحل الحروف والأصوات أيضا هو القلب ، فذاك أيضا معلوم البطلان بالضرورة .

وإن قلنا : إن محل الكلام هو الجنجرة واللهة واللسان ، ومحل العلوم والإدراكات هو القلب والدماع ، ومحل القوة هو الأعصاب والأوتار والعضلات كنا قد فرعنا هذه الأمور على الأعضاء المختلفة ، لكننا أبطلنا ذلك .

وقد بينا أن المدرك لكل المدركات بتلك (١) الإدراكات و المحرك لجميع الأعضاء بكل التحريكات بحيث أن تكون شيئا واحدا ، فلم يبق إلا أن يقال محل الإدراك في البدن شيء سوى هذه الأعضاء ، وأن هذه الأعضاء جارية مجرى آلات وأدوات له ، فكما أن النجار يفعل أفعالا مختلفة بواسطة آلات مختلفة ، فكذلك النفس تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتفكر بالدماع وتعمل بالقلب ، فهذه الأعضاء آلات للنفس و

(١) المخطوطة : تلك

ادوات لها ، وذات النفس جوهر مغاير لها مفارق عنها بالذات متعلق بها تعلق التصرف والتدبير .

وهذه الحجة برهان قاهر فى إثبات هذا المطلوب .
الحجة الثانية : لو كان الإنسان عبارة عن هذا الجسد لكان إما أن يقوم بكل واحد من الأجزاء حياة وعلم وقدرة وإرادة له بمجموع الاجزاء <أولاً> ، والقسمان باطلان ، فبطل القول بكون الإنسان عبارة عن هذا الجسد .

أما بطلان القسم الأول فلأنه يقتضى أن يكون كل واحد من أجزاء هذا البدن حياً عالماً مريداً قادراً على سبيل الإستقلال ، فوجب أن لا يكون الإنسان (أ) الواحد حياً واحداً قادراً واحداً ، بل أحياء ، علماء ، قادرين (ب) ، وحينئذ لا يبقى بين الإنسان الواحد وبين أشخاص كثيرين من الناس ربط بعضهم ببعض بسلسلة واحدة . لكننا نعلم بالضرورة فساد هذا القول لأننى أجد ذاتى ذاتاً واحدة وحيواناً واحداً لا حيوانات كثيرين لأن بتقدير أن يكون كل واحد من أجزاء هذا الجسد حيواناً على حدة ، فحينئذ لا يكون لكل واحد منها خبر عن حال صاحبه ، فيجوز أن يريد هذا الجزء أن يتحرك إلى هذا الجانب ويريد الجزء الآخر أن يتحرك إلى جانب آخر ، فحينئذ يقع التدافع بين أجزاء البدن الواحد كما يقع بين الشخصين ، وفساد ذلك معلوم بالضرورة .

(أ) المحطوطه: "للإنسان"

(ب) ايضاً: قادرون

— ٣٤ —

وأما بطلان القسم الثاني فإنه يقتضى قيام الصفة الواحدة بالمحل الكثير ، وذلك معلوم البطلان بالضرورة ، ولأنه لو جاز حلول الصفة الواحدة دفعة واحدة في المحال الكثيرة لجاز حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في الاحياز الكثيرة ، وذلك معلوم البطلان بالضرورة . ولأن بتقدير أن يحصل الصفة الواحدة دفعة واحدة في المحال المتعددة ، فحينئذ يكون كل واحد من تلك الأجزاء حيا عالما قادرا فيعود الأمر إلى كون هذه الجثة الواحدة أناسا كثيرين للإنسان (الورقة ٢٦٤ ط) واحدا ، ولما ظهر فساد هذين القسمين ثبت أن الإنسان ليس هو هذه الجثة .

فإن قالوا : لم لا يجوز أن يقال أنه تقوم الحياة بالجزء الواحد ، ثم أن تلك الحياة تقتضى ضرورة جملة الأجزاء حيا ، قلنا هذا باطل ، لأنه لا معنى للحياة إلا الحية ولا للعلم إلا العالمية ، إلا أننا نقول : إن حصل في مجموع الأجزاء حيية واحدة ، وعالمية واحدة ، فقد حصلت الصفة الواحدة في المحال الكثيرة ، وهو محال ، وإن حصل في كل جزء حيية واحدة على حدة وعالمية واحدة على حدة عاد ما ذكرنا من كون الإنسان الواحد أناسا كثيرين ، وذلك الفساد معلوم بالضرورة .

الحجة الثالثة : لو كان الذى يشير إليه الإنسان بقوله "أنا" موجوداً متحيزاً (١) لا يتبع أن يشير إلى نفسه بقوله "أنا" ويعلم المتحيز لكن التالى كاذب فالمقدم كاذب .
بيان الشرطية أنه لو كان المشار إليه بقوله "أنا" متحيزاً مخصوصاً

(١) المخطوطة : موجود متحيز

لكان المتحيز احد جزئى الماهية ، ويمتنع حصول العلم بالماهية إلا عند العلم بكونه متحيزا .
 وأما بيان كذب التالى فلأن الإنسان عند اهتمامه بمهم من المهمات قد يقول : تفكرت وعقلت وفهمت ، ومع هذه الحالة قد يكون عالما بذاته المخصوصة مع أنه قد يكون غافلا عن استحضار ماهية المتحيز والحجم وذلك يفيد صحة ما قلنا .
 فإن قيل ما الدليل على أن العالم (أ) بالماهية يجب أن يكون عالما بأجزائها ، ثم يقول لم لا يجوز أن يقال : أجزاءها المخصوصة ماهية يلزمها المتحيز به ، وماهية اللازم مغايرة للماهية الملزوم ، وعلى هذا التقدير لا يلزم من علمنا بذواتنا المخصوصة علمنا بماهية المتحيز .
 ثم نقول : لا نسلم أنا نعقل ذواتنا المخصوصة مع ذهولنا عن معنى الحجم والتحيز .
 قوله انا قد نقول "علمت وفهمت وتفكرت" حال ما اكون (ب) غافلا عن معنى التحيز والحجمية .
 قلنا لم لا يجوز أن يقال العلم بالتفصيل (ج) وإن غاب ، إلا ، أن العلم به على سبيل الجملة حاصل .
 ثم نقول : كما أنا نعلم ذواتنا المخصوصة حال الدهول عن الجسم فكذلك (د) قد نعقل ذواتنا المخصوصة حال الدهول عن استحضار ماهية النفس ، وحال الدهول عن استحضار موجود لا يكون جسما ولا يكون جسمانيا ، فما أوردتموه علينا فهو وارد عليكم .
 والجواب عن الأول أنه لا حقيقته لذلك المركب إلا تلك الأجزاء ،

(أ) المخطوطة : العلم
 (ب) أيضا : نكون
 (ج) أيضا : العلم التفصيل
 (د) أيضا : فلذلك

- ٣٦ -

فالعالم بذلك المركب (١) يكون لا محالة عالما بتلك الأجزاء ،
ولإلا لزم كون الشيء الواحد معلوما <و> غير معلوم معا وهو
محال .

وعن الثاني أنا نعلم بالضرورة أن ذواتنا ذوات قائمة بأنفسها ،
فلو جعلنا المتحيز لازما من لوازمها لوجب كون التحيز صفة من
صفات نفوسنا وذواتنا وذلك محال ، لأن التحيز لو كان صفة لشيء
آخر لكان ذلك الشيء الآخر ، إن كان متحيزا يلزم افتقاره إلى محل
آخر ويلزم التسلسل ، وإن لم يكن متحيزا كان مجردا عن الوضع
والجزء ، والمتحيز مختص بالوضع والجزء ، وحلول ماله وضع وحيز
فيما لا وضع له ولا حيز له محال .

وعن الثالث أن العلم بالشيء عبارة عن الشعور به على وجه يميز
بينه وبين غيره ، فلما أمكننا أن نعقل ذواتنا حال كوننا غافلين عن
التحيز والحجم غير شاعرين به فقد حصل الغرض .

وعن الرابع (الورقة ٢٦٥ و) نفسى عبارة عن ذاتى المجردة
المخصوصة فيستحيل أن أعرف ذاتى المخصوصة حال ما أكون غافلا عن
نفسى ، بل يمكن أن أعرف نفسى حال ما أكون غافلا عن وصفها
بأنها ليست متحيزة ولا حالة فى المتحيز إلا أن قولنا أن الشيء الفلافى
لبس متحيزا ولا حالا فى المتحيز عبارة عن سلب غيره عنه مغاير لذاته
المخصوصة لأن حقيقة الوجود (ب) ليست عين عدم غيره ، فثبت أن
هذه السلوب (٢) مغايرة لتلك الذات المخصوصة ، فلا جرم جاز العلم

(١) المخطوطة : فالعالم بذلك الأجزاء المركب ،

(ب) أيضا : الموجودة

- ٣٧ -

بذلك الذات المخصوصة حال الدهول عن تلك السلوب .
ولأننا قد دللنا على أن بتقدير كون النفس جسما مخصوصا كان
الجسم جزءاً من أجزاء الماهية ، وعلى هذا التقدير يمنع شعوره بالنفس
حال الدهول عن الجسم فظهر الفرق .

الحجة الرابعة على أن الإنسان ليس عبارة عن هذا الجسد ، أن
نقول : هذا الجسد اجزأؤه واقعة في التبدل أبداً ، والمشار إليه لكل
أحد بقوله "أنا" باق (١) مستمرا .

أما المقدمة الأولى فجلية (ب) ، وذلك لأن جسد الإنسان جوهر
رطب ، والحرارة إذا عملت في الرطوبة اصعدت عنها البخارات ،
وذلك يوجب انحلال بدن الإنسان ، ولهذا السبب احتاج بدن الإنسان
إلى الغذاء ليقوم الغذاء ببديل ما يتحلل ، فثبت أن التحلل والذوبان
دائم الحصول في بدن الإنسان ، وأيضا فبدن الإنسان حال ما كان طفلا
كان منا أو منين أو ثلاثة أمناء ، وحال صيرورته شابا قد يبلغ سبعين
منا وأكثر ، وذلك يوجب كون أجزأائه في التبدل ، وأيضا الإنسان
قد يكون سمينا فيصير هزيلا ، ثم يعود سمينا ، فالأجزاء قد تبدلت
بالزيادة والنقصان . وأيضا فانا نشاهد ونحس كون هذه الأجزاء
الجسدانية واقعة في الانحلال بسبب العرق وسائر الرطوبات ، فثبت
أن الجسد واقع أبداً في الانحلال والذوبان .

وأما المقدمة الثانية : وهى أن المشار إليه لكل واحد بقوله "أنا"
غير واقع في التبدل ، والأمر فيه ظاهر ، لأنى أعلم بالضرورة أنى

(١) المخطوطة : باقيا

(ب) أيضا : مجلية

- ٣٨ -

الآن عين ما كنت موجودا قبل هذا بعشرين سنة ، والإنسان إذا قطعت يده ورجلاه وقلعت عيناه فإنه يعلم بالضرورة أنه عين الإنسان الذي كان موجودا قبل ذلك فثبت بما ذكرنا أن الجسد بجميع أجزائه واقع في التبدل ، وثبت أن المشار إليه لكل أحد بقوله "أنا" عين هذا الجسد وغير كل واحد من أجزاء هذا الجسد .

واعلم أنه يبقى هاهنا سؤال واحد (١) ، وهو أن يقال لم لا يجوز أن يقال هذا الجزء المحسوس يشتمل على أجزاء أصلية باقية من أول العمر إلى آخره مصونة عن الاختلال والانحلال .

وأما سائر الأجزاء فإنها واقعة في الانحلال والتبدل ، والإنسان عبارة عن تلك الأجزاء الأصلية ، إلا أننا نقول (ب) : ظهر على جميع التقديرات أن الإنسان ليس عبارة عن جميع هذا الجسد المحسوس وعن هذا الهيكل الظاهر ، فأما أن يقال أنه عبارة عن أجزاء مخصوصة سارية في تضاعيف هذا الجسد ، فنقول : الفلاسفة يدفعون هذا الاحتمال بناء على مقدمتين :

أحدهما ، أن الأجسام متماثلة (٣) ، وبرهانه أن الأجسام لا شك (الورقة ٢٦٥ ظ) أنها متساوية في طبيعة الحجمية والامتداد ، فلو اختلفت نفس بعد ذلك في ماهياتها ، لكان ما به المخالفة مغايرا (ج) لما به المشاركة لا محالة . فيلزم أن تكون تلك الخصوصيات مغايرة لطبيعة الحجمية والامتداد ، ولو كان كذلك لكان إما أن يكون كل

(١) المخطوطة : "سؤالا واحدا"

(ب) أيضا : إلا أنها تقول

(ج) أيضا : مغاير

- ٣٩ -

واحد من هذين الاعتبارين ذاتا والآخر (١) صفة . والأول محال ،
لأن على هذا التقدير تكون طبيعة الحجمية والامتداد ذاتا مستقلة
بنفسها .

أقصى ما في الباب أنه حصل في الوجود ذات أخرى ، إلا أن
حصول هذه الذات لا توجب وقوع المخالفة في الذات الأولى ، وحينئذ
يرجع القول إلى أن الأجسام متماثلة .

وأما القسم الثاني ، وهو أن يكون أحد الاعتبارين ذاتا والآخر صفة ،
فنقول : إما أن يقال إن طبيعة الحجمية هي الذات ، والذي به حصلت
المخالفة ذات ، او (ب) < أن > الحجمية التي حصلت بها المشاركة صفة ،
فإن كان الأول فحينئذ كانت الذوات متساوية في تمام الماهية ، إلا
أنها مختلفة في الصفات العرضية ، وذلك لا يمنع (ج) قولنا . وإن
كان الثاني لزم كون الحجمية والتحيز صفة وقد بطلناه . فثبت بهذا
البرهان أن الأجسام متماثلة .

والمقدمة الثالثة أن واجب الوجود لذاته عام الفيض ، ويمتنع أن
يختص أحد المثليين بخاصية ، وأنه لا يحصل في الثاني ، وهذه المقدمة
فلسفية محضة .

وإذا ثبت هذا ، فنقول : تلك الأجزاء الأصلية البدنية مساوية
للأجزاء الفرعية في تمام الماهية والحقيقة ، فكانت نسبة الأحوال
الموجبة للإنحلال والذوبان إليها وإلى غيرها على السوية ، ويمتنع أن
يقال أن واجب الوجود لذاته خص بعض تلك الأجزاء بالإبقاء

(١) المخطوطة : " ولآخر

(ب) أيضا : " والحجمية "

(ج) أيضا : لا يمتنع

— ٤٠ —

والصون عن الذوبان ، لما ذكرنا أن الفيض عام و التخصيص محال ،
فإذا كان الأمر كذلك وثبت حصول الذوبان والانحلال في جميع الأجزاء
البدنية فيندفع (١) هذا السؤال .

الحجة الخامسة المشار إليه لكل واحد بقوله ” أنا “ قد يكون
معلوماً له حال كونه غافلاً عن جميع الأجزاء الجسدية الظاهرة
والباطنة ، فإن الإنسان حال إهتمامه بهم قد يقول ” تفكرت “ و
” سمعت “ مع أنه يكون حال تكلمه بهذا الكلام غافلاً عن وجهه
ويده وقلبه ودماغه وسائر أعضائه ، والمشعور به مغاير للمغفول عنه ،
ولما لم أن يصدق على الشيء الواحد كونه مشعوراً به غير مشعور
به ، فيلزم إجماع النقيضين في الشيء الواحد وهو محال ، وهذا
البرهان إنما يكمل بالعود إلى ما ذكرناه في البرهان الثالث .

الحجة السادسة : أنا لما تأملنا في أحوال النفس رأينا أحوالها
بالضد من أحوال الجسم وذلك يدل على أن النفس ليست بجسم ، و
تقريره من وجوه :

الأول : إن كل جسم يحصل فيه صورة بعد صورة أخرى من
جنس الصورة الأولى لا يحصل إلا بعد زوال الصورة الأولى عنه
زوالاً تاماً ، مثاله أن الشمع إذا حصل فيه شكل التثليث فإنه يمتنع أن
يحصل فيه شكل التربيع والتدوير إلا بعد زوال الشكل الأول عنه .
ثم إنا وجدنا الحال في قبول النفس تصور المعقولات بالضد من ذلك ،
فإن النفس < التي > لم تقبل صورة عقلية يعسر قبولها لشيء من الصور
العقلية ، فإذا قبلت صورة واحدة صار قبولها للصورة الثانية أسهل ،

(١) المخطوطة : ” فندفع ”

— ٤١ —

وإذا قبلت الصورة الثانية صار قبولها للصورة الثالثة، (الورقة ٢٦٦ و) اسهل، غير أن النفس لا تزال على صورة بعد صورة أبدا من غير أن تضعف في وقت من الأوقات، بل كلما كان قبولها للصور أكثر، صارت الصفة المتقدمة أقوى وأكمل ظهورا ما قبل ذلك، ولهذا السبب يزداد الإنسان فيها وإدراكا، كلما ازداد ارتياضا وتخرجاً في العلوم، فثبت أن فعل النفس للصور العقلية على خلاف قبول الجسم للصور الحسية فيه، وذلك يدل على أن النفس ليست بجسم.

الثاني أن المواظبة على الأفكار الدقيقة والتأملات العميقة لها أثر في النفس وأثر^(١) في البدن.

أما أثرها في النفس فهو إخراجها للنفس من القوة إلى الفعل، وفي التعقلات والإدراكات، وكلما كانت الأفكار أكثر كان حصول هذه الأحوال أكمل، وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجمالها (ب).

وأما أثرها في البدن، فهو أنه يوجب استيلاء النفس على البدن واستيلاء الذبول عليه وهذه الحالة <إن> استمرت لا تنتهي إلى المالبخوليا وموت البدن.

فثبت بما ذكرنا أن هذه الأفكار توجب حياة النفس وشرفها وجمالها (ج)، وتوجب موت البدن ونقصانه وإختلاله، فلو كانت النفس هي البدن لصار الشيء الواحد بالنسبة إلى الشيء الواحد سببا لكماله ونقصانه معا ولحياته وموته معا وذلك محال.

(١) المخطوطة: "اثر"

(ب) ايضا : ولجلالها

(ج) ايضا : ولجمالها

- ٤٢ -

الثالث أنا شاهدنا أنه ربما كان بدن الإنسان ضعيفاً نحيفاً، فإذا لاح له نور من أنوار عالم القدس ، وتجلي له سر من أسرار عالم الغيب حصل لذلك الإنسان قوة عظيمة واستيلاء شديد ، ولم يعبأ بحضور أكابر السلاطين ، ولم يتأثر من حضور العساكر الكثيرة والأهوال الشديدة ولم يثبت لها وزناً ولا قدراً .

ولولا أن النفس شئ سوى البدن وان النفس إنما تحيي وتقوى بغير ما به يحيى البدن . وإلا لما كان الأمر كذلك بل من تأمل حق التأمل عرف كل ما هو سبب لحياة البدن ولقوته فهو سبب لموت النفس وضعفها ، وكل ما هو سبب لحياة النفس وقوتها فهو سبب لموت البدن وضعفه .

الرابع أن أصحاب الرياضات والمجاهدات كلما أمعنوا في قهر القوى البدنية وبتجويج الحس قويت قواهم الروحية واشرفت أسرارهم بالمعارف الإلهية .

وكما أمعن الإنسان في الأكل والشرب وقضاء الشهوات الجسدانية صار كالبهيمة (٤) وبقي محروماً عن آثار النطق والعقل والفهم والمعرفة .

ولولا أن النفس شئ غير البدن وأن سعادتها مغايرة بسعادة البدن ، وقوتها غير قوة البدن ، وإلا لما كان الأمر كذلك .

الخامس أن الإنسان حال النوم يصير ضعيف البدن قوى النفس حتى أنه عند النوم ليطلع على ما يعجز عن الإطلاع عليه حال اليقظة ، ولو كانت النفس شيئاً (١) غير الجسد لامتنع أن يكون حال النوم

(١) المخطوطة: "شئ"

— ٤٣ —

كذلك .

فهذا مجموع ما نلخصناه وحصلناه في إثبات أن النفس شيء غير الجسد ، وأما الدلائل التي ذكرها من تقدم [فقد] (١) نلخصناها في كتبنا وبحثنا عنها واعترضنا عليها بما لم يبق للقايل فيها شك وارتياح .

السادس : قال بعضهم إذا تفحصنا أمر النفس وجدناها يفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن ، لأن الإنسان [إذا تصور بالعقل شيئاً] (ب) فإنه لا يتصوره بآلة بدنية كما يتصور الألوان بالعين ، والروائح بالأنف فإن (الورقة ٢٦٦ ظ) الجزء الذي فيه النفس لا يسخن ولا يبرد ولا يتغير عند حصول التصورات العقلية .

الفصل الخامس

في الدلائل المستفادة من الكتاب الإلهي في إثبات أن النفس شيء غير الجسد .

إعلم أن الكتاب الإلهي يدل على صحة هذا المطلوب من وجوه :
الحجة الأولى : أن القرآن دل على أن الشيء المشار إليه بأنه هو الإنسان المخصوص باق بعد الموت لهذا البدن حي ، قاهر ، عاقل ، قال تعالى في صفة الشهداء : ” ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يزرقون فرحين “ (١) . وقال في صفة المعذبين : ” النار يعرضون عليها غدوا وعشيا “ (٢) ، وقال : ” أغرقوا فادخلوا

(١) لفظ غير واضح في المخطوطة

(ب) هذه العبارة على هامش المخطوطة

— ٤٤ —

ثاراً“ (٣)

وهذه النصوص ناطقة بأن الشيء المشار إليه بأنه هو الإنسان باقى بعد موت هذا البدن حتى مدرك للالم واللذة .
وأما أن هذا الجسد المشار إليه ليس حيا بعد الموت فهذا معلوم بالضرورة ، ولو جوزنا كونه حيا لجاز مثله فى جميع الجمادات وذلك عين السفسطة .

وإذا لاحظت المقدمتان علمنا أن المشار إليه بقولنا: ”هذا الإنسان“ ليس هو هذا البدن ، ولا عضوا من أعضاء البدن ، فإننا مضطرون إلى العلم بأن هذا البدن مات بجميع أجزائه وإبعاضه .
وإنى لشديد التعجب من هؤلاء المنكرين لوجود النفس ، وذلك لأن تصديق القرآن والنصوص فى ثواب القبر وعقابه وفى الحشر والنشر تصير مقبولة معقولة بسبب إثبات النفس ويتخلص عن المطاعن والشبهات والأشكالات ، وإذا لم تثبت النفس توجهت الأشكالات وعظمت المطاعن مما الذى حمل هؤلاء على إنكار النفس حتى وقعوا فى الظلمات الشديدة .

الحجة الثانية : قوله ”أخرجوا أنفسكم“ (٤) ، وهذا صريح فى أن النفس شيء مغاير لهذا الجسد يتصل به تارة وينفصل به أخرى .
قال تعالى : ”يآيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية“ (٥) ، وهذا يدل على أن النفس لا تموت بموت البدن ، بل يرجع من الجسد إلى عالم القدس والجلال .
وقال أيضا : ”حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق“ (٦) ، وهذا يدل على أن

— ٤٥ —

الشيء المشار إليه بأنه هو الإنسان المخصوص لا يموت عند موت البدن بل يرد من هذا الجسد إلى عالم القدس وحضرة الجلال .

وأما لفظ الرجوع إلى الله عند الموت فهو في القرآن كثير جدا ، وكل ذلك يدل على أن الشيء الذي هو الإنسان في الحقيقة لا يموت عند موت البدن بل يرجع من دار الدنيا وعالم الحس إلى عالم الآخرة ، وكل ذلك يدل على أن الإنسان شيء مغاير لهذا الجسد .

الحجة الثالثة أنه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانية فقال : ” ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما “ (٧) .

ولاشك أن هذه المراتب اختلافات واقعة في الأحوال الجسمانية ، ثم إنه تعالى لما أراد أن يذكر نفخ الروح قال : ” ثم انشأناه خلقا آخر “ (٧) ، وهذا تصريح بأن ما يتعلق بنفخ الروح جنس آخر مغاير لما سبق من التغيرات الواقعة في الأحوال الجسمانية .

وذلك يدل على أن الروح ليس من جنس البدن ، فإن قلت هذه الحجة (الورقة ٢٦٧ و) عليكم ، لأنه تعالى قال : ” خلقنا الإنسان من سلالة من طين “ (٧) ، وكلمة . من . للتبعيض ، وهذا يدل على أن الإنسان بعض من أبعاد الطين ، وأنتم تقولون أنه شيء غير ذلك ، فكان هذا تصريحاً بنص الكتاب الكريم .

قلنا : هذا في غاية البعد ، لأن كلمة ” من “ أصلها لإبتداء الغاية ، تقول : خرجت من البصرة إلى الكوفة ، فقوله : ” خلقنا الإنسان من

— ٤٦ —

من سلالة من طين“ ، يقتضى أن يكون إبتداء التخليق للإنسان حاصلا من هذه السلالة . ونحن نقول بموجبه ، لأنه تعالى سوى المزاج البدنى ، ثم نفخ فيه الروح ، فيكون إبتداء تخليقه من السلالة . فثبت أن ما ذكره فاسد .

الحجة الرابعة أنه تعالى ميز بين عالم الأرواح وعالم الاجساد ، ثم ميز الأمر منه ، وذلك يقتضى أن يكون الأمر مبرأ عن (١) التقدير والحجمية .

ثم أنه تعالى بين فى آية أخرى ، أن الروح من عالم الأمر ، لا من عالم الخلق (٨) . فقال : ” قل الروح من امر ربي “ (٩) . وذلك يدل على أن جوهر الروح من عالم الأمر ، وأنه مبرأ عن الحجمية والتجيز والتقدير .

الحجة الخامسة : قال تعالى : ” فإذا صويته ونفخت فيه من روحي “ (١٠) ، ميز بين التسوية وبين نفخ الروح ، فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاد والأعضاء وتعديل المزاج والامشاج ، فلما ميز نفخ الروح عن التسوية ، ثم أضاف (ب) الروح إلى نفسه دل ذلك على أن الروح جوهر شريف ، ليس من جنس الجسد ، وذلك هو المطلوب .

الحجة السادسة : قوله تعالى : ” ونفخس وبها سواها ، فلهما

(١) على هامش المخطوطة ” . . . ”

(ب) المخطوطة : اصاب

٤٧ -

فجورها وتقواها" (١١) ، وهذه الآية صريحة في وجود نفس موصوفة بالإدراك وبالتحريك معا ، لأن الإلهام عبارة عن الإدراك ، وأما الفجور والتقوى فهو فعل ، فهذه الآية صريحة في أن الإنسان شيء واحد ، وهو موصوف بالإدراك ، وموصوف أيضا بفعل الفجور تارة ، وبفعل التقوى أخرى . ومعلوم أنه ليس كل البدن موصوفا بالإدراك وبالفعل معا ، وليس عضوا واحدا من أعضاء البدن موصوفا بجملة الإدراكات وجملة هذه الأفعال . فلا بد من إثبات جوهر واحد يكون موصوفا بكل هذه الأمور .

ومما تقرب من هذا الدليل قوله تعالى : " إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا " (١٢) ، فهذا تصريح بأن الإنسان شيء هو موصوف بأنه هو المبتلى بالتكاليف الإلهية والأوامر الربانية . وبأنه هو الموصوف بالسمع والبصر .

ومعلوم أن جملة البدن ليس كذلك ، فإنه لا يمكن أن يقال : إن بدن الإنسان مكلف من قبل الله بالأفعال [والترك وكذا] يده أو رجله أو جبهته أو حذقته أو أنفه أو لسانه مكلف بذلك . فإن العلم الضروري حاصل بأنا إذا أمرنا الإنسان بأمر أو نهيناه عن فعل ، فهذا الأمر والنهي ما توجهها على عضو من أعضائه ولا على جملة ، بلى الشيء المتصرف الثابت لمجموع الجسم هي < النفس > التي تكون سارية في مجموع ذلك الجسم (١٣) ، حاصلة في كل واحد من أجزاء ذلك البدن ، موصوفة بذلك الوصف .

ولما تقرر وبين أن الإدراك والفهم والتكليف لم يتوجه على شيء

— ٤٨ —

من هذه الأعضاء ، علمنا أنه لا يمكن أن يقال : الموصوف يكونه عضوا واحدا يصدق عليه بعينه أنه سميع ، بصير ، مكلف ، مأمور ، مثاب ، معاقب ، وقد دل قوله تعالى : ”نبئنيه فجعلناه (الورقة ٢٦٧ ظ) سميعا بصيرا“ (١٢) على أن الإنسان شئ واحد مغاير لهذا الجسد لكل واحد من اجزاء هذا الجسد وابعاضه ، وذلك هو المطلوب فإن عادوا وقالوا : إن قوله : ”إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج“ (١٣) ، يدل على أن الإنسان بعض من الامشاج ومن النطفة ، لأن كلمة ”من“ للتبعيض .

فنقول : إنه سبق الجواب عنه بما لا يبقى للعاقل فيه شك ولا شبهة .

الحجة السابعة : قوله تعالى : ” ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم“ (١٤) ، ومعلوم أن أحدا من العقلاء لا ينسى هذا الشكل المشاهد ، وهذا الجسد المحسوس ، فدل ذلك على أن النفس التي ينساها الإنسان عند فرط جهله شئ آخر غير هذا البدن .

الحجة الثامنة : قوله عليه السلام : ” من عرف نفسه عرف ربه “ (١٥) ، وجاء في كتب الله المنزلة : ”يا انسان ! أعرف نفسك تعرف ربك“ . ولو كان المراد من النفس هو البدن المشاهد والشكل المحسوس لما أمرنا بمعرفته لأن معرفته حاصلة بالضرورة وتحصيل الحاصل محال .

الحجة التاسعة : الأحاديث الكثيرة الواردة في بيان أن الإنسان يبقى فاهما ناطقا عاقلا بعد موته ، وقال عليه السلام : أنبياء الله لا يموتون ، ولكن ينقلون من دار إلى دار ، وقال عليه السلام في خطبة

- ٤٩ -

له طويـلة : حتى إذا حمل الميت على نعشه وفرقت روحه فوق النعش
ويقول : يا أهلي ! وبيا ولدي ! وذكر الحديث ، وجه الاستدلال
به أن النبي عليه السلام : صرح بأن الميت يكون على النعش ، ويبقى
هناك شيء حتى ينادى ، ويقول : يا أهلي وبيا ولدي ! ومعلوم أن
الذي كان الأهل (١) أهلا له ، وكان الولد ولدا له ، وكان الذي جمع
المال من الحلال والحرام يبقى الوبال في ذمته ورقبته ، هو كناية بل
تصريح بالإنسان وأن الجسد ميت محمول على النعش ، والإنسان
الخصوص باق ، حتى ، ناطق ، فاهم (٢) ، وهو صريح في أنه شيء
مغاير لهذا الجسد المحسوس والشكل المشاهد .

ولما عرفت نسق الاستدلال بهذا الحديث الدال على اثبات النفس
أمكن أن يستدل بأحاديث كثيرة من هذا الجنس خارجة عن الحد
والإحصاء .

الحجة العاشرة أنه تعالى قال : ” إني جاعل في الأرض
خليفة “ (ب) ، ولن يكون الإنسان خليفة إلا إذا علم ما يجري في العالم ،
ثم يمكنه أن يتصرف في تلك الأجوال بالنق والاثبات ، فذلك الشيء
المحكوم عليه بأنه خليفة الله في أرضه ، لا بد وأن يكون موصوفا (٣)
بالإدراك وبالفعل .

ثم انه تعالى بين أنه تعالى ” علمه الأسماء كلها “ (ج) ، والحقائق ،

(١) المخطوطة : للأهل

(ب) البقرة : ٣٠

(ج) أيضا : ٣١

٥٥

فثبت أن ذلك الشيء المحكوم عليه بأنه هو الخليفة ، يجب أن يكون عالما بأحوال عالم الاجسام متصرفا فيها ، ويجب أن يكون هو بعينه عالم الغيوب وأسرار الملكوت ، فالإنسان-جواهر واحد موصوف بجميع هذه الصفات ومجموع البدن ليس كذلك ، وليس في البدن عضو واحد ، موصوف بكل هذه الأمور ، فوجب القطع بأن جوهر الإنسان في ذاته أمر مغاير لمجموع هذا البدن لكل واحد من أعضائه وابعاضه .

ولنختم هذه الدلائل القرآنية اليرهانية بوجه اقناعي اعتباري وثبتت أن صريح العقل شاهد باننا نضيف كل واحد من هذه الأعضاء إلى أنفسنا . فنقول : يدى ورجلى وقلبي ودماعى ، والمضاف غير المضاف إليه .

فعلمنا أن النفس شيء مغاير لهذه الأعضاء — فإن قالوا : فقد نقول أيضا : نفسى وذائقى (الورقة ٢٦٨ و) وهذا يقتضى أن تكون نفس مغايرة لنفسه وهو محال .

وجوابه أن النفس قد يراد بها المعنى المشار إليه بقوله ” أنا “ وقد يراد به الجلثة المحسوسة ، والميكل المشاهد
أما النفس بالمعنى الأول فصرح ، العقل شاهد بأنه لا يمكن اضافته إلى نفسه ، فإنه لا يمكن اضافة المعنى المشار إليه ” أنا “ إلى غير ذلك المعنى .

وأما النفس بالمعنى الثانى فيمكن اضافتها إلى المعنى المشار اليه ” باننا “ لأن هذه الجلثة كالمملكة لذلك المعنى المشار اليه ” باننا “ .

- ٥١ -

إذا ثبت هذا فنقول : إذا قلنا : "نفسى وذاتى" ، يجب أن يكون المراد من النفس هو المعنى الثانى لا المعنى الأول حتى لا يلزم التناقض ، وعلى هذا التقدير يسقط السؤال .

الفصل السادس

فى أن المتعلق بجوهر النفس هو القلب ، وبواسطة القلب
يتعلق بسائر الأعضاء

مذهب الجمهور من المحققين وأصحاب المكاشفات (١) أن القلب هو الرئيس المطلق لسائر الأعضاء ، وأن النفس متعلقة به أولاً وبواسطة ذلك التعلق تصير متعلقة بسائر الأعضاء ، وهذا هو مذهب أرسطو واتباعه من عدة الحكماء ، وذهب قوم إلى أن الإنسان عبارة عن مجموع نفوس ثلاثة :

- ١ — النفس الشهوانية ، وتعلقها أولاً بالكبد ،
- ٢ — والنفس الغضبية ، وتعلقها أولاً بالقلب ،
- ٣ — والنفس الناطقة الحكيمة ، وتعلقها أولاً بالدماغ (٢) ، وهذا مذهب جماعة من الأطباء كجالينوس (١) وأتباعه .

الذى يدل على صحة القول الأول وجوه من القرآن والأخبار والمعقول .

(١) المخطوطة : لجالينوس ،

- ٥٢ -

أما الدلائل القرآنية فوجوه :

الأول قوله تعالى : " قل من كان عدوا لجبريل ، فإنه نزل به على قلبك " (٣) ، وفي الشعراء : " وأنه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك " (٤) ، فدللت هاتان الآيتان بصريحهما على أن التنزيل والوحى كانا (١) على القلب ، وذلك يقتضى أن يكون المخاطب والمعاقب هو القلب .

الحجة الثانية قوله تعالى : " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد " (٥) . فهذه الآية دالة بصريحها على أن محل الذكر والفهم هو القلب .

وأعلم ، أن هذه الآية مشتملة على لطيفة عجيبة ، إلا أن بيانها أنها يتم بتقديم سؤال ، فإنه يقال : أن الواو العاطفة أليق بقوله : " أو ألقى السمع " من الواو القاسمة ، وذلك لأن حصول الذكرى لا بد فيه من مجموع أمرين : لا بد فيه من القلب ، ولا بد فيه من إلقاء السمع ، لأن القلب عبارة عن محل إدراك الحقائق ، وإلقاء السمع ، عبارة عن الجهد والاجتهاد في تحصيل تلك الإدراكات والمعارف .

ومعلوم أنه لا بد من الأمرين معاً فكان ذكر الواو القاسمة هنا أليق من ذكر الواو العاطفة ، إلا أننا نقول بل الحق أن الواو القاسمة أولى من واو العاطفة .

وبيانه أن القوى العقلية قسمان : منها ما يكون في غاية الكمال والإشراق ، ويكون مخالفاً لساير القوى العقلية بالكم والكيف - أما

(١) المخطوطة : كان ،

— ٥٣ —

السكّم فلأن حصول المقدمات البديهية والحسية والتجريبية أكثر ، وأما الكيف فلأن تركيب تلك المقدمات على وجه ينساق أمر النتائج الحقّة أسهل وأسرع .

إذا عرفت هذا ، فنقول : مثل هذه النفس القدسية والقوة العقلية الإلهية تستغنى في معرفة (الورقة ٢٦٨ ظ) حقائق الأشياء عن التعلم والاستعانة بالغير ، إلا أن مثل هذا في غاية الندرة والقلّة .

أما القسم الثّاني : وهو الذي لا يكون كذلك فهو يحتاج في اكتساب العلوم الفكرية في أن يبقى مصوناً ٦ عن الخلل والزلل .

إذا عرفت هذا فنقول : قوله تعالى : "إن في ذلك (١) لذكرى لمن كان له قلب" (ه إشارة إلى القسم الأول .

ولمّا ذكر القلب بلفظ التنكر ليدل بهذا التنكر على كون ذلك القلب في غاية الشرف ونهاية الجلالة - وإن مثل هذا القلب يكون عزيز الوجود ونادر الحصول .

وأما قوله تعالى : " إذ أتى السمع وهو شهيد " فهو إشارة إلى القسم الثّاني ، والذي يفتقرون > فيه < إلى الكسب والاستعانة بالغير ، وهذه القاعدة من الأسرار التي عليها بناء علم المنطق ، وقد لاح تقريرها في هذه الآية - فتأكد هذا الفرقان البرهاني بالبيان القرآني ، فلا جرم بلغ الغاية من الوضوح والظهور ، ولما كان القسم الأول نادراً جداً ، و كان الغالب هو القسم الثّاني ، لا جرم أمر الكل في أكثر الآيات بالطلب

(١) المخطوطة : هذا ،

— ٥٤ —

والاكتساب ، فقال : ” أو لم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها “ (٧) .

فقوله : ” أو لم يسيروا في الأرض “ ، محمول على الطلب والجد والجهد في الكسب ، وقال صاحب المنطق أن القسم الأول وإن كان غنيا عن الاستعانة بالمنطق إلا أنه نادر جدا ، والغلبة للقسم الثاني ، وكلهم محتاجون إلى المنطق ، فأنظر إلى هذه الأمرار العميقة كيف تجدها مدرجة في الفاظ القرآن .

الحجة الثالثة : الآيات الدالة على أن استحقاق الجزاء ليس إلا على ما في القلب من السعى والطلب ، فقال : ” لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم “ (٨) ، وقال : ” لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم “ (٩) ثم ذكر في آية أخرى أن موضع التقوى هو القلب ، فقال ” أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى “ (١٠) ، وقال : ” وحصل ما في الصدور “ (١١) .

الحجة الرابعة : ان محل العقل هو القلب ، وإذا كان كذلك ، كان المأمور والمنهى والمعاقب والمثاب هو القلب .

إنما قلنا : ان محل العقل هو القلب لقوله تعالى : ” أو لم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها “ (٧) - وقوله : ” لهم قلوب لا يفقهون بها “ (١٢) ، وقوله : ” إن في ذلك لذكرى لمن كان له

— ٥٥ —

قلب“ (ه) أى عقل أطلق لإسم القلب على العقل تسمية الحال بإسم المحل ، وأيضا أضاف اضداد العلم إلى القلب ، فقال : ” فى قلوبهم مرض (١٣) ختم الله على قلوبهم (١٤) ، وقالوا قلوبنا غلف (١٥) بل طبع الله عليها بكفرهم (١٦) ، يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم (١٧) ، كلا ، بل ران على قلوبهم (١٨) ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (١٩) ، فإنها لاتعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور“ (٢٠) ، فدللت هذه الآيات على أن موضع العقل والفهم والجهل والغفلة هو القلب ، وكل ذلك يدل على ما قلناه .

الحجة الخامسة : قوله تعالى : ” إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا“ (٢١) ، معلوم أن السمع والبصر لافائدة فيها إلا ما يؤديانه إلى القلب - فكان السؤال عنها فى الحقيقة سؤالا عن القلب - ونظيره قوله تعالى : ” يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور“ (٢٢) ومعلوم أن خائنة الأعين لا تكون إلا بما [تضمن] القلوب (الورقة ٢٦٩ و) ، وتقرر منه قوله تعالى : ” وجعل السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون“ (٢٣) ، فخص هذه الثلاثة بالزام الحجة عليها واستدعاء الشكر منها ، وقد عرفت انه لا طائل فى السمع والأبصار إلا بما يؤديان إلى القلب ليكون القلب هو القاضى والحاكم عليهم - ونظيره قوله تعالى : ” ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، فإغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ“ (٢٤) ، فجعل تعالى هذه الثلاثة تمام ما ألزمهم من حجته ، و المقصود من الكل هو الفؤاد القاضى فى الكل ما يؤدى إليه السمع و

— ٥٦ —

البصر ، وتقرر منه قوله وتعالى : ” ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم “ فجعل العذاب لازماً لهذه الثلاثة ، ونظيره قوله تعالى : ” لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها “ (١٢) .

وجه الاستدلال بهذه الآية ان المقصود من هذه الآية بيان أنه لا علم لهم أصلاً ، ولو ثبت العلم في غير القلب ككتاباته في القلب لم يتم الغرض .

الحجة السادسة انه تعالى كلما ذكر الايمان في القرآن اضافها الى القلب — فقال تعالى : ” قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم “ (٢٥) ، وقال : ” إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان “ ، (٢٦) وقال : ” ولما يدخل الايمان في قلوبكم “ (٢٧) ، وقال : ” فكبت في قلوبهم الايمان “ (٢٨) ، فثبت ان محل هذه المعارف هو القلب ، واذا كان كذلك كان محل الارادات هو القلب ، لأن الارادة مشروطة بالعلم ، واذا كان محل العلم والارادة هو القلب كان الفاعل هو القلب ، واذا كان كذلك كان هو المخاطب والمثاب والمعاقب .

وأعلم أن من وقف على الاستدلال بهذه الآيات امكنه ان يجد من جنسها آيات كثيرة في القرآن .

وأما الأخبار ، فما روى النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ” ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب “ (٢٩) وباقى الاعضاء تبع له .

- ٥٧ -

ويروى ان اسامة لما قتل الكافر الذى قال : لا اله الا الله ، فقال له
النبي عليه السلام ، لما انكر عليه قتله ، واعتذر بانه قالها عن الخوف ،
فقال : الا شققت عن قلبه ، وهذا يدل على ان المعرفة والايمان
هو بالقلب ، وكان يقول (١) عليه السلام : يا مقلب القلوب ! ثبت
قلبي على دينك (٣٠) ، وهذا تصریح بالمطلوب .

واما الدلائل العقيلة فلها وجوه وحجج :
الاول ان نقول النفس الانسانية واحدة ، فاذا كان كذلك وجب
ان يكون ذلك العضو الرئيس هو القلب .

اما المقدمة الاولى وهى بيان ان النفس الانسانية واحدة ، فقد
ذكرنا براهين هذه المقدمة فى الفصل المشتغل على دلائل اثبات النفس
فلا حاجة الى الاعداد ، الا انا نذكر هاهنا حجة القائلين بتعدد النفس
فنجيب عنها .

قالوا : رأينا النفس المدبرة لامر الغذاء حاصلة فى الثبات منفكة
عن النفس الغضبية ، ورأينا النفس الغضبية حاصلة فى كثير من
الحيوان بدون الناطقة ، ثم رأينا هذه الآثار الثلاثة حاصلة فى الانسان -
فعلمنا ان كل واحد من هذه الثلاثة جوهر مستقل بنفسه ينفرد بذاته
لكنها اجتمعت فيه .

وجوابنا انه ثبت فى علم المنطق ان الماهيات المختلفة يجوز

(١) المخطوطة : يقول

— ٥٨ —

اشتراكها في آثار متساوية ، واذا ثبت هذا ، فنقول : لم لا يجوز ان يقال النفس (الورقة ٢٦٩ ظ) النباتية مخالفة للنفس الانسانية في الماهية ، ثم انها مشاركة لها في الغذاء ، وتديره ، وان كانت مخالفة لها في امور اخرى ، وهو انها تقوى على تدبير الاحوال المنطقية ، وان كانت النفس النباتية لا تقوى على ذلك ، وكذا القول في القوة الغضبية .

فإن قالوا : النفس الواحدة كيف تكون مصدرا للافعال المختلفة قلنا ، لم لا يجوز ذلك بسبب آلات مختلفة (١) ، وذكر الجواب عن شبهة من خالف فيه .

اما المقدمة الثانية : وهى قولنا : لما كانت النفس واحدة كان العضو الرئيس هو القلب ، فالدليل عليه ان اول عضو يتكون في البدن هو القلب (٣١) ، واذا كان كذلك وجب ان يكون هو العضو الرئيس ،

والدليل على صحة المقدمة الاولى التجربة والقياس :

اما التجربة : إن اصحاب التجارب (٣٢) شهدوا به .

واما القياس : فهو ان المنى جسم مركب من ارضية ومائية وهوائية وفارية ، فالهوائية والنارية غالبتان (ب) عليه (ج) ، ويدل عليه ان بياض الرطوبة انما يكون بسبب اختلاط الهوائية بها كما يكون

(١) المخطوطه : المختلفة

(ب) ايضا : غالبان

(ج) ايضا : عليها

فى الزبد ، فوجب ان يكون بياض المنى لهذا السبب ، ويتأكد ما ذكرناه ان المنى اذا ضربه البرد رق وزال بياضه مع ان البرد اولى بالتكثيف ، وذلك يدل على ان بياضه انما كان لاجل ما اختلط به من الاجزاء النارية والهوائية - فلما (١) ضربه البرد فارقت تلك الاجزاء النارية والهوائية ، فزال بياضه .

اذا عرفت هذا ، فنقول : انه تعالى قدر ان الاجزاء الارضية والمائية الموجودة فى المنى يجعلها مادة للاعضاء ، والاجزاء الهوائية والنارية يجعلها مادة للارواح ، إلا ان تلك الاجزاء اللطيفة والكثيفة يكون مختلطا بعضها ببعض فى اول الأمر الا ان الجنسية على الضم ، فتتضم الاجزاء اللطيفة بعضها الى بعض ، والاجزاء الكثيفة بعضها الى بعض .

ولما كان اللطيف سريع التحلل والتلاشي اقتضت الحكمة الالهية ان جعل تلك الاجزاء اللطيفة فى الوسط ، وجعل الاجزاء الكثيفة كالصوان لها - وعند ذلك يصير الكل كالكرة المستديرة ، ويكون باطن تلك الكرة مملوا من تلك الاجزاء اللطيفة الهوائية والنارية ، ويكون ظاهرها موتلفا من الاجسام الكثيفة ، وذلك هو الموضع الذى اذا استحكمت وكل كان قلبا ، فلهذا السبب قال اهل العلم بالتشريح : اول الاعضاء الانسانية تكونا هو القلب (٣٣) ، واخرها موتا هو القلب .

إذا ثبت هذا فنقول : لما كان القلب أول الأعضاء تكونا ، وكان القلب هو المجمع لتلك الأجزاء التى منها تتكون الأرواح ، ودلت التجارب الطبية على أن المتعلق الأول للنفس هو الروح ، لزم أن يكون

(١) المخطوطة: فكما

- ٩٤ -

تعلق النفس بالقلب قبل تعلقها بسائر الأعضاء وبواسطة القلب تسرى إلى سائر الأعضاء - فثبت أن العضو الرئيس المطلق في البدن هو القلب (٣٤) .

الحجة الثانية في اثبات هذا المطلوب أن العقلاء لا يجدون (١) الفهم والإدراك والعلم إلا من ناحية القلب - فعلمنا أن القلب محل العلم بواسطة كون النفس متعلقة ، وأن تعلقها بالقلب ، وإذا كان محل العلم ليس إلا القلب كان محل الإرادة مشروطة بالعلم ، وإذا كان محل الإرادة هو القلب (الورقة ٢٧٠ و) كان محل القدرة على التحريك هو القلب ، فثبت أن محل هذه الصفات هو القلب .

قال جالينوس : مسلم أن القلب محل الغضب ، وأما أنه محل العلم فباطل ، وجوابه أن الغضب دفع المنافي ، ودفع المنافي لا بد وأن يكون له شعور بالمنافي ، فلما سلم أن القلب محل الغضب لزم تسليم " أن القلب محل العلم والإدراك " .

الحجة الثالثة : لانزاع أن النفس الحيوانية لا بد وأن تكون حساسة متحركة بالإرادة ، فإذا تعلقت النفس بالقلب فلا بد وأن تفقده الحس والحركة الإرادية ، وذلك يقتضى أن يصبر القلب متبعا للإدراك والشعور ، والقوة المحركة ، وذلك يبطل قول جالينوس : أن الهيولى للإدراك والتحريك الإرادى هو من الدماغ لا القلب .

الحجة الرابعة : أن الحس والتحريك الإرادى إنما يحصلان بالحرارة لا بالبرودة (ب) ، فإنها عاتقة عنهما ، ويدل على صحة ما ذكرناه

(١) المخطوطة : يجدون

(ب) أيضا : لا البرودة

التجارب الطبية .

وإذا ثبت هذا فنقول : القلب منبع الحرارة والدماغ للبرودة ، فجعل القلب مبدأ للحس (أ) والحركة الإرادية أولى من جعل الدماغ مبدأ لها .

الحجة الخامسة : كل أحد إذا قال " أنا " ، فلنما يشير بقوله : " أنا " إلى صدره وناحية قلبه ، وهذا يدل على أن كل أحد يعلم بالضرورة أن المشار إليه بقوله : " أنا " حاصل في القلب لا في حائر الأعضاء .

الحجة السادسة : أظهر آثار النفس الناطقة النطق ، فوجب أن يكون معدن النفس الناطقة هو الموضع الذي منه منبعه ، وتنبعث آلة النطق ، لكن آلة النطق هو الصوت ، والصوت إنما يتولد عن إخراج النفس وهو فعل القلب ، لأن القلب ، يستدخل النسيم البارد الطيب للترويح - فإذا سخن ذلك النسيم واحترق أخرجه إلى الظاهر الخارج ، فإذا كان إدخال النفس أولاً وإخراجه ثانياً مقصود القلب (ب) كان إسناد هذا الفعل إلى القلب أولى من إسناده إلى الدماغ مع أنه لا حاجة بالدماغ البتة إلى النفس .

وقال جالينوس : الصوت لا ينبعث من القلب بل من الدماغ ، واستدل عليه من وجوه ثلاثة :

الأول أن الآلة الأولى للصوت هي (ج) الحنجرة ، بدليل أنك

(أ) المخطوطة : مبدأ الحس الخ

(ب) ايضاً : للقلب

(ج) ايضاً : هو

- ٦٢ -

إذا أخرجت (أ) قصبة الرية أسفل من الحنجرة لم يسمع لهذا الحيوان بعد هذه الحالة صوت البتة ، فثبت أن آلة الصوت هي (ب) الحنجرة ، والحنجرة مؤلفة من ثلاثة غضاريف ، وهذه الغضاريف إنما تتحرك بعضلات كثيرة ، وذلك العضلات إنما تتحرك بالأعصاب والأعصاب ثابتة (ج) من الدماغ - فثبت أن فاعل الصوت هو الدماغ .

الثاني أنا نرى عضل البطن يتمدد (د) عند التصويت بالصوت العنيف ، وأما القلب فإنه لا يناله التعب عند التصويت .

الثالث أن القلب إذا كشف عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيوان صوته ، وإن كشف عن الدماغ ، ثم قبض عليه بطل في الحال صوت ذلك الحيوان ، فثبت أن مبدأ الصوت هو الدماغ لا القلب ، وعند هذا تصير هذه الحجج حجة على أن محل القوة الناطقة هو الدماغ .

والجواب أنا بينا بالحجة القوية أن مبدأ الصوت هو القلب .

وأقصى ما في الباب أن الدماغ محتاج إليه في هذا الفعل والرية وهذا لا يقدر في قولنا .

الحجة السابعة أن القلب موضوع في موضع يقرب من أن يكون وسطا من البدن ، وهذا هو اللائق بالرئيس المطلق (الورقة ٢٧٠ ظ) حتى يكون ما ينبعث منه من القوى يصل إلى جميع أطراف البدن على القسمة العادلة ، والدماغ موضوع في أعلى (هـ) البدن وذلك ينافي حصول

(أ) المخطوطة - خرجت

(ب) أيضا : هو

(ج) أيضا : ثابتة -

(د) أيضا : تتحدد

(هـ) أيضا : أعاده

هذا المقصود .

الحجة الثامنة الناس يصفون القلب بالذكاء والبلادة ، فيقولون
لفلان قلب ذكى ولفلان قلب بليد .

وقال جالينوس : الناس إذا وصفوا إنسانا بأن له قلبا قويا
فرادهم منه الشجاعة .

وإذا قالوا فلان ضعيف القلب أو لا قلب له فالمراد هو الجبن ،
الجواب أن هذا يدل على أن القلب موضع الغضب ، وهذا لا ينافي أن
يكون القلب أيضا موضع الفهم والعلم .

احتج جالينوس بأن معدن الإدراك والفهم هو الدماغ بوجوه :
<الحجة الأولى (أ) أن الدماغ منبت الأعصاب ، والأعصاب آلة
الإدراك ، وما كان منشأ آلة (ب) الإدراك وجب أن يكون معدنا لقوة
الإدراك ، فهذه مقدمات ثلثة :

أما المقدمة الأولى فهي أن الدماغ منبت العصب ، والدليل عليه
أن الأعصاب الكثيرة موجودة في الدماغ ، وأما القلب فإنه لا توجد
فيه إلا عصبية صغيرة ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون الدماغ منشأ
الأعصاب .

أما المقدمة الثانية وهي أن الأعصاب آلات الحس والحركة
الإرادية ، فالدليل عليه أنك لو كشفت عن عصبية وشدتها وجدت
أسفل ما كان من موضع الشد ، فإنه يبطل عنه الحس والحركة ، وما

(أ) المخطوطة : الأول

(ب) أيضا : للآلة

- ٦٤ -

كان اعلى منه مما يلى جانب الدماغ ، فإنه لا يبطل منه الحس ولا الحركة ، وهذا يدل على أن آلة الحس والحركة الإرادية هو العصب .

وأما المقدمة الثالثة وهى أنه لما كان الدماغ منشأ آلة الحس والحركة الإرادية ، وجب أن يكون هو المعدن لقوة الحس والحركة الإرادية ، والدليل عليه أنه لما كان قوة الحس والحركة إنما اتصال من الدماغ ثبت أن المنبع والمعدن لهذه القوة هو الدماغ .

الحجة الثانية وهى التى نلخصناها لجالينوس أن نقول لا حاجة بنا إلى بيان أن منبت العصب هو الدماغ أو القلب . بل نقول لو كانت قوة الحس والحركة الإرادية ، إنما تنفذ من القلب إلى الدماغ ، لكنا إذا شددنا على العصب خطأ قويا وجب أن يبقى قوة الحس والحركة من الجانب الذى يلى القلب ، وأن يبطل من الجانب الذى يلى الدماغ ، لكن الأمر بالضد فعلمنا أن قوة الحس والحركة الإرادية تجرى من الدماغ إلى القلب ولا تجرى من القلب إلى الدماغ ، وهى الحجة التى لا يحتاج فيها إلى المقدمات التى ذكرناها فى الحجة الأولى وهى فى غاية الحسن .

الحجة الثالثة لجالينوس وهى قوله اتفق الحكماء والاطباء على أن الجاهل لقوى الحس والحركة ، جسم لطيف نافذ فى الأعصاب وهو الروح ، فإذا كان الأمر كذلك ، فنقول : الدماغ ، لكونه مبدأ ليكون هذا الروح ، أولى من القلب ، وذلك لأننا نجد فى الدماغ مواضع خالية ، والقلب ليس كذلك فإن التجويف الايمن منه مملوء دما (١) ،

(١) المخطوطة : سملوا

وإنما الشبهة في التجويف الأيسر ، فإنه يعتقد فيه أنه مملو (١) من الروح .

قال جالينوس : وليس الأمر كذلك ، فإن القلب إذا كشف عنه وبرز من غير أن يثقب ويخرق أغشيته ، لم يمت الحيوان في هذه الحالة ، حتى أنك يمكنك أن تبقى ساعة طويلة تلمس ذلك القلب ، و تنظر إليه وهو مكشوف تشاهده وتحس أن نبضه في هذه الحالة مثل (الورقة ٢٧١ و) نبضه قبل ذلك بل هاهنا شرط وهو أنه لو برد صار النبض بطيئا ضعيفا متفاوتا حينئذ .

إذا عرفت هذا ، فنقول : أنا إذا نقبنا التجويف الأيسر في هذه الحالة سال منه دم ، ولو كان فيه الروح مملوا به لوجب أن لا يسيل منه دم البتة ، ولو كان هذا التجويف في بعضه روح وفي بعضه دم لوجب أن يخرج الروح أولا ، ثم يسيل الدم بعده ، وكان يجب أن لا يسيل الدم في الحال على هذا التقدير . ولما سال الدم في الحال علمنا أن التجويف الأيسر مملو (١) من الدم .

وأیضا ، فإن الحيوان الذي مات نجد في التجويف الأيسر من تجويف قلبه علق الدم .
وأما الدماغ فلن جرمه مزرد (٣٥) ، فلا يبعد أن يحصل في تلك الفصول اجزاء الروح .

الحجة الرابعة : العقل أشرف القوى فيجب أن يكون مكانه

(١) المخطوطة : مملوا

أشرف الأمكنة اعلاها ، فوجب أن يكون مكان العقل هو الدماغ ، و هو بمنزلة الملك العظيم الذى يسكن القصر العالى ، وأيضا الحواس محيطة بالرأس ، وكأنها خدم للدماغ واقفة حوله على مراتبها .

وأيضا محل الرأس من البدن محل السماء من الأرض ، وكما أن السماء منزل الروحانيات ، فكذلك الدماغ وجب أن يكون مسكنا للعقل .

والجواب عن الحجة الأولى من وجوه :

الأول لا نسلم أن منبت العصب هو الدماغ ، قوله الاعصاب فيه كثيرة وقوته عند الدماغ ، وقلته (أ) وضعفه عند القلب ، ولا يفيد مطامعكم إلا إذا ضمتم إليها مقدمة أخرى ، وهى أن الكثرة والقوة إنما تكون عند المبدأ والقلّة (ب) والضعف عند المنتهى ، الا أنا نقول : هذه المقدمة غير برهانية بل هى منقوضة من وجوه :

الأول أن العصبه المحوفة فى العين تكون دقيقة عند المنشأ ، فإذا وصلت إلى قعر العظم الذى فيه تتكون الحديقة ، غلظت هذه العصبه واتسعت . وهذا نقض على هذه المقدمة .

الثانى ان الجثة التى يتولد منها ساق الشجرة تكون اضعف بكثير من ساق الشجرة ، فلم لا يجوز ان العصبه (ج) الصغيرة التى فى القلب كالجثة التى منها انشعبت الاعصاب الكثيرة فى الدماغ .

الثالث : لو صح كلام جالينوس لوجب ان يقال : ان مبدأ

(أ) المخطوطة : وقلبه .

(ب) ايضا : الغفلة .

(ج) ايضا : العصب .

العروق الضواري هي الشجنة (١) (٣٦) الشبيهة بالشبكة التي في الدماغ لا القلب ، لأن الشجنة (ب) من العروق الضواري عدد لا يكاد يحصى وهي في غاية المشابهة لعروق الشجرة ، فثبت ان تلك المقدمة التي عولوا عليها منقوضة بهذه الصور الثلاثة .

الوجه الثاني : سلمنا ان الكثرة والقوة لا يحصلان الا عند المبدأ الكثير ، ولا نزاع ان القلب منبت الشرائين ، ثم أنه لا شك ان اجرام الشرائين من جنس اجرام الاعصاب واذا كان كذلك لم يبعد ان تنبت الاعصاب منها .

فهذه مقدمات ثلاثة : اما المقدمة الاولى فهي (ج) ان القلب منبت الشرائين ، وذلك متفق عليه .

والثانية ان الشرائين من جنس الاعصاب ، والدليل عليه ان اجرام العروق تنفرق وتنقسم الى الشظايا الكثيفة (٣٧) التي لاحس لها ، وهي نبض تكون (د) عديمة الدم خلية عن حاسة في أنفسها ، والاعصاب كذلك (هـ) في جميع الصفات للدليل على أن اجرام الاعصاب غير حاسة في أنفسها ، إنك إذا شددت العصبية برابط يعنى شدا قويا (الورقة ٢٧١ ظ) صار ما هو أسفل من موضع الشد عديم الحس ، وذلك يدل على أن جوهر العصب في نفسه غير حساس ، وإنما تحرك (و) الشد قوة الحس

(١) المخطوطة : " النتيجة "

(ب) ايضا : النتيجة "

(ج) ايضا : فهو

(د) ايضا : كونه

(هـ) ايضا : لذلك

(و) ايضا : يجرى

— ٦٨ —

من موضع آخر - فثبت ان الشرائين والاعصاب متشاركة في هذه الصفات ، وذلك يدل ظاهرا على أن جوهر الشرائين من جنس جوهر العصب .

المقدمة الثالثة : وهى فى بيان انه لما كان الأمر كذلك لم يبعد أن يقال : الاعصاب إنما تولدت من الشرائين .

وبيانه أن هذه الشرائين إنما صعدت من القلب إلى الدماغ ، إما لاىصال السدم إلى جوهر الدماغ ، أو لاىصال الروح إليه - وعلى التقديرين ، فإن تلك الشرائين الصاعدة لابد وأن تنقسم وتنشعب وتدق وتصغر وتنتهى فى تشعبها وتصعدها إلى الشظايا (٣٨) اللينة الشعرية، فعند هذه الحالة لما وصلت إلى قعر الدماغ وأماكن هذه النافذة (٣٩) لم يبعد أن تلتف العروق اللينة الشعرية بعضها على بعض ، وتضم أجزاء بعضها على البعض ، وتحصل على صورة شكل الاعصاب ، ثم تحصل نازلة من الدماغ إلى أسفل البدن ، وتستعمل تلك الشظايا فى فعل آخر ، و هو اىصال الأرواح الدماغية إلى اقاصى البدن ، ولا سيما والحكماء و الاطباء أنفقوا على مقدمة وهى ان الطبيعة متى امكنها الالتقاء بالآلات القليلة لم تعدل عنها إلى اعداد الآلات (١) الكثيرة ، فبهذا الطريق صارت الشرائين أعصابا .

ولما كان منبت العروق هو القلب وجب أيضا ان يكون منبت الاعصاب هو القلب بهذا الطريق الذى ذكرناه - وهذا قول ذهب إليه طائفة عظيمة من أصحاب أرسطاطاليس .

أجاب جالينوس عن هذا الكلام من وجهين : الأول :

(١) المخطوطة : الآلات

قال : الدليل على أن الأعصاب ليست من جنس الشرائين بوجوه :

الأول أن الشرائين نابضة ، والأعصاب ليست نابضة .
الثاني أن الشرائين مجوفة ، والأعصاب ليست مجوفة إلا القليل .

الثالث أن الشرائين محتوية على الدم بدليل أنها إذا ثقت جلب ذلك الثقب على صاحبه من انفجار الدم أمرا صعبا ، والعصب لا دم فيه البتة .

الرابع : ان الشرائين مؤلفة من طبقتين — إحداهما تنحل إلى أجزاء ذاهبة في العرض على الاستدارة ، والاخرى تنحل إلى أجزاء تذهب على الإهتقامة في الطول — وأما العصبية (١) فهي تنحل إلى ليف أبيض عديم الدم ذاهب على الاستقامة في الطول .

الخامس : إنك إذا شددت العصبية حصل عدم الحس والحركة الإرادية ، ولا تبطل منه حركة النبض ، وإن شددت الشريان بطل النبض ولم يبطل الحس والحركة .

السادس أن العصب يمسك عن فعله كثيرا - ألا ترى أن العصبية التي فيها تجرى القوة (ب) الباصرة إلى سطح الجليدية قد تقف عن فعلها في وقت النوم ، وكذا القول في سائر الحواس الظاهرة - وأما الشرائين (ج) فإن فعلها ذلك دائم ، فثبت بهذه الوجوه أن الشرائين ليست من جنس الأعصاب .

الثاني من الجواب عن هذا الكلام ، قال جالينوس : ان اصل

(١) المخطوطة : " العصبية"
(ب) ايضا : الروح
(ج) ايضا : الشريان

— ٧٠ —

الشريان المتولد من القلب ينقسم إلى قسمين — قسم يصعد إلى جانب الرأس ، وقسم ينزل إلى أسفل البدن — والقسم النازل إلى أسفل البدن ، لا نشك انه ينقسم ويتفرق إلى العروق الدقائق ، ثم انه يعدم [بعدها] ^(١) (الورقة ٢٧٢ و) صارت اعصابا ، فوجب أن يكون الحال في الشرائين الصاعدة إلى الدماغ النافذة فيها كذلك أيضا .

قال أصحاب أرسطاطاليس : أما الجواب الأول فهو في غاية الضعف ، وذلك لأن الصفات التي ذكرتموها للشريان ، إنما تكون حاصلة حال صعودها إلى الدماغ ، ونفوذها في جوهره .

اما لم قلتم أنها بعد رجوعها عن جوهر الدماغ وتوجهها إلى أسفل البدن تبقى على تلك الصفات ؟ وبيانه أن المقصود من تخليق الشريان على تلك الصفات التي ذكرتموها أن يكون لاصعاده الدم إلى الروح من القلب إلى جوهر الدماغ ، فإذا حصل هذا المقصود ، واصاغت الطبيعة إلى اعداد آلة أخرى في إيصال جوهر الروح من الدماغ إلى أسفل البدن ، وإن تلك الشظايا لا تصلح لأن تكون آلة في هذا الفعل إلا عند إبطال تلك الصفات عن تلك الشظايا ، لم يبعد أن تحاول الطبيعة أبطال تلك الصفات عنها ، وتحصل صفات أخرى موافقة لهذا الفعل الثاني ، هذا غير مستبعد في الجملة ، وكيف لا نقول ذلك ، وهذه الشرائين عند نفوذها في جوهر الدماغ ، لا شك أنها تنقسم وتصغر جدا ، فلا يبعد ان تؤثر فيها طبيعة جرم الدماغ ، من تلك الصفات إلى صفات أخرى لا ثقة بالفعل الثاني ، لاسيما وانها لما تصغرت جدا

(١) العبارة غير واضحة

— ٧١ —

لم يبق بينها وبين الشظايا العصبية فرق البتة - وعلى قولنا تبقى هناك ، إلا أن تلك العروق المتصغرة جدا إذا رجعت من الدماغ متوجهة إلى أسفل البدن اشبهت في الحس بالخيوط الصغيرة المضمومة بعضها إلى بعض - ويتولد من مجموع تلك الخيوط الصغيرة هذه الاعصاب المخصوصة المحسوسة ، فهذا الاحتمال لا يبطل البتة بما ذكره جالينوس .

وأما قوله الثانى فهو أيضا ضعيف ، لأن الأرواح القلبية كما صعدت إلى جوهر الدماغ فى تلك الشرائين المتصغرة جدا ، وبقيت فى ذلك الجوهر تغيرت تلك الشرائين عن طبائعها بسبب نفوذها فى جوهر الدماغ واختلاطها بذلك الجوهر ، ثم كانت الطبيعة محتاجة إلى أعداد آلة لا يصل تلك الأرواح الدماغية من الدماغ إلى أسفل البدن ، فحينئذ لم يبعد أن تجد لها الطبيعة آلات لهذا الفعل الثانى بخلاف الجزء النازل من الشرائين إلى أسفل البدن ، فإنها ما اتصلت ببعضها آخر يغيرها عن طبائعها ، وما حصلت فى أسفل البدن حاجة تقتضى إيجاد تلك الشظايا الشريانية آلات لتلك - يظهر الفرق بين الصورتين ، فهذا تمام كلام أرسطو على دليل جالينوس فى أن منبت العصب الدماغ .

ثم أحتج أصحاب أرسطو على أن منبت العصب هو القلب ، بأن قالوا أن الحركة الإرادية لا بد وأن تكون بآلة صلبة قوية ، والدماغ ليس بجرمه شئ من الصلابة .

أما القلب ففيه أنواع من الصلابة : منها أن لحمه شديد قوى صلب أصلب من سائر اللحوم ،

ومنها أن فيه من الرباطات [والعضلات] مقدارا كثيرا .
ومنها أنه لما كان دائم الحركة وجب أن يكون جرمه أقوى
الأجرام اللحمية ، وإذا كان كذلك [فن] جعل القلب منبت الأعصاب
التي هي آلات الحركات القوية ، أولى ممن جعل الدماغ منبتا لها .
(الورقة ٢٧٢ ظ) أجاب جالينوس عن هذه الحجة من
وجهين :

الأول أن هذا قياس يدل على أن منبت العصب هو القلب ،
والحس يدل على أن منبت العصب هو الدماغ ، والحس أقوى من
القياس .

الثاني أن الميولى لتحريك الأعصاب ليس هو العصب بل هو
العضلات ، والعضلات مركبة من الأعصاب والرباطات والأغشية
والخوم ، وهي مستندة إلى العظام والأعصاب تفيدها قوة الحس
والحركة الإرادية ما تختلط بها من الرباطات والأغشية (١) تفيدها القوة
والشدة والامن من الانقطاع ، وعلى هذا التقدير فإنه لا يمتنع كون
الدماغ منبتا للأعصاب .

قال أصحاب ارسطاطاليس : أما الجواب الأول فضعيف ، لأن
الحس لم يدل إلا على كثرة الأعصاب وقوتها عند الدماغ (٢) وقلتها
وضعفها عند القلب .

وقد بينا أن هذا القدر لا يدل على كون الدماغ منبتا للأعصاب .
وأما الثاني فضعيف جدا لأن جالينوس احتج بغلظ العصب و
كثرتة على تولده منه .

(١) المخطوطة : " أغشية "

- ٧٣ -

وأصحاب ارسطو عارضوه فقالوا : إن كان هذا الوجه يدل على قولكم بأن كون الدماغ لينا والعصب قويا يمنع من تولده منه ، بل كون العصب قويا صلبا (٤١) مع كون القلب قويا صلبا يدل على كون العصب نابتا من القلب فسقط كلام جالينوس بالكلية .

فهذا خلاصة المناظرة الدائرة بين الفريقين في أن منبت العصب هو الدماغ أو القلب .

النوع الثاني من الجواب عن شبهة جالينوس

أن نقول : سلمنا أن منبت العصب من الدماغ ، وسلمنا أن العصب آلة الحس والحركة ، لكن لم قلتم أنه يلزم من كون الدماغ معدنا لقوة الحس والحركة الإرادية .

فبيان أنه لا يبعد أن يكون معدن الحس والحركة هو القلب وهو معدنه ، ثم أن الدماغ ينقل إلى القلب آلة ثانية منه ليستفيد بتلك الآلة قوة الحس والحركة من القلب ، وإذا كان هذا الاحتمال قائما سقط كلام جالينوس بالكلية .

أما الجواب عن الحجة الثانية في نصرة قول جالينوس ، وهي التي تلخصناها ، أن نقول لم لا يجوز أن يقال أن الروح القلبي يكون في غاية الحرارة . فإذا كان بينه وبين الدماغ منفذ مفتوح وصل تبريد الدماغ إليه فاعتدل واستعد لقبول قوة الحس والحركة . فأما إذا افسد المنفذ انقطع أثر تبريد الدماغ ، فلا جرم لم يبق مستعدا لقبول قوة الحس والحركة . فبطلت هذه القوة من الجانب الذي يلي القلب ، و إنما لم يبطل من الجانب الذي يلي الدماغ ، لأن الشرايين في الدماغ

— ٧٤ —

كثيرة جدا وكلها مؤدية إليه قوة الحرارة من القلب إلى الحس والحركة .

وأما الجواب عن الحجة الثالثة فهو أن نقول هذا الكلام إن صح فهو يقتضى أن لا يكون فى القلب روح أصلا . وجالينوس لا ينزع فى كون القلب معدنا للارواح الحيوانية ، ويسلم أن الروح الحيوانى إنما يصعد من القلب إلى الدماغ ، ويصير هناك روحا نفسانيا نطقيا .

وأما الجواب عن الحجة الرابعة فهو أن نقول إنها من الاقناعات الضعيفة ، وقد ذكرنا من جانبنا [حججا اقناعات (الورقة ٢٧٣ و) من] جنسها بل أقوى منها ، فهذا آخر الكلام المنقح فى هذه المسئلة . واعلم أن جالينوس صنف كتابا سماه ابقراط وافلاطن ، ومقصوده ليس إلا هذه المسئلة ، وهو كتاب طويل ، وقد طالعتة واستخرجت زبدة كلامه وضممت إليه وجوها كثيرة ، كما ترى ، واوردته هاهنا .

الفصل السابع

فى شرح قوى (١) النفس

اعلم ان النفس الانسانية لها قوى نباتية ، وقوى حيوانية ، وقوى انسانية .

فاما القوى النباتية : فاعلم ان جسد الانسان مخلوق من المني ودم الطمث ، وهما جوهران حاران رطبان فبدن الانسان مادام يكون حيا يكون حارا رطبا ، والحرارة اذا عملت فى الرطوبة اصعدت

— ٧٥ —

عنها الحرارة يسبب تصاعد تلك الاجزاء البخارية عن ذلك الجوهر ،
فبسبب ذلك يقع فيه الذبول والانحلال ، فدبر الخالق الحكيم في
تدارك ذلك فادع فيه القوة الغازية حتى انها تورد من اجزاء الغذاء
ما يقوم بدل تلك الاجزاء المتحللة .

اذا عرفت هذا فنقول : لا بد من قوة جاذبة للغذاء وقوة ماسكة
له لتبقى تلك الاجزاء المذبوبة ، ومن قوة يتصرف فيها ويحلها الى
موافقة بدل المغتذى ، ومن قوة دافعة لتدفع الاجزاء الفضلية (١)
التي هي غير ملائمة لبدن المغتذى ، ثم اذا حصلت تلك الاجزاء
الصالحة لأن تقوم مقام الاجزاء المتحللة ، ولا بد من قوة تقيم بدل
تلك الاجزاء المتحللة ، وهذا الفعل انما يتم بامور ثلاثة :
احدها ان تورد تلك الاجزاء الغذائية على جواهر تلك
الاعضاء .

وثانيها ان تلتصقها ،

وثالثها ان تشبهها بها .

وبمجموع هذه الافعال الثلاثة يحصل بعد الاغتذاء من اقطار
هذه الثلاثة ، وهى فعل الانماء وقوة اخرى تنفصل من تلك الاجزاء
الغذائية بعد وصولها الى جواهر الاعضاء وسيرتها من التشبيه بها ،
وتوزع منها قوة مولدة وهى فعل التوليد ، فالقوى النباتية هى هذه
التي عددناها .

ثم من الحكماء من زعم ان هذه قوى مختلفة متباينة بناءً على ان

(١) المخطوطة: "العضائية"

— ٧٦ —

الواحد لا يصدر عنه الا الواحد ، ومنهم من قال انه ليس هناك الاقوة واحدة الا انها تختلف افعالها بسبب الشرائط ، ففي الابتداء تجذب وبعد الجذب تمسك ، وبعد الامساك تتصرف بها اثار الهضم والاحالة ، وبعد هذا الفعل تدفع الفضول المؤذية ، وانها في تصرفها بعد تحصيل جوهر الدم تورد تلك الاجزاء الدموية النضيجة على جواهر الاعضاء الاصلية ، ثم تلصقها بها ، فالقوة واحدة لكن اختلفت افعالها لاجل اختلاف شرايطها واحوالها .

واما القوى الحيوانية فهي إما ان تكون محركة او مدركة ، فان كانت محركة ، فهي اما مباشرة للتحريك او باعثة عليه ، اما المباشرة للتحريك فهي القوى الموجودة في العضلات التي من شأنها ان تحركها تارة الى الجذب وتارة الى الدفع .

واما الباعثة فلها مراتب : المرتبة الاولى من تلك القوى العضلية هي الارادة الجازمة ، والشوق الجازم ، وهذه الارادة الجازمة انما تولد من شهوة القوة علقه تجذب الملائم او من غضب يتعلق (١) بدفع المنافي ، وهذه الشهوة والغضب انما يتولدان من شعور (الورقة ٢٧٣ ظ) الانسان يكون الشيء ملائما او بكونه منافيا ، فإن حصل الشعور يكون الشيء ملائما ترتب عليه الميل عن هذا الشعور ، وان حصل الشعور بكونه منافيا ترتب الغضب على هذا الشعور ،

ثم هذا الشعور قد يكون مختلفا (ب) وقد يكون فكريا .

اما القوى المدركة (٢) ، فهي إما القوى المدركة الظاهرة وهي الحواس الخمسة ، (ج) وإما القوى المدركة الباطنة وهي عندهم خمسة -

(١) المخطوطة : متعلق
(ب) ايضا : مختلفا
(ج) ايضا : الخمس

وطريق الضبط ان نقول : هذه القوى الباطنة إما مدركة ، وإما متصرفة .

اما المدركة ، فإما ان تكون مدركة (ا) لصور المحسوسات ، و هى القوى التى تجتمع فيها صور الحواس الخمسة وهى المسماة عندهم بالحس المشترك . وإما ان تكون مدركة للمعاني الجزئية التى لا تكون محسوسة لكنها تكون قائمة بالمحسوسات ، وهو مثل حكمنا بأن هذا الشخص صديق وذاك الآخر عدو ، وهذه القوة هى المسماة بالوهم ، ثم لكل واحد من هاتين القوتين خزانة ، فخزانة الحس المشترك هو الخيال ، وخزانة الوهم هى الحافظة ، والمجموع اربعة .

وأما المتصرفة فهى القوة التى تتصرف فى هذه الصور الجزئية ، والمعاني الجزئية بالتركيب تارة والتحليل اخرى ، وهى المسماة بالقوة المفكرة ، فهذه هى الحواس الخمسة (ب) الباطنة .

وأما النفس الإنسانية فقالوا : لها قوتان (٣) : نظرية وعملية (ج) .
وأما النظرية فهى القوة التى باعتبارها يستعد جوهر النفس لقبول الصور الكلية المجردة .

وأما العملية (د) فهى القوة التى باعتبارها يستعد جوهر النفس لتدبير هذا البدن ، والقيام باصلاح مهياته ، فهذا القول فى ضبط القوى النفسانية .

وأعلم أن الفلاسفة فرعوا هذه الاقوال على القوى ، فاسندوا كل فعل على حدة إلى قوة على حدة ، ثم زعموا أن بعضها قوى

-
- | | | |
|-----|------------|-----------|
| (ا) | المخطوطة : | يكون مدرك |
| (ب) | ايضا : | الخمس |
| (ج) | ايضا : | علمية |
| (د) | ايضا : | العلمية |

جسمانية ، وبعضها قوى روحانية ، أما نحن فقد أثبتنا في جملة كتبنا أن جميع هذه الإدراكات لجوهر النفس وجميع هذه الأفعال لجوهر النفس ، وكل عضو من أعضاء البدن فهو آلة النفس بحسب فعل خاص من أفعالها . فآلة النفس في الأبصار هي (١) العين : وفي السمع هو الاذن ، وفي النطق هو اللسان ، ولما قررنا الدلائل الدالة على تصحيح هذا الفعل (ب) في كثير من كتبنا لم يكن بنا حاجة إلى الاعادة في هذا الباب .

الفصل الثامن

في بحث يتعلق بالألفاظ والعبارات

ها هنا الفاظ أربعة (١) : وهي النفس والعقل والروح والقلب . وقد تذكر هذه الألفاظ ويراد بها جوهر النفس ، وقد تذكر والمراد منها (ج) غير ذلك .

وأما النفس فقد يذكر ويراد بها الأخلاق الذميمة ، والعقل يذكر ويزاد به العلوم الضرورية ، والروح يذكر ويراد به العضو المخصوص المحسوس ، فلتكن هذه الإصطلاحات معلومة لئلا يقع الخلط بسبب اشتراك الألفاظ .

(١) المحطوطه : " ففى

(ب) ايضا : الفصل

(ج) ايضا : فيها

الفصل التاسع

في نسبة هذه القوى إلى جوهر النفس

لأعلم أن العلماء ذكروا في هذا الباب أمثلة كثيرة :

المثال الأول (١) هو أن جوهر النفس كالملك والبدن مملكته ، و لهذا الملك جندان (٢) جند يرى الأبصار وهو الاعضاء الظاهرة ، و جند يرى بالبصائر وهي القوى المذكورة .

ولأعلم أن لوجود هذه القوى (الورقة ٢٧٤ و) المعنوية في تكميل مصالح النفس وفي تكميل مصالح البدن <قوة> أخرى .

أما النوع الأول من المعنوية فهو أن كمال النفس الناطقة في أن تعرف الحق لذاته والحيز لأجل العمل به ، لكن عمل الحيز مشروط أيضا بنور العرفان ، فاهم المهات للنفس اكتساب العرفان ، إلا أنها خلقت في مبدأ الأمر خالية عن معرفة أكثر الأشياء لكنها أعطيت الخواص الظاهرة والباطنة حتى أن النفس إذا أحست بواسطة هذه الخواص بالمحسوسات تنبهت لمشاركات بينها وبين مبانيات فتتميز (١) عند جوهر النفس عما به اشتراك تلك الأشياء <و> عما به إمتيازها ، و حينئذ يحصل في النفس تلك الصورة المجردة .

ثم أن تلك الصورة على قسمين : منها ما يكون مجرد تصوراتها موجبا جزم الذهن باسماد بعضها إلى بعض بالنفي والاثبات . ومنها ما لا يكون كذلك ، والأول هو البديهيات ، ولا بد من الإعراف

(١) المخطوطة : فتتجيز

بوجودها . إذ لو لم يكن لها وجود لافتقر جزم الذهن في كل قضية إلى الاستعانة بغيرها ، فيلزم إما الدور وإما التسلسل .

القسم الثاني : وهو الذى لا يكون مجرد تصورهما موجبا جزم الذهن فيها بالنفي والاثبات . وهى العلوم المكتسبة النظرية ، فثبت أنه لولا هذه الحواس لما تمكنت النفس من تحصيل المعارف البديهية و النظرية . ولذلك قيل : من فقد حسا فقد علما ، فهذا بيان معونة الحواس في تكميل جوهر النفس ، وأما معونتها في تكميل جوهر البدن وذلك لأننا لما بينا أن البدن بكونه حارا رطبا يكون أبدا في التحليل والذوبان ، ولأجل هذا السبب يحتاج إلى إيراد بدل ما يتحلل عنه ، ولا بد من التمييز بين ما يكون ملائما وبين ما يكون منافيا .

فهذه الحواس لها معونة في أن يحصل للإنسان وقوف على ما ينفعه ويضره ، فحينئذ يشتغل بجلب المنافع ودفع المضار ، فهذا بيان معونة الحواس في تكميل جوهر البدن .

وأعلم ان السعى في إصلاح مهمات جوهر النفس ، وذلك لأن النفس إنما دخلت في هذا العالم الجسماني لتكتسب العلم النافع والعمل الصالح ، وكل آلة النفس في هذا الإكتساب هو هذا البدن ، وما لم تكن الآلة صالحة لم يقدر المكتسب على الإكتساب ، فثبت ان الإشتغال بإصلاح مهمات البدن سعى في إصلاح مهمات النفس .

المثال الثاني : القلب في البدن كالوالى وقواه وجوارحه بمنزلة الملك والقوة العقلية المفكرة (٣) كالشیر الناصح ، والشهوة كالعبد (١) الذى يجلب الطعام إلى المدينة ، والغضب كصاحب الشرطة ، ثم إن

(١) المخطوطة : كالعبيد

الشهوة التي هي كالعبد الجالب للطعام إلى المدينة قد يكون خبيثا مكارا
مخادعا يتمثل بصورة الناصح لكن يجلب نصحه كل شر هائل ، وسم
قاتل ، وتكون عادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبيره ، وكما أنه
يجب على الملك العاقل أن يسلط وزيره الناصح على العبد الجالب للطعام
المخادع ثم على صاحب الشرطة ، وان لا يلتفت إلى تخليطها في حق
الوزير ، ليستقيم أمر المدينة ، فكذا (١) النفس الناطقة متى استنار بنور
العقل واستضاء بضوء العلم والحكمة ، وجعل الشهوة والغضب مقهورين
استقام أمر هذه الحياة الجسائية (الورقة ٢٧٤ ظ) ومن عدل عن هذه
الطريقة كان كمن قال الله تعالى في حقه : ” أفرأيت من اتخذ الهه
هواه “ . وقال : ” فانبج هواه (٤) ، فثله كمثل الكلب “ (ب) (هـ) ،
وقال : ” ونهى النفس عن الهوى (٦) ، فإن الجنة هي
الماوى “ .

المثال الثالث : البدن كالمدينة (٧) ، والنفس الناطقة كالملك ،
والحواس الظاهرة والباطنة كالجنود والاعضاء كالرعية والشهوة
والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته ، فان قصد
الملك قهر ذلك العدو استقامت المملكة وارتفعت الحصومسة ، كما
قال الله تعالى : ” وفضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة “ (٨) — وان لم ينازع عدوه وضع مملكة اختلت مملكته ،
وصارت عاقبة امره الى الهلاك .

المثال الرابع : مثل النفس الناطقة مثل فارس (٩) ركب لأجل

(١) المخطوطة : فكذى

(ب) ايضا : القلب ،

الصبيد ، فشهوته فرسه وغضبه كلبه ، فتى كان الفارس حاذقا وفرسه مرتاضا منقادا وكلبه معلما كان جديرا بالنجح ، ومتى كان فى نفسه اخرق ، وكان الفرس جموحا ، والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته على حسب ارادته ولا كلبه يسترسل باشارته فهو خليق بان يعطى فضلا من ان ينال ما طلب .

المثال الخامس : اعلم ان بدنك نسبته نسبة الدار الكاملة التى بنيت واكملت بنوتها وخزانتها وفتحت ابوابها ، واعد فيها كلما يحتاج اليه صاحب الدار ، فالرأس كالغرفة فى اعلى الدار والثقب التى فى الرأس والمنافذ كالرواسن والرواس فى غرفة الدار وسط دماغه كالانوار فى الدار والعين كباب الغرفة ، والانف كالطاق الذى فوق باب الدار ، والشفتان كصراعى الباب (١) ، والاسنان كالابوابين ، واللسان كالحاجب ، والظفر كالجدار القوى الذى هو حصن الدار ، والوجه كصدر الدار ، والريّة التى هى الجاذبة للنفس البارد كالبيت الصيفى ، وجريان النفس فيها كالهواء الذى يجرى فى البيت الصيفى ، والقلب مع حرارته الغريزية كالبيت الشتوى ، والمعدة مع نضج الغذاء فيها كالمطبخ ، والكبد مع حصول الدم فيها كبيت الشراب ، والعروق التى يجرى فيها الدم كما لك الدار ، والطحال بما فيه من السوداء كالجوابى (ب) (١٠) التى بقيت فيها الدرديات والمرارة بما فيها من الصفراء الحارة كبيت السلاح ، والامعاء بما فيها من ثفل الطعام كبيت الخلاء ، والمثانة بما فيها

(١) المخطوطة : الدار

(ب) ايضا : كالخوالى

— ٨٣ —

من البول كبيت البير ، والمسيلان (١) في اسفل البدن كالمواضع التي تخرج منها القاذورات من الدار ، والرجلان كالركب المطيع ، والعظام مع بناء الجسد عليها كالخشب التي عليها بناء الدار ، واللحم في خلال العظام كالطين والعصب الذي يربط به بعض العظام كالصناديق ، فسبحان من هيا في بيت بدنك بمسامير نفسك الناطقة هذه المصالح العجيبة والبدائع الغريبة ، فهذا ما يتعلق ببيوت هذه الدار .

ثم ان النفس الناطقة في هذه الدار كالملك والمتصرف ، فيبصر بالعين ويسمع بالإذن ، ويشم بالمنخرين ، ويذوق باللسان ، وينطق بالفم ، ويمسك باليدين ، ويعمل الصنائع بالأصابع ، ويمشي بالرجلين ، ويبرك على الركبتين ، ويقعد على الاليتين ، وينام على الجنبين ، ويستند بالظهر ويحمل الاثقال على الكتفين ويتخيل (الورقة ٢٧٥ و) بمقدم الدماغ ويتفكر بوسط الدماغ ، ويتذكر بمؤخر الدماغ (١١) ، ويصوت بالحنجرة ، يستنشق الهواء بالخيشوم ، ويمضغ بالاسنان و يبتلع بالمرى ، والمقصود من كل هذه الآلات والأدوات أن يتحلى بحلية العلم أى يتكيف بكيفية العرفان ، وتصير هذه النفس متنفسة (ب) بنفس الملكوت ، متحلية بنور اللاهوت .

ثم أنه تعالى فوض تدبير هذه المملكة إلى ثلاثة من الرؤساء (١٢) :

وأحد منهم هو الشهوة وسلطنتها في الكبد وجريانها مع الدم في

(١) المحطوطة : السيلان

(ج) ايضا : متنفسه

- ٨٤ -

العروق الساكنة ، ولهذا المعنى قال عليه السلام : " ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (١٣) ، وذلك لأن القوة الشهوانية لا تسرى إلا من الكبد مع الدم في العروق " .

والرئيس الثانى منهم هو قوة الغضب ومسكنها القلب وهى تجرى في العروق المتحركة إلى جميع أطراف البدن .

والرئيس الثالث القوة النفسانية المدبرة ومسكنها الدماغ ، وهى تجرى في الأعضاء إلى جميع أطراف البدن .

ثم هؤلاء الرؤساء الثلاثة لبسوا أشياء متباينة مستقلة بأنفسها بل هى كالفرع المتفرعة من أصل واحد - والاغصان النابتة من شجرة واحدة ، والمنبع الذى يتشعب منه ثلاثة أنهار ، والاب الذى يتولد منه أولاد كثيرون ، وكرجل يعمل أعمالا ثلاثة تسمى بثلاثة أسماء : الحداد و الصانع والبناء .

فهذه الثلاثة كلوك الأطراف الذين ولاهم الملك الأعظم ، فالشهوة تشبه أفعال النساء والصبيان والحمقى من الناس إذا لم يرد بهم آباءهم وأزواجهم ، والغضب تشبه أفعاله أفعال العيارين والقتالين إذا لم يرد بهم الملوك ، والقوة النفسانية المدبرة تشبه أفعالها أفعال الحكماء والفقهاء وأهل الخير والصلاح .

الفصل العاشر

في ان النفس الناطقة هل هي شئ متحد بالنوع أو مختلف
بالنوع ؟

نقل محمد بن زكريا عن القدماء لاسيما أفلاطون أن جميع النفوس
الإنسانية متساوية في الجوهر والماهية إلا أنها لأجل الآلات (١) المختلفة
تختلف أفعالها ، ولأجل هذا المذهب جوزوا التناسخ على النفوس .

أما الشيخ أبو (ب) علي بن سينا ، فإنه نقل عن ارسطاطاليس واتباعه
ان النفوس البشرية نوع مخالف بالماهية والحقيقة لنفوس سائر الحيوانات
إلا أن النفوس البشرية ماهية واحدة نوعية ، وإنما يخالف بعضها بعضها
بالذكاء والبلادة والعفة والفجور وسائر الأخلاق بسبب اختلاف الامزجة
البدنية ، وهذا هو الذى بصره الشيخ أبوعلى ، وذهب جماعة من قدماء
الحكماء وجماعة من المتأخرين ان النفوس الناطقة البشرية جنس يدخل
تحت أنواع ، وقد يكون بعضها يخالف البعض في الماهية الذاتية
والطبيعية الحقيقية ، فيكون بعضها خيرا لذاته ، وبعضها شريرا
لذاته .

ثم إن القائلين بهذا القول ترددوا في أنه هل حصل في الوجود
نفسان متساويان في تمام الماهية لا الحقيقة ، أو لم يوجد في ذلك بل
يكون كل نفس بأن نوعها لم يحصل إلا في شخصها شخص
واحد .

(١) المخطوطة : الآلات

(ب) أيضا : ابن

- ٨٦ -

وأعلم ان الأقوال النبوية دالة على أن النفوس البشرية قد تكون (الورقة ٢٧٥ ظ) مختلفة بالماهية (١) - قال عليه السلام : " الناس معادن كعادن الذهب والفضة (٢) ، وقال : النفوس جنود مجندة (٣) ، وقال في الكتاب الالهى : فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبدل لخلق الله " (٤) .

والذى يدل على أن النفوس الناطقة قد تكون مختلفة بالماهية و الحقيقة هوانا نرى الإنسان قد يكون مجبولا على الشر والنذالة ، ولو أن ذلك الإنسان يحمل من المجاهدات ما لا يمكن الزيادة عليه لم يتغير أصلا عن طبيعة الإيذاء ، بل قد يصير بسبب المجاهدة أو بسبب الزواج عن طبعه تلك الأفعال فلا يقدم عليها ، فأما لو ترك بنفسه مع مقتضى أصل جبلتها فإنها تميل إلى ذلك الشر ، وأيضا ربما انتقل مزاجه من الحرارة إلى البرودة ومن الرطوبة إلى اليبوسة وبالعكس ، ويكون مقتضى أصل خلقته ما فيه ولا يتغير .

وأیضا قد يكون الإنسان بخيلا بمقتضى أصل الفطرة ، ثم أنه لو صار ملك الأرض وملك خزائن الدنيا ، فإنه لا يزول عن جوهر نفسه ذلك البخل ، وقد يكون جوادا بمقتضى أصل الفطرة - فلو صار مع ذلك أفقر الخلق ثم وجد قليلا من المال فإنه لا يزول عن جوهر فطرته ذلك الجود .

فلما رأينا هذه الأحوال الأصلية لا تنتقل ولا تبدل الامزجة ولا باختلاف المعلمين > علمنا < أنها من لوازم الماهية الأصلية - فأما إذا رأينا انسانين متساويين فى الجود والبخل والسرقة والقوة وغيرها من الصفات ، فهذا لا يدل على تساوى تيمك النفسين فى تمام الماهية ،

لما ثبت أن الأشياء المختلفة لا يمتنع اشتراكها في اللوازم الكثيرة ، فعلى هذا لا يمكننا القطع بتماثل شئ من النفوس بل يبقى الاحتمال في أصل الكل .

احتج من قال بتماثل النفوس البشرية في الماهية بأن قال لا شك أنها متساوية في كونها نفوسا ناطقة ، فلو اختلفت بعد ذلك في أمر آخر دار بها (١) ، لكان ما به المشاركة غير ما به المايزة ، فيلزم وقوع التركيب في ذات كل واحد من هذه النفوس .

وكل مركب فإنه جسم ، فالنفس الناطقة جسم ، هذا خلف .

واعلم أن هذه الحجة ضعيفة لوجوه :

الأول أنه لا معنى لكونها نفوساً إلا أنها أمور مدبرة لهذا (ب) البدن ، وكونها مدبرة لهذا البدن وصف إضافي عرضي - فلم لا يجوز أن يقال جوه النفس مختلف في تمام ذواتها ، وإنما اشتراكها في هذه الصفة العرضية الخارجية ، وعلى هذا التقدير لا يلزم وقوع التركيب في ماهياتها ، فإن البسائط الموجودة المختلفة بتمام ماهياتها مشتركة في كونها موجودة ومذكورة ومعلومة ولم يلزم وقوع التركيب منها .

الثاني سلمنا أن النفوس البشرية متساوية في صفة ذاتية ، ثم أنها مختلفة أيضاً في صفة ذاتية فلانزاع انه يلزم كونها مركبة في ماهياتها ، فلم قلتم أن هذا التركيب محال .

أما قوله كل مركب جسم فهو مما لم يثبت بالبرهان ، والذي

(١) المخطوطة : دلرها

(ب) ايضاً : لهذه

- ٨٨ -

يدل على قولنا أن الحكماء قالوا ، الجوهر جنس يدخل تحته أقسام خمسة :
العقل والنفس ، والجسم والصورة والهيولى .

فنعول : العقل يشارك الجسم في الطبيعة الجنسية الجوهرية ،
ويخالفه (أ) في خصوص كونه عقلا ، فيكون العقل مجرد مركبا (ب)
ومشتركا في ماهيته مع أنه ليس بجسم ، فكذا (ج) هاهنا .

(الورقة ٢٧٦ و)

الفصل الحادى عشر

فى بيان أن اللذات العقلية أشرف وأكمل من اللذات
الحسية ،

لأعلم أن الغالب على الطبائع انفسه ، وإن أقوى اللذات وأكمل
السعادات لذة المطعم والمنكح والملك ، فإن لا يغتذوا (د) لذة ، ولا
ليجدوا المطاعم اللذيذة فى الآخرة ، ولا ليجدوا المناكح الشهية
هناك ، وهذا القول يزول عند المحققين وأرباب المجاهدات ويدل عليه
وجوه :

الحجة الاولى لو كانت سعادة الإنسان متعلقة بقضاء الشهوة و
لإمضاء الغضب لكان الحيوان الذى هو أقوى فى هذا الباب ألد وأقوى (أ)
من الإنسان ، فالأسد أقوى على تسلط الغضب والمصفور أقوى على

(أ) المخطوطة : وبخالفها

(ب) أيضا : حركتا

(ج) أيضا : فكذى

(د) أيضا : فإن لا تعبدا

— ٨٩ —

النكاح من الإنسان ، ولما لم يكن كذلك علمنا ان سعادة الإنسان غير متعلقة بهذه الأمور .

الحجة الثانية : كل شئ يكون سببا لحصول السعادة والكمال ، فكلما كان ذلك الشئ أكثر حصولا كانت السعادة والكمال أكثر حصولا ، فلو كان قضاء شهوة البطن والفرج سببا لكمال حال الإنسان وسعادته لكان الإنسان كلما أكثر اشتغالا بقضاء الشهوات البطنية والفرجية كان أكل إنسانية وأعلى درجة ، لكن التالى باطل ، لأن الإنسان إذا أكل بقدر الحاجة ، فإن زاد على ذلك كان مضرا (٢) وعد عليه ذلك من الدناءة والنهمة ، وكذا (١) القول في جميع اللذات البدنية ، وإذا كان الأمر كذلك ثبت أن الإشتغال بقضاء الشهوات ليس من السعادات والكمالات بل من دفع الحاجات .

الحجة الثالثة : أن الإنسان يشاركه في لذة الأكل والشرب جميع الحيوانات ، < حتى > الحسياسة منها - فلو كانت هي السعادة والكمال لوجب أن لا يكون للإنسان فضيلة في ذلك على الحيوانات ، فإن جعل يلتذ بأكل السرجين كما يلتذ الإنسان بالسكر واشباهه .

وتقرير هذا أن نقول : لو كانت سعادة الإنسان متعلقة بهذه اللذات الحسية لوجب أن يكون الإنسان اخس الحيوانات ، والتالى معلوم الفساد بالضرورة ، فكذلك المقدم فليس وجه الملازمة .

فنقول : إن الحيوانات الحسياسة مشاركة للإنسان في هذه اللذات

(١) المخطوطة : كذى

- ٩٠ -

الحسية البدنية ، إلا أن الإنسان تنتقص عليه هذه اللذات بسبب حصول القوة العقلية ، فإن العاقل إذا تأمل في الماضي ، فذلك الماضي إن كان لذيذا طيبا تألم قلبه بسبب فواته ، وإن كان منافيا مؤذيا تألم قلبه بسبب تذكره - وإن تأمل في الحال فهو لا يرضى بما كان حاصلا بل يطمع (١) نفسه إلى الزيادة عليها ، وإن تأمل المستقبل لم يعرف أن حاله في المستقبل كيف يكون فيستولى عليه الخوف الشديد ، فثبت أن الحيوانات الحسية مشاركة للإنسان في اللذات الحسية البدنية إلا أن الإنسان تنتقص (ب) عليه تلك اللذات بسبب العقل وسائر الحيوانات لا تنتقص (ب) عليها ولا تفكر فيها لكونها فاقدة العقل .

ومعلوم أن حصول الكمال بشرط الخلو عن التنقيص (ج) يكون أشرف من حصوله مع الكد والنقص (د) ، وذلك يدل على أن هذه اللذات الحسية البدنية لو كانت (الورقة ٢٧٦ ظ) موجبة لكمال الحال لكان الإنسان أحسن من النمل والدود والذباب ، ولما كان هذا التالى باطلا ، علمنا أن هذه اللذات الحسية موجبة للغبطة و السعادة .

الحجة الرابعة أن هذه اللذات الحسية إذا بحث عنها فهي ليست لذات (٣) بل حاصليها يرجع إلى دفع الآلام - والدليل عليه أن الإنسان كلما كان أكثر جوعا كان التذاذه بالاكل اتم ، وكلما كان الجوع أقل

(١) المخطوطة : يطمح

(ب) ايضا : تنتقص

(ج) ايضا : التنقيص

(د) ايضا : مع المكدة والمنقص

- ٩١ -

كان الالتذاذ بالأكل أقل ، وأيضاً إذا طال عهد الإنسان بالوقوع واجتمع المني في أوعيته ، حصلت في تلك الأوعية دغدغة شديدة وتمدد وثقل وكلما كانت هذه الأحوال أكثر كانت اللذة الحاصلة عند ادفاع ذلك المني أشد ، ولهذا السبب فإن لذة الوقوع في حق من طال عهده بالوقوع يكون أكمل منها في حق من قرب عهده به - فثبت أن هذه الأحوال التي ظن إنها لذات جسمانية فهي في الحقيقة ليست إلا دفع الآلام - وهكذا (١) القول في اللذة الحاصلة بسبب لبس الثياب فإنه لا يمثل (ب) لتلك اللذة إلا بدفع ألم الحر والبرد .

ولما ثبت أن هذه اللذات الجسمانية لا حاصل لها إلا دفع آلام ، فنقول : سعادة الإنسان ليست عبارة عن رفع الآلام ، لأن هذا المعنى كان حاصلًا عند عدمه ، فثبت أن السعادة الحقيقية للإنسان أمر مغاير لهذه الأحوال .

الحجة الخامسة هو أن الإنسان من حيث يأكل ويشرب ويجمع ويؤذى خصمه ، يشارك بسائر الحيوانات (٤) . ولا شك أنه من حيث أنه إنسان أشرف من حيث أنه حيوان ، فيلزم وقوع التساوي بين (ج) الجهة التي هي (د) الشريفة وبين الجهة الخسيسة في موجبات (هـ) الشرف والكمال ، وذلك محال .

(١) المخطوطة : هكذا

(ب) ايضاً : فإنه لحصل

(ج) ايضاً : من

(د) ايضاً : بين

(هـ) ايضاً : موجبات

- ٩٤ -

الحجة السادسة : العلم الضروري حاصل بأن بهجة الملائكة وسعادتهم اشرف من بهجة الحيوانات الطيار منها والساجح والسارح فضلا عن الذر والحشرات .

ثم لا نزاع < في > أن الملائكة ليس لها لذة الاكل والشرب والوقاع ، و < لا > هذه الحيوانات الخسيسة اشرف حالا واعلى درجة من الملائكة المقربين ، ولما كان ذلك باطلا بالبداهة علمنا كون المقدم ايضا باطلا .

واعلم أن هاهنا ما هو اقوى واعلى درجة مما ذكرناه - وهو انه لا نسبة لكمال واجب الوجود وجلاله وشرفه وعزته الى احوال غيره - مع أن هذه اللذات الخسيسة ممتنعة عليه - فعلمنا ان الكمال والشرف قد يحصلان باحوال سوى تحصيل هذه اللذات الجسدانية .

فإن قالوا انما ذلك الكمال لاجل حصول الالهية لكن حصول الالهية في حق الخلق محال ، فنقول : لا نزاع في ان حصول الالهية في حق الخلق محال ، لكنه عليه السلام ، قال : تخلقوا باخلاق الله اه . فيجب علينا أن نعرف معنى ذلك التخلق حتى عرف ان كمال حال الانسان انما يحصل بسبب ذلك التخلق لا بسبب تحصيل اللذات الجسمانية . ومعلوم أن ذلك التخلق لا يحصل الا بقطع الحاجات وافاضة الخيرات والحسنات لا بكثرة الاكل والشرب .

الحجة السابعة ان هاؤلاء الذين حكموا بان سعادة الانسان في تحصيل هذه اللذات (الورقة ٢٧٧ و) البدنية إذا رأوا انسانا اعرض عن طلب هذه اللذات مثل أن يكون مواظبا على الصوم مكتفيا بمباحات الارضي ، عظم اعتقادهم فيه ، وزعموا انه ليس من جنس البشر بل

— ٩٣ —

هو من زمرة الملائكة ويعدون انفسهم بالنسبة اليه اشقياء اراذل -
واذا راوا انسانا مستغرقا في طلب الاكل والشرب والوقاع معروف
الهمة الى أن يحصل اسباب هذه الاحوال معرضا عن العلم والعبادة ،
والزهد ، وقضوا (١) عليه بالبهيمية والخلاعة والبطالة والخزى والتكال
ولولا انه تقرر في عقولهم ان الاشتغال بتحصيل هذه اللذات الجسدانية
نقص ودناءة وخساسة ، وان الترفع عن الإلتفات اليها سعادة وكمال
حال - وإلا لما كان الأمر على ما قلنا ، ولكان يجب ان يحكموا على
المعرض عن تحصيل هذه اللذات بالخسار والتكال ، وعلى المنهمك في
تحصيلها بالسعادة والكمال . ولما لم يكن الأمر كذلك بل كان بالضد
منه علمنا صحة ما ذكرناه .

الحجة الثامنة : كل شئ يكون في نفسه كمالا وسعادة ،
وجب ان لا يستحي (ب) من اظهاره ، بل يجب ان يفتخر باظهاره ،
وينجح بفعله .

ونحن نعلم بالضرورة ان احدا من العقلاء لا يفتخر بكثرة
الاكل ولا الشرب ولا المناكح ولا بكونه مستغرق الوقت والزمان في
هذه الاعمال وأيضا فالناس لا يقدمون على الوقاع إلا في الخلوة . فاما
عند حضور الناس فلا احد من العقلاء لا يجد من نفسه تجويز الاقدام
عليه ، وذلك يدل على انه فعل خسيس وعمل يمت يستحي (ج) منه .
وأيضا ، فقد جرت عادة السفهاء ان لا يشتم بعضهم بعضا إلا

(١) المحطوطه - : قضا

(ب) ايضا : لا يستحيا

(ج) ايضا : يستحيا

بذكر الفاظ الواقع . ولو أن واحدا من السفهاء احرى بحكى عند حضور
الجمع العظيم ان فلانا كيف يواقع زوجته . فان ذلك الرجل يستحي
من ذلك الكلام ويتأذى من ذلك القائل ، وكل هذا يسدل على ان
ذلك الفعل ليس من الكمالات لا من السعادات بل هو عمل ياتل وفعل
قبيح .

الحجة التاسعة : كل حيوان كان ميله الى الاكل والشرب
والايداء اكثر ، وكان قبوله للرياضة اقل كانت قيمته عند الناس اقل ،
وكل حيوان كان اقل رغبة في الاكل والشرب وكان اسرع قبولاً
للرياضة كان قيمته عند الناس اكثر . ألا ترى ان الفرس الذى يقبل
الرياضة والتعليم والكر والفر والجري الشديد فإنه يشتري بالثمن الكثير ،
والضامر اشد جرياً واسبق من البطين السمين ، وكل فرس لا يقبل
الرياضة ، ولا هذه الافعال ، ويوضع على ظهره الاكاف (٦)
ويحمل الاثقال ويسوى بينه وبين الحمار لا يشتري (١) الا بالثمن
القليل ، فإذا كانت الحيوانات التى هى غير ناطقة لم يظهر فضائلها
ومنافعها بسبب الاكل والشرب ، بل بأمور آخر . فما ظنك بالحيوان
الناطق العاقل ؟

الحجة العاشرة : سكان اطراف الأرض لما لم يكمل عقولهم
واخلاقهم ومعارفهم لا جرم صاروا فى غاية الخسة والدناءة .
ألا ترى ان سكان الأقليم الاول وهم الزوج ، وسكان الاقليم
السابع وهم الصقالب لما قل نصبهم من المعارف الحقيقية والاخلاق
الفاضلة لا جرم تقرر فى العقول حظ درجاتهم ودناءة مراتبهم ،

(١) المحظوظة : ولا يشتري

— ٩٥ —

واما سكان وسط (٧) المعمور لما حازوا المعارف الحقيقية والاخلاق
الفاضلة لا جرم أقر كل احد بانهم خير طوائف البشر (الورقة
٢٧٧ ظ) وافضلهم وذلك يدل على ان فضيلة الانسان وكماله لا يظهر
إلا بالعلوم والمعارف والاخلاق الفاضلة لا بالاكل والشرب والوقاع .

الفصل الثاني عشر

في شرح ما في اللذات الحسية من وجوه الذم والنقصان

اعلم أن الشيء قد يكون مذموماً (١) لذاته وقد يكون مذموماً لغيره ، واللذات الحسية مشتملة على الوجهين .

أما كونها مذمومة لذاتها فيدل عليه وجوه :

الأول وهو الأصل والعمدة في الباب أن هذه اللذات ليست في الحقيقة بلذات بل حاصلها يرجع إلى دفع الآلام (١) ، فإنه لا معنى للذة الأكل إلا دفع ألم الجوع ، ولا معنى للذة الوقاع ، إلا لدفع المشتهاة (ب) بالمنى لما كثرت واحتقنت في أوعية المنى أوجبت تمديد تلك الأوعية وحدوث دغدغة مولة منها ، فاندفاعها يوجب زوال تلك الآلام . ولا معنى للذة الملابس سوى دفع ألم الحر والبرد .

بل نقول : إن الإنسان إذا أراد قضاء الحاجة من البول أو الغائط فربما تعذر عليه ذلك لأسباب إضافية من خارج ، فحينئذ يعظم ألماء بسبب أمثال هذه الفضلات ، ثم أنه بعد الألم الشديد إذا قدر على دفعها وجد لذة عظيمة وراحة تامة ، وكلما كان ألمه بإمساكها واحتقانها أشد كان التذاده باندفاعها أشد وأكثر ، وذلك يدل على أن حاصل هذه اللذات دفع الآلام . إذا عرفت هذا ظهر لك هذه الأشياء التي يظن بعض الناس أنها لذات ليست بحقيقة بل هي سعى في دفع الآلام و

(١) المخطوطة : سكرما

(ب) ايضاً : المسحاة

إشتغال النفس في ذلك ألم آخر ، وما كان كذلك فليس من السعادات ولا الكمالات البتة .

الثاني أن الشيء كلما كانت الحاجة إليه أشد كان الإلتذاذ به أقوى إذا وجد وبالعكس ، كلما كانت الحاجة إليه أقل واضعف كان الإلتذاذ به إذا وجد أقل ، ألا ترى أنك رميت قلادة من الدر بين يدي الكلب لم يلتفت إليها ، إذ لا حاجة له بها ولو رميت إليه عظاما قفز إليه وأختطفه وقاقل عليه من ينازعه، والإنسان بالعكس من ذلك فإنه يفرح ويهش لو وجدان القلادة من الدر ويلتذ إما ليتزين بها أولينتفع بثمنها . وإن طرح العظم عنده لم يلتفت إليه لعدم الحاجة إليه . فثبت أن اللذة والطلب على قدر الحاجة ، إلا أن الحاجة آفة ومحنة وبلية ، والشيء إذا لم يتم حصوله إلا بالبلاء والمحنة كان هو أيضا كذلك ، فثبت أن هذه اللذات الجسدانية كالخبيص المسموم في أبدان تلتذ بحلاوته ، وهو وهم صم قاتل .

ولقائل أن يقول هذا الاشكال وارد عليكم في اللذات الروحانية ، إلا أنا نقول الجواب عنه سيأتي .

الثالث : هذه اللذات بتقدير أن تكون في أنفسها لذات إلا أن الإلتذاذ بها لا يحصل إلا حال حدوثها ، فإن أستمريت لم يبق الإلتذاذ بها في استمرارها ، والسبب فيه أن اللذة يعتبر في حصولها إدراك الملائم وانفعاله عنه وذلك لا يحصل إلا في أول زمان الحدوث . أما بعد ذلك فهو حال الإستمرار والإستقرار ، وفي حال الإستقرار لا يكون الانفعال . فلا يحصل الشعور ، وإذا لم يحصل الشعور لا يحصل الإلتذاذ .

الرابع أن الإنسان إذا استوفى من هذه اللذات قدر الحاجة والكفاية فإنه لا يلتذ بعد ذلك بما يستعمله منها ، بل يملها (١) ويسأم منها ، ثم بعد حصول (الورقة ٢٧٨ و) الملل لو كلف باستيفائها مرة أخرى لتألم بأدراكها ، فإنه إذا أكل أكلا تاما وكلف بعد ذلك بالاكل تألم به . ومن قضى وطره من الوقاع ثم كلف بالزيادة عليه لتألم منه ، وهذا يدل على أن هذه اللذات ليست في أنفسها خيرات وسعادات ، بل إنما ينتفع بها عند حصول الاحتياج إليها ، فعند زوال الحاجة نصير هذه الاشياء كلا ووبالاعلى النفوس والأرواح .

الخامس الأشياء التي تستلذ وتستطاب في الدنيا قد كانت موصوفة بصفات مكروهة منفرة وستصير أيضا كذلك . ألا ترى أن الحنطة قد كانت قبل صيرورتها حنطة عفنة في رطوبة الأرض ممن صارت عسبا وتشربت رطوبات الفاذورات والمرجين . ثم إذا استوت وصنعت فأكلت اختلطت في الفم بالبصاق واللعباب الذي لورآه آكله لأنف من أكله واستقذره ، ثم يعود في آخر الأمر إلى الرجيع المتن والشئ المستبعد ، وكذا (ب) اللحوم والحلاوات والفواكه ، فالعاقل إذا تأمل فيها وجدها منتنة الأصل ، قذرة الجوهر ، فاسدة السنخ (٢) ، إلا أنه تعالى أعارها لونا ورائحة وطعما في زمان قليل مقدار ما ينتفع المكلف به ليقدر به على طاعة الله ومصالح معاشه ، ثم أنها في الحال تعود إلى القذارة الأصلية والرداءة الطبيعية .

السادس أن استعمال هذه اللذات ينافي معنى الإنسانية ، وذلك

(١) المخطوطة: " يملها "

(ب) أيضا : كذى

- ٩٩ -

لأن الإنسان إنما يكون إنسانا لحصول نور العقل وإطلاعه على عالم الغيب والأنوار الإلهية ، فإذا اشتغل الإنسان باستيفاء هذه اللذات الجسدانية تكدرت القوة العقلية ، وانسد عليه باب المعارف ، وصارت البهيمية عليه غالبية ، والإنسانية مفقودة ، ولما كان شرف الإنسان باستيفاء هذه اللذات الحسية يبطل عليه معنى الإنسانية ، ثبت ان الإشتغال بها شيء في غاية المذمة .

السابع أن أصل أحوال الإنسان لإشتغاله بمعرفة الله تعالى وأقباله على طاعته واستغراقه في محبته ، ثم إشتغال الإنسان باستيفاء اللذات الجسدانية والطيبات الحسية بمنعه عن عبودية الله ويصده عن ذكر الله ، ولما كانت تلك المعارف أشرف مراتب المخلوقات وهذه اللذات الحسية ما نعة عنها كانت هذه اللذات أخس الأشياء ضرورة أنه كلما كان الشيء أشرف كان ضده العايق عنه والمنافي لحصوله أخس ، فهذه وجوه دالة على كون الدنيا مذمومة لذاتها .

فأما الوجوه الدالة على كونها مذمومة لأمر لازم لها فكثيرة - ونحن نشير إلى بعضها : فنقول :

الأول انها سريعة الزوال ، قريبة الانقضاء ، ومعلوم أن الإنسان إذا أحب شيئا ، ثم اتصل بمحبوبه والتذ بمواصلته وابتهج بالإختلاط به ثم إنه فارقه وأنفصل عنه ، تألم بسبب ذلك الفراق ، ويكون مقدار التألم الحاصل بسبب مفارقتة مساويا لمقدار الإلتذاذ الحاصل بسبب مواصلته ، وإذا كان كذلك فكلما كان حب الدنيا أشد في هذه الحياة كانت الآلام الحاصلة بمفارقتة بعد الموت والحمرات المترادفة هناك أقوى وأكمل ، ثم مع حصول التساوى من هذا الوجه حصل الترجيح

— ١٠٠ —

لجانب الآلام فهذه اللذات منقطعة وتلك الآلام غير منقطعة ، فلهذا السبب صارت اللذات الجسمانية مذمومة (الورقة ٢٧٨ ظ) عند العقلاء .

الثاني أن لذاتها غير خالصة بل هي ممزوجة بالآلام والحسرات (١) بل الإنسان لو تأمل لوجد اللذة قطرة والألم بحرا لا ساحل له (ب) ، و نحن ننبه على معاهد هذا الترجيح .

فنقول : هذا الترجيح حاصل من وجوه :

أولها أن الضرر منه ثلاثة ، الماضي والحال والمستقبل :

أما الماضي فنقول : الاحوال التي كانت حاصلة للإنسان في الزمان الماضي ، إما أن يقال أنها كانت اسبابا للسعادة واللذة ، أو كانت أسبابا للذة والألم ، أو كانت غير موجبة لذلك ولا لهذا ، فإن قدرنا أنها كانت موجبة للسعادة والغبطة ، فيما أن يقال : انها بقيت أو ما بقيت فإنها موجبة (ج) للسعادة ، وقد بقيت إلى الوقت الحاضر فن المعلوم لمرتبة إلا وفوقها مراتب غير متناهية هي أعلى وأكمل منها ، وإذا كان كذلك فكما ابتهج الإنسان بتلك السعادة التي كانت حاصلة في الماضي ، وبقيت إلى الزمان الحاضر حاصلة في قلبه شعور سائر (د) المراتب التي ما وجدها وما وصل إليها ، فيقع في قلبه أنواع من الحسرة بسبب ما فاتته من تلك السعادات .

(١) المخطوطة: "الخسران"

(ب) أيضا: يحرر لا سال له

(ج) أيضا: فإن موجبه للسعادة ،

(د) أيضا: شعور بسائر المراتب

وأما إن كانت الأحوال الماضية موجبة للسعادة ثم أنها ما بقيت بل فانت ، فكلمها تذكر الإنسان تلك المراتب الفانيّة اشتعلت نيران الحسرة في قلبه بسبب فواتها بعد حصولها وزوالها بعد وجودها .

وأما إن كانت تلك الأحوال لا موجبة للسعادة ولا للشقاوة ، فحينئذ كانت من باب العبث الذي لا فائدة فيه - وكلمها تذكر الإنسان تلك الأحوال عرف أنه قد ضيع ذلك الذي مر من عمره في العبث الذي < لا > فائدة فيه ، مع أنه كان يمكنه أن يصرف أوقاته في اكتساب السعادات العالية والدرجات الرفيعة ، وحينئذ تشتعل نيران الحسرة و الأسف في قلبه بسبب تضييع العمر ، ثم أنه ربما رأى أقرانه واشباهه قد اجتهدوا في سالف العمر في طلب الفضائل وفازوا بسبب ذلك الجهد والجهاد فآزرين بالمناقب العالية والمراتب الشريفة ، فإذا رأى نفسه نازلا نحسبنا متخلفا عن أقرانه واشباهه مات غما واسفا ، فثبت أن تأمله في الأحوال الماضية لا يفيد إلا الحزن والأسف .

وأما الحالة الراهنة القائمة فأمر عجيب ، وذلك لأنها لا بد وأن تكون نهاية الماضي وبداية المستقبل ، ومتى كان ذلك منقسما (١) ، وليس كذلك ، إذ لو كان ذلك الوقت منقسما لكان بعض الأجزاء المعرضة قبل البعض ، فحينئذ لا يكون كله حاضرا ، هذا خلف .

وإذا عرفت هذا ظهر أنه لا يمكن أن يكون الزمان الذي هو مقدار طرف العين حاضرا لأن ذلك الزمان حصل فيه حركة طرف الجفن على سطح الحدقة ، و سطح الحدقة منقسم بأقسام ولانهاية لها عند الحكماء ، وبأقسام كثيرة متناهية عند غيرهم ، وعلى هذا التقدير يكون الآن

(١) المخطوطة: " ذلك منقسمة "

— ١٠٤ —

الحاضر قسما من تلك الأقسام الكثيرة الخارجة عن الحد والحصر من اللحظة الواحدة ، وهذا القدر القليل ما لا يتصوره العقل ، ولا يضبطه الحس والخيال ، فامتنع أن يحصل فيه الإلتذاذ والإبتهاج الحقيقي في نفس الأمر ، وما سوى ذلك الآن الذى لا ينقسم فبعضه ماض وبعضه مستقبل ، وكلاهما معدومان في الحال ، فثبت أن هذه الأشياء التى نظن أنها سعادات فهمى ليست كذلك فى أنفسها ، بل هى خيالات فاسدة وأوهام باطلة .

الثانى ، ان عادة الإنسان (الورقة ٢٧٩ و) ان كل ما كان حاصلًا له وموجودا بالفعل عنده فإنه لا يلتذ به ولا يميل قلبه إليه ، بل لا يلتذ إلا بوجودان المفقود وطلب المعلوم ، فعلمنا أن الإنسان لا يلتذ بما كان حاصلًا فى الحال ، وأما المستقبل اما (أ) يوافقــه أو يخالفه ، وإذا كان كذلك ، لم تكن ننظر (ب) فى المستقبل الأشياء للخوف الشديد والفرع التام - فثبت بما ذكرنا أن الازمنة ثلاثة - الماضى والحال والمستقبل .

ونظر الإنسان فى أى واحد منها كان يوجب الغم الشديد والحسرة والألم والنفرة ، والخوف الشديد - فثبت بما ذكرناه أن الإنسان لا ينفك عن الغم والحزن إلى هذه الأحوال .

الموجب الثانى من موجبات استيلاء الغم والحزن على الإنسان ، وذلك لأن الإنسان إما أن يعيش بحيث يكون مختلطا بالناس أو بحيث يكون منفردا عنهم .

(أ) المخطوطة : " وأما المستقبل ما يوافقــه أو يخالفه
(ب) أيضا : لم يكن مطره فى المستقبل الاشياء الخ

— ١٠٣ —

أما الأول فإنه سبب قوى للغم والحزن والوحشة ، فإن المخالطة موجبة للمنازعة إما في الحال وإما في المستقبل ، إما في كل الأمور أو في بعضها ، والمنازعة موجبة لقصد (أ) كل واحد من المتنازعين قهر صاحبه بوجه ما والمقهورية موجبة للغم والحزن .

وأما الثاني ، وهو أن يعيش منفردا عنهم فذلك أيضا من أقوى موجبات الغم ، إلا أن الإنسان خلق بحيث لا تكمل مصالحه البتة إلا بالجمع العظيم ، فإذا انفرد عن ذلك الجمع اختلف مصالحه - فثبت أن حياة الإنسان مع المخالطة بالغير توجب الرحمة والوحشة ، ومع الإنفراد توجب الوحشة والكآبة ، فثبت أنه لا خلاص البتة عن المهوم والآلام .

الموجب الثالث من موجبات الغم والحزن ، وهو إما أن يكون أكمل من غيره أو مساويا له أو أنقص منه ، فإن كان أكمل من غيره كان ذلك الغير ناقصا ، والنقص مبعوض لذاته مكروه لعينه - فذلك الناقص لا يمكنه دفع النقص عن نفسه إلا بإبطال كون ذلك الغير أكمل ، وما كان من لوازم المطلوب لذاته يكون أيضا مطلوبا ، فلهذا السبب حيل الناقص على السعى في إبطال كمال الكامل إما بإطالا في نفسه وذاته ، وإما بإخفاء ذلك الكمال عن أعين الناس ، وكل واحد من هذين القسمين فإنه حالة منافية بالذات لذلك الكمال وموجبه وقوع الحزن وألم القلب وتشويش الخاطر .

وأما إن كان مساويا لغيره فنقول : الكمال محبوب لذاته فلا جرم كان كل واحد من المتساويين يريد (ب) إرادة حازمة أن يجعل نفسه أكمل

(أ) المخطوطة : قصد
(ب) أيضا : يريد إرادة حازمة

— ١٠٤ —

من غيره وأعلى منه وأشرف، لكن كون كل واحد منهما أعلى من الآخر محال ، فلهذا السبب لا بد وأن يقع بينهما التنازع الشديد والتحارب التام ، وقد عرفت أن المنازعة سبب لحصول الخوف والغم والوحشة ، وأيضا فهذان المتساويان إن صار أحدهما مرجوحا فقد تألم قلبه جدا ، لأن حصول المرجوحية مكروه بالذات ، وذلك مؤلم للقلب، وإن صار راجحا تألم قلب ذلك المرجوح - ثم إن ذلك المرجوح يسعى بأقصى ما يقدر عليه على إزالة (١) تلك المرجوحية ، لكن زوال مرجوحيته يوجب زوال راجحية الراجع ، وذلك مكروه له بالذات . فذلك الراجع يخاف من زوال تلك الصفة عنه ، وذلك الخوف موجب للألم، فثبت أن الإنسان ان حضر مع من يساويه فإنه لا ينفك عن الغم والحسرات (ب) - وأما إن كان مرجوحا بالنسبة إلى غيره فالمرجوح كلما نظر إلى الراجع فرأى ما معه من الرفعة والبهجة والسرور ، وجد نفسه محروما عنها ، فلا شك أنه تشتعل نيران (الورقة ٢٧٩ ظ) الحسرات (ج) في قلبه - وأيضا فالراجع يجعل المرجوح نصيبا للموحيات وهدفا للموحيات ، وكل ذلك مما يغم القلب . فثبت أن الإنسان سواء كان أكمل من الغير أو مساويا له أو أنقص منه ، فإنه لا ينفك البتة من الغم والحسرة وتوحش الصدر وألم القلب .

الموجب الرابع من موجبات الغم والحزن انه لا يشك أن الإنسان له عقل يهديه وهوى يرديه - والهوى الذى يرديه له أعوان

(١) المخطوطة: على ان ازاله الخ

(ب) ايضا: الغسرات

(ج) ايضا: الغسرات

كثيرة ، وهى الشهوة والغضب والحرص والحواس الظاهرة والباطنة .
أما العقل فليس له فى جوهر الإنسان صفة أخرى تقويه ، فكان
العقل أضعف من الهوى لا محالة لهذا السبب - وأيضا فالإنسان من أول
فطرته كان مطيعا للذات الحسية منقادا لها مقبلا عليها .

وأما نور العقل فلا يظهر فيه < إلا > بعد مدة من عمره ، و
قالوا : العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر - والحكماء قالوا : إن التكرير
سبب لحصول الملكات العقلية ، وإذا كان كذلك كان انجذاب النفس
إلى الذات الحسية أكمل من انجذابها إلى الذات العقلية ، ولا معنى
للهوى إلا الانجذاب إلى الذات الجسمية والسعادات الجسمية ، فثبت أن
جانب الهوى راجح على جانب العقل رجحانا كثيرا .

إذا عرفت هذا فنقول : مقتضى ما ذكرناه أن يكون أغلب
الأفعال الصادرة عن الإنسان يكون من مقتضيات الهوى ومع جنس
الأفعال الذميمة ، ثم إن الإنسان بعد إقدامه عليها وفراغه منها ، و
انصرافه عنها يبقى العقل فارغا عن منازعة الهوى ، فحينئذ يطلع الإنسان
على قبحها وسفافتها ، واشتهاها على الوجوه الكريهة الذميمة ، ولكنه
إنما يطلع بعقله على هذه القبائح بعد وقوعها وبعد وقوع الفعل
لا يمكن دفعها ومنعها ، فلا يبقى مع الإنسان إلا الحسرة والندامة و
الحجالة .

ولما بينا إقدام الإنسان على مقتضيات الهوى هو الغالب الراجح
بحكم ما قدمنا أن يكون بقاؤه فى النعم والحسرة هو الغالب الراجح ،
وذلك يدل على أنه يجب أن يكون الإنسان فى أغلب أحواله ملازما
للحسرات مقارنا للزفريات .

الموجب الخامس من موجبات الغم أن درجات السعادة والرفعة غير متناهية وتحصيل ما لا نهاية له محال ، ينتج أن حصول جميع الدرجات للإنسان محال ، وقد ثبت أن تكرير العقل موجب للملكة - فالإنسان كلما كانت مواظبته على اللذات الجسمانية أكثر ، كان ميله إلى ذلك الإلتئاذ أكثر وأقوى - وكلما كان ميله إلى الإلتئاذ أقوى كان طلبه لإستجذاب ما كان مفقودا أكثر - ولما كان تحصيل تلك المراتب التي لا نهاية لها محال لزم آخر الأمر أن يبقى الطلب الشديد المتأكد مع إمتناع حصول المطلوب في ذلك يوجب الألم الغذاء .

وثبت أن الميل إلى اللذات يوجب الآلام بتقدير حصولها ، وأما بتقدير عدم حصولها فحصول الآلام (١) أظهر - ولهذا السبب قال بعض الحكماء المحققين : من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمن اطفأ (ب) النار بالتبن ، فثبت بهذه الوجوه (الورقة ٢٨٠ و) أنه يمتنع (ج) أن تكون لذات الدنيا خالية عن الغموم والهموم ، وكلها آلام وأسقام .

ثم إنك إذا تأملت في أحوال الفقراء تفكرت في أمورهم وماهم فيه من الإنكاد وتوجه الموزيات ، وقصد الأعداء ، وترادف الاحزان وجدتها بحرا لا ساحل له ، واللذة التي تحصل للإنسان تكون كالقطرة في البحر ، فثبت بما ذكرناه أن اللذات الجسمانية مخلوطة بالآلام والاسقام والموزيات ، فلا جرم كانت مذبذبة من هذا الوجه .

السبب الثالث من الأسباب الخارجية الموجبة لكون الدنيا مذبذبة

(١) المخطوطة : الام

(ب) ايضا : طفئ

(ج) ايضا : انه لا يمتنع

- ١٠٧ -

هو أن الغالب أن الإنسان الذى يكون خسيسا فى نفسه وقوته وحسبه ونسبه ، يكون راجحا فى السعادات الجسمانية على من كان شريفا فى نفسه وعقله وحسبه ونسبه ودينه ، ولهذا قال عليه السلام : لو كانت الدنيا وزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء (٣) .

أما السبب الرابع من خاصة اللذات الجسمانية أنك كلما سددت منها ثلثة انفتحت عليك ثلثة كثيرة هكذا إلى ما لا نهاية له . ومثاله أن الإنسان إذا ضعف عن الشئ واشترى فرسا فحينئذ يحتاج إلى خادم يخدم الفرس وإلى قرية يحصل منها علفه ، وإلى أسطبل يربط فيه الفرس . ثم أن احتياجه إلى كل واحد من هذه الأشياء تفتح عليه أبوابا كثيرة من الحاجات أكثر ما تقدم - وهكذا (١) إلى غير النهاية ، و لهذا السبب نقل عن عيسى عليه السلام أنه قال (٤) : ان مهمات الدنيا لانتم بالإصلاح والتكميل وإنما تم بالترك والإعراض .

(١) المخطوطة : " وهكذا

— ١٠٩ —

القسم الثاني من الكتاب
في علاج ما يتعلق بالشهوة
وفيه فصول

— ١١٠ —

الفصل الأول

في حب المال

إعلم أن الآيات الكثيرة قد وردت في مدح المال تارة وفي ذمه أخرى .

أما آيات المدح فهو قوله : (١) > قل ما أنفقتم من خير فلولو الدين والأقربين ؛ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم الخ ؛ وابتغوا من فضل الله < (١) .

وأما آيات الذم نحو قوله تعالى : ” لأنلهم أموالكم ولأولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون “ (٢) ، وقوله : ” إنما أموالكم وأولادكم فتنة “ (٣) ، وقوله : ” ألهاكم التكاثر “ (٤) .

ولما تعارضت الآيات فلا بد من التوفيق ، وطريق التوفيق لا يمكن للإنسان إلا ببيان مراتب الفضائل ، وهي ثلاثة (٥) :

النفسانية — وهي العلوم ، والأخلاق الفاضلة .

والبدنية — وهي الصحة والجمال .

والخارجية — وهذه الخارجية منها قريية وهي الطعام والشراب وهما يخدمان البدن ، والبدن يخدم النفس ، والنفس يستكمل بالعلوم والأخلاق الفاضلة ، فهذان مخدمومان على الإطلاق .

> ومنها بعيدة ، وهي المال < (ب) والمال خادم على الإطلاق فإن صرف المال إلى تحصيل العلوم وتهذيب الأخلاق كان محموداً ،

(١) هذه الآيات غير موجودة في المخطوطة .

(ب) هذه العبارة ليست في المخطوطة .

- ١١١ -

وإن صرف إلى اللذات الحسية التي عرفت كونها مذمومة كان مذموماً .

فهذا طريق التوفيق بين هذه النصوص لأنه (١) بالأول يحصل السعادة الأبدية ، وبالثاني يحصل الشقاوة الأبدية .

الفصل الثاني

في أنه كيف يتوسل بالمال إلى إكتساب السعادة الروحانية .

المال إما أن يصرفه الإنسان إلى نفع نفسه (١) أو إلى نفع غيره ، أما الأول فهو أن الإنسان خلق محتاجاً إلى المطعم والملبس والمسكن و المنكح ، فإن لم يدفع عنه هذه الحاجات لم يقدر على اكتساب الكمالات في قوته النظرية والعملية ، لكن تلك الحاجات لا تندفع ولا تتمحصل إلا بالمال ، (الورقة ٢٨٠ ظ) فكان في المال معونة من هذا الوجه على اكتساب السعادات الروحانية .

وأما الثاني ، وهو ما إذا صرف الإنسان ما له إلى غيره (٢) ، فذلك الغير ، إما أن يكون معيناً أو غير معين .

أما القسم الأول ، وهو صرف المال إلى شخص معين ، فإما أن يكون ذلك الصرف لدفع ضرر (٣) ، وهو كما إذا دفع بعض أمواله إلى بعض الظلمة ليتخلص عن ظلمه أو يدفع إلى شاعر فخاف أن يقع فيه ، وأن يهجمه لثلايفعل ذلك - وإما أن يكون ذلك الصرف لغرض تحصيل النفع ، وذلك النفع إما أن يكون دنيوياً أو أخروياً .

(١) المخطوطة: " لان

- ١١٢ -

والأول قسمان : أحدهما أنه إذا كان مشغولا أبدا بإكتساب الفضائل النفسانية من العلوم والأخلاق لم يتفرغ للقيام لمصالحه الدنيوية ، فيحتاج إلى من يخدمه في هذه المصالح ، فيحتاج إلى صرف طائفة من ماله إليه عوضا عن تلك الخدمة (٤) .

الثاني أن يبذل طائفة من ماله لأجل المروءة (٥) وإكرام الأضياف ، كل ذلك حسن محمود ، وأما الذي يكون للنفع الاخرى فهو كالزكوة (١) والصدقات .

وأما القسم الثاني وهو الذي يدفع ماله إلى شخص غير معين كبناء المساجد والقناطر (ب) والرباطات ودور المرضى ، وحفر الآبار والمصانع ونصب جار الماء في الطرقات ، فهو أيضا حسن (٦) ، وهو بيان الإنتفاع بالمال .

وأما بيان ما فيه من الآفات فن وجوه (٧) :

الأول أن الشهوات الجسمانية غالبية على الطباع ، فإذا حصلت القدرة على تحصيل تلك اللذات وعند حصول القدرة مع الداعي وزوال العائق يقع الفعل .

الثاني أن هذه حصول المال يتنعم الإنسان بالمباحات ظاهرا ، لأن الداعي قائم والموانع زائل فيقع الفعل ، ثم إذا أُلِف ذلك التنعم ربما (ج) قل ما له ولم يمكنه أن يصبر عن ذلك التنعم فيقع بعديه في الكسب الحرام ، وينفتح عليه بهذا السبب جميع أبواب الأخلاق الذميمة .

(١) المخطوطة : " كالزكوات ،

(ب) أيضا : القناطر

(ج) أيضا : وبما ،

- ١١٣ -

الثالث أن حفظ المال صعب عسير وما لم يصرف الإنسان كل جهده إليه لم يبق محفوظا ، وانصراف قلبه إلى هذا المهم يمنعه عن الإشتغال بذكر الله تعالى ، " لأنه ما جعل لرجل من قلبين في جوفه " ٨) .

الفصل الثالث

في الحرص والبخل

الحرص هو السعى التام في تحصيل المال عند عدمه أو عند قلته .

وبالبخل (١) هو السعى التام في إمساكه عند وجوده ، فحب المال جاصل في الأمرين ، إلا أن حب الجمع والتحصيل هو الحرص ، وحب الإبقاء هو البخل .

إذا عرفت هذا ، فنقول : لحب المال حبيبان (٢) : أحدهما أن المال سبب القدرة والقدرة كمال . والكمال محبوب لذاته ، والمفضى إلى المحبوب محبوب فالمال محبوب (٣) ، الثاني أن المال يقتضى دفع الحاجة ، ودفع الحاجة مطلوب ، والمفضى إلى المطلوب مطلوب ، والفرق بين هذين الوجهين ظاهر ، فإن الشيخ المريض المشرف على الموت إذا كانت معه أموال عظيمة خارجة عن حصره ، فإذا أخبر في هذه الحالة أنه سرق ماله أو أغير عليه فإنه يتأذى بذلك مع علمه بأنه لا فائدة له فيه ، وليس هذا التأذى لإحتياجه إليه لأنه عالم بأنه يموت ههنا ، فدل ذلك على أنه إنما تأذى لأنه بخيل ، إنه زالت قدرته بسبب القدر الذى زال من ماله ، وزوال القدرة زوال الكمال ، وزوال الكمال نقص مبعوض لذاته .

إذا عرض هذا فلننظر (الورقة ٢٨١ و) في علاج البخل ، وذلك من وجوه :

الأول أن يسعى الرجل في تقليل (١) حاجاته ، لأنه إذا قلت حاجاته قل نعبه وميله إلى تحصيل < ما > (ب) يدفع تلك الحاجات . لأن إعدام الشيء قبل حصوله غير معقول . ولا شك أن هذه الحاجة إما حاجة انتفاعه هو بذلك المال أو حاجة متصلبه .

أما الأول فيعالج طول الامل (٢) بكثرة ذكر الموت ، والتأمل في موت الاقران ويصرف وهمه إلى انه لا يمكنه الانتفاع بالمال إلا في الزمان الحاضر ، ثم انه يكتفى من المطعم والملبس والسكن بأقل ما يحتاج إليه ويقصد على نفسه باب التمتع ، وحينئذ يقل حرصه على تحصيل المال بسبب نفسه ،

وأما الثاني فيعالج بترك الالتفات إلى الولد بان الله خلقه وخلق معه رزقه ، وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا ثم صار أغنى منه ، او أغنى الخلق ، وكم من ولد ورث اموالا عظيمة ثم صار أشد الناس فقرا (٣) .

الثاني ان يتأمل في الآيات والأحاديث الواردة في ذم البخل ومدح السخاء ، والوعد بالثواب العظيم في السخاء ، والوعيد (ج) بالعقاب العظيم في البخل (٤) .

الثالث كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة طباع الافاضل من الناس منهم ، واطباق اهل العالم على ذمهم ، فانه ما من بخيل إلا ويستقبح

(١) المخطوطة :- تعليل

(ب) ايضا : تحصيل يدفع الخ ،

(ج) ايضا : الوعد

البخل من غيره . وحينئذ يعلم أن حاله في قلب غيره كحال سائر
البخلاء في قلبه (٧) .

الرابع أن يتأمل في المال ويعلم أنه لا سبيل له إلى الانتفاع به
إلا عند إخراجه من اليد .

والمنافع إما جسدانية وهي قليلة حقيرة ، ولا حاجة في تحصيلها
إلى المال الكثير ، وإما روحانية وحينئذ يقطع الإنسان بأنه لا فائدة من
المال بتحصيل هذه الفوائد الروحانية ، والأغراض النافعة ، فكانه
قطع الوسيلة عن المقصود وذلك جهل .

الخامس يتفكر أنه وإن بالغ في إمساك المال إلا أنه قد يتفق سبب
تضييع المال ؛ ولا يبقى منه حمد (١) ولا أجر ، أما إذا صار مصروفا إلى وجوه
الخيرات (٨) بقي (ب) الحمد والاجر عند الله تعالى كما قال : " ما عندكم
ينفذ وما عند الله باق " (٩) .

السادس ؛ الإنسان إذا عجز عن الإنفاق بقي كالأسير في قبضة
استيلاء حب المال ؛ وإذا قدر على الإنفاق صار كالمستولى عليه والقاهر له
وكون الإنسان قاهرا لغيره خير له من كونه مقهورا ؛ لأن الأول صفة
الحق ، والثاني صفة الميؤلى ، كما قال الله : " هو الغنى وأنتم الفقراء " (١٠) .

السابع أنه إذا أمسك وما أنفق فلابد وأن يبقى ذلك المال بعد
موته ، فكل من أخذه بعد موته يقول : هذا المال إنما جمعه ذلك البخيل
الملعون فيصرفه في وجوه منافع نفسه ولا يذكر ذلك الميت إلا باللعن ؛
ولا يبقى من ماله أثر في حقه إلا الدم في الدنيا والعقاب في الآخرة .

(١) المخطوطة : حمل

(ب) أيضا : فنى

واما إذا صرف الإنسان ماله إلى مصارف الخيرات بقى له الثناء
الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى .

الثامن أن شركاء البخيل في صفة البخل هم البخلاء الأشقياء
المذمومون المهانون ، ولو كان جوادا سخيا كان شركاؤه في ذلك الأنبياء
والأولياء وأفاضل الحكماء وأكابر الناس .

التاسع الاستقراء دل على أنه تعالى يفتح أبواب الرزق والراحة
والرحمة على الأغنياء ، أما البخلاء فإنهم يكونون أبدا في الضيق والضنك
والشدة وظلمة القلب ، وأكثر الامر يتفق لهم بذلك اتفاق (١) أكثر
اموالهم دفعة على رغم آنافهم ؛ والسبب فيه أن الأسباب الكلية متوجهة
إلى إيصال النفع والخيرات إلى المحتاجين ، فمن كانت حرفته هذه الحرفة
كانت تلك الأسباب الكلية معاضدة له ، ومن كان بالضد كان على مضادة
الأسباب الكلية .

العاشر أن السخى يكون ممدوحا محمودا عند الكافة ، والبخيل
مبغوضا (١) ممقوتا ؛ فالسخى يذل المال ووجد عرضه ملك الارواح ؛
والبخيل أمسك المال فبقى محروما عن ملك الارواح ، ولما كانت الارواح
البشرية من جوهر الملائكة ، وكان الذهب والفضة من جنس الجمادات
كان التفاوت كثيرا .

وايضا فهنا سبب آخر وهو أن السخاء لما كان محبوبا عند الخلق
فهم يعنوناه على تحصيل مهماته ، والبخيل اذا كان مبغوضا بقى محروما عن
تلك الإعانة ، وإعانة الخلق له في تحصيل مطالبه سبب ظاهر لكثرة

(١) المخطوطة : " ... اتفاق بذلك ... "

- ١١٧ -

أمواله ، والسخاء وان كان ينقص المال ظاهرا (١) لكنه يزيد من الوجه الذى ذكرنا ، والبخل وإن كان يفيد حفظ المال ظاهرا لكنه يوجب نقصانه من الوجه الذى ذكرناه .

و أيضا فهنا ، وهوان الناس لما علموا من الإنسان كونه سخيا تطابقت هممهم على تحصيل الأموال الكثيرة له رجاء منهم ان رفعها اليهم ، وإذا علموا كونه بخيلا تطابقت همم الخلق على أن يصير ممنوعا عن الأموال ، وقد عرف أن همم الخلق لها تأثير شديد .

الحادى عشر أن السخى حيث محضر فرحت القلوب بحضوره واستبشرت الارواح نحو مقدمه والبخل بالضد منه ، ولذلك قبل النفس الخيرة كالشمس النيرة .

الثانى عشر أن البخيل عند قرب الموت لا بد وأن يتمنى الإنفاق وإيصال الخيرات إلى الناس لأن حرصه هبارة عن شدة رغبته فى إمساك ذلك المال لنفسه ، فاذا تيقن بنزول الموت علم أنه لا يمكنه حفظ المال فى الحياة الدنيا ، ويعلم انه لا سبيل له إلى استصحابه معه ، فحينئذ يهون عليه صرفه عند القرب من الموت فى وجوه الخيرات (١٢) ؛ وربما كان فى ذلك الوقت لا يجد لسانا ناطقا ولا عقلا هاديا ، ويصير مبتلى (ب) بكرب الموت ، واقاربه لا يلتفتون إلى قوله ، ينصر ذلك من اعظم الحسرات فى قلبه ؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى : ” وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ، وإن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها“ الآية (١٣)

(١) المخطوطة : ظاهر

(ب) أيضا : مبتلا

. فثبت أن حرص الحريص وبخل البخيل لا يوصلان إلا الغم والحسرة قبل الموت وعند الموت ، وأما [بعده] (١) فنعوذ بالله منه .

الثالث عشر يجب على العاقل أن يعلم أنه لانهاية لمراتب تلك الأموال فان ملك مائة ألف دينار وإن كان لذيذا إلا أن ملك ألف دينار ألد ، إذا ثبت هذا فنقول : النفس لا يصل إلى مرتبة من هذه المراتب إلا ويقوى التذاذها لوجدان تلك المرتبة وهى عالمة بأن القدر بمافوق تلك المرتبة ألد من وجدان تلك المرتبة مع العلم بأن القدر بما فوق تلك المرتبة ألد ؛ فثبت أن جمع المال لا يخلص عن مرض الحرص بل يقويه ويزيد فى قوته ،

أما إذا منع النفس عن الفوز بتلك المرتبة صار كالعاشق الذى يمنع عن الالتذاذ بمعشوقه ، فإن هناك بقل العشق (ب) ويزول هذا المرض .

الرابع عشر أن الإنسان لا يمكنه أن يسعى فى طلب المال إلا (ج) عند الاستعانة بالغير ، وإظهار الحاجة إليه ، وهذه الحاجة وما فيها من الذل ناجزة (د) ، وأما حصول ذلك المال وحصول الإنتفاع به فهووم ، ولحمل الضرر الناجز لوجدان النفع الخسيس الموهوم لا يلبق بالعاقل .

- وأيضا إذا احتاج إليهم صار كالعبد لهم يفعل ما أرادوه ويترك ماكرهوه ، والقانع المانع نفسه عنهم لا يلتفت إليهم والممنوع مطلوب ،

(١) المخطوطة : هذا اللفظ مطموس

(ب) أيضا : هذا اللفظ غير واضح يمكن ان يقرأ "العشق"

(ج) أيضا : لا

(د) أيضا : فاحره ؟

— ١١٩ —

والغالب أن من لا يلتفت إليهم يخدموه ورغبوا في الاتصال به ، فصاروا كالعبيد له ، فالخريص عبد و القانع حر ، ولهذا قيل : ”احتج إلى من شئت تكن أسيره ، واستغن عن شئت تكن نظيره ، واحسن إلى من شئت تكن أميره “ —

الخامس عشر إذا اعتاد التمتع بكثرة المال فلعله يتفق سبب بوجوب هلاك المال فيتألم بفوات عادات التمتع ، ثم يحمله ذلك على كثرة الجلد و لإجتهاد في الكسب والطلب حال الشيخوخة وضعف البدن فيقع في الشقاء الشديد .

السادس عشر يجب عليه أن يستحضر في ذمته أن المال لا فائدة فيه إلا التوصل به إلى اللذات الجسمانية ، ثم يتأمل فيما ذكرناه في معالجة (١) اللذات الجسمانية .

السابع عشر لعله يتعب في طلب المال في الحال ثم يفوت قبل الإنتفاع به ، فيكون التعب عليه والإنتفاع لغيره ، أما اذا صرفه إلى وجوه الخيرات كان التعب ، وإن وقع عليه إلا أن نفعه يعود إليه وهو الغير بعد موت الجسد .

الثامن عشر (ب) أن المواظبة على القناعة يفيد ملكة الإستغناء عن الشيء والتنعيم بطيبات الدنيا ولذاتها نفيد ملكة الإستغناء بالشيء و دوام الحاجة إليه ، والإستغناء عن الشيء أكمل من الإستغناء بالشيء لأن الاول صفة الحق ، والثاني صفة الخلق ، ولأن الأول إستغناء صرف ، والثاني إستغناء ممتزجة بالحاجة ، .

(١) المخطوطة : : المعالج

(ب) ايضاً : : التاسع عشر ،

١٤٠ -

التاسع عشر (أ) ، رزقه إن قدر له فلا حاجة إلى الطلب ، وإن لم يقدر لم ينفع الطلب ولا الحرص ، ولقائل أن يقول : هذا يقتضى أن لا يسعى في طلب المعارف واكتساب الفضائل ولا في تحصيل الأكل والشرب ودفع المضرات ، فانه ان قدر حصل وإن لم يقدر لم يحصل ، الجواب أن البحث والاستقراء أدانا إلى ان الارزاق قد رأيناها تحصل هجا بلاسعى ولاطلب تارة ورأيناها يفوت الطالب المتعوب المجهد ، وأما العلوم والفضائل (ب) فقلما حصلت هجا على الفور ولا بغير طلب وتعلم ووجه آخر .

العشرون (ج) ان صاحب المال يحتاج إلى الجهد الشديد في حفظه وصونه عن الآفات و الهلاك ، بل إن تلف حصل له الغم الشديد ، وإن لم يتلف فلا يزال خائفا عليه متعوبا لاجله .

أما المتجرد عن المال باكتساب كمالات النفس فانه خال عن هذا الخوف والتعب .

الحادى والعشرون (د) أن أموال الدنيا وعروضها عدوة لله تعالى ولأوليائه ، لأنها تشغلهم عن تحصيل الجنة ، وعدوة لأعداء الله لأنها تسوقهم إلى النار ، وعدوة لنفسها لأنها ياكل بعضها بعضا ، فإن صاحب المال يحتاج في خزنه وحفظه إلى الخزائن والاعلاق وإلى التحصين والتوفيق وإلى الخزائن والاعوان ، وإلى العساكر والجنود ، وكل ذلك يحتاج إلى الحرج منه والنفقات ، فثبت ان المال ياكل بعضه ويفنى نفسه .

(أ) المخطوطة : : العشرون ،

(ب) ايضا : : ولا الفضائل ،

(ج) ايضا : : الحادى والعشرون ،

(د) ايضا : : الثانى والعشرون ،

— ١٤١ —

الثاني (١) والعشرون : محب المال محب لكل جزء من أجزائه وهو لصدد الآفات والنقص ، وفوات المحبوب مولم ، فكل من (الورقة ٢٨٢ ظ) كان ماله أكثر كان عدد أحبائه أكثر ، ومصائبه بأفاتها أكثر ، فلا جرم تعظم مصائبه وتدوم (ب) احزابه أوتتواصل ، فهذا هو الكلام في علاج صفة البخل وفرط محبة المال وذلك بطريق العلم .

< الفصل الرابع >

أما علاج البخل (ج) بطريق العمل فن وجوه :

الأول أن يجالس الفقراء ويتباعد عن مجالسة الأغنياء والمتنعمين ، فإنه بالطبع (د) يميل إلى ذلك فيتعب القلب إما بتحصيله أو لفواته ، فجالسة الفقراء المنقطعين إلى الله يطيب القلب ويرضيه ويخفف الهم ، قال عليه السلام "اللهم احبني مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين" (١) . والغنى مظنة الانجذاب عن الله ، كما أن الفقر مظنة الانجذاب إلى الله والإعراض عما سواه .

الثاني أن البخيل إذا تأمل ما ذكرناه وقررناه من مذام البخل ومحاسن السخاء فلا بد أن يميل إلى اختيار المحاسن والحامد ، فينبغي له

(١) المخطوطة : الثالث

(ب) ايضا : وقدوم

(ج) ايضا : علاجه

(د) ايضا : الطبع

— ١٢٢ —

أن يبادر إلى البذل والجود قبل أن يعارضه الشيطان بهشبه يصدده (أ) عن ذلك وبعيقه عنه فإن هذا دأبه .

يحكى أن بعض المشايخ (٢) دخل إلى الخلاء نزع ثيابه أو بعض ثيابه وصاح بتلميذه له ، فأعطاه وأمره أن يهبه لشخص عينه — فقال له ” ألا صبرت أن تخرج “ ، قال : ” خفت أن يتغير لمخاطري عن ذلك أو يشع نفسي به ، فبادرت “ .

الثالث : أن البخل صارة عن فرط عشق المال ، والعشق إذا تمكن فهو مرض شديد ، ومن أجود ادويته البعد عن المعشوق ، والرحيل عن بلد هو فيها فيمكن السلو عنه ، فكذلك المال يجب أن يبعد بالإنفاق ليزول عشقه عن القلب ، فيزول صفة البخل المدمومة .

الرابع أنه من لطائف الحيل في هذا الباب أن يخدع نفسه بمحسن الإسم والإشتهار فيما بين الناس بالجود والكرم ، فينتقل نفسه (ب) عن هذا المرض ويزول عنه ، وكذلك من يريد علاج البخل أن يشتغل بالإنفاق المال كيف ما اتفق له ، وأن لا يقول ان هذا الإنفاق جائز ، وهذا غير جائز لأن المقصود إزالة عشق المال عن قلبه ، وذلك لا يحصل إلا بالافراط في إهانته ، وتمييز بعض جهات الإنفاق عن بعض إعزازها لا إهانة .

ولذلك قالوا : إن البخيل لو رمى ما له في البحر أو أحرقه بالنار لكان خيرا (ج) من أن يمسكه ، وإذا حصل له خديعة نفسه باشتهار

(أ) المخطوطة : يضده

(ب) ايضا : نفس

(ج) ايضا : خير

— ١٢٣ —

إسم الجود والكرم ، ينبغي أن لا يحصل فى ذلك مزلة الريا - فإنه مريض آخر اشد من الأول ، والحاصل أن المعالج لهذه الأخلاق الذميمة بسلط بعضها على بعض ، فيسلط الشهوة على الغضب ويكسر سوره بها ، وبالضد ، فكذا (١) هاهنا .

والبخل عبارة عن طلب ملك الأموال ، والريا عبارة عن طلب ملك الأرواح ، والجمع بينهما محال ، فكل من كان أخذ الأمرين فى قلبه أقوى عاجله بتسليط الجانب الآخر بشرط أن لا يقوى الجانب الآخر فيكون كمن انتقل من مرض مهلك إلى آخر مهلك .

الخامس أن يتفق للإنسان أستاذ مشفق فكل شئ عرف منه أنه يتعلق قلبه به أخرجه عن قلبه بعد أن يخرجته عن يده ويبطله عليه ، ولا يزال يفعل به ذلك إلى أن يضعف ميله إلى تلك الأشياء .

الحاصل أنه كما أن كثرة الأفعال تفيد الملكة الراجعة القوية فكذا (ب) كثرة المفارقة توجب ضعف تلك الملكة .

(١) المخطوطة : فكذى

(ب) أيضا : فكذى

الفصل الخامس

في حقيقة البخل والجود

المال معد لأن يصرف في المهمات (الورقة ٢٨٣ و) ، فالإمساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الإمساك تهدير ، والتوسط بينهما هو المحمود ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ” ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط “ (١) ، وقال : ” والذين إذا انفقوا ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً “ (٢) .

فحاصل الكلام أن الذي يجب بذله إذا لم يبذله فهو البخل ، ثم الذي يجب بذله قسمان : واجب الشرع وواجب بالمرورة ، فمن منع واحداً (١) منهما فهو بخيل إلا أن الذي يمنع واجب الشرع فهو أبخل ، وهو كمانع الزكاة ومانع أهله وعياله النفقة ، والذي يتمم الخبيث لا يطيب له أن يعطى من الطيب ، فهو أيضاً بخيل . وأما واجب المروة فهو منع البرو والمضائق ، وإستعمال المضائق في المحقرات فإنها قبيحة ، ثم هذا الاستقباح يختلف باختلاف الأحوال والاعتبارات .

فالأول بسبب الفاعل ممن كثر ما له يستقبح منه ما لا يستقبح ممن يقل ما له ، وأيضاً يستقبح من الرجل العاقل ما لا يستقبح من الصبي والمرأة ، ويستقبح من الحر ما لا يستقبح من العبد .

الثاني بسبب المضاف إليه فإنه يستقبح المضائق مع الأهل والولد بما لا يستقبح المضائق فيه مع الأجانب .

(١) المخطوطة : واحد

- ١٢٥ -

الثالث ما فيه من المضائق فإنها تستقبح في الطعام ما لا يستقبح في غيره .

الرابع يتعلق بالوقت ، فإن المضائق يستقبح في أوقات ، ولا يستقبح في أوقات أخرى ، وبالحيلة ، فهذه الأحوال غير مضبوطة في نفس الأمر ، والرجوع فيه إلى الأمر الظاهر ، ويمكن أن يضبط ذلك ، فيقال قد ثبت أن المال خادم والطعام والشراب فهما خادمان للبدن ، وهو خادم للنفس ، وهى خادمة للفضائل العلمية والخلقية ، فالمال هو الخادم الآخر ، وهذه الأشياء مخدمومة للمال ، فكل مال انصرف إلى تحصيل مراقبة من مراتب هذه الأشياء التى سمينادا بالمخدومة كان ذلك سخاوة ، والإمتناع منه يكون بخلا ، وكل مال انصرف إلى شئ آخر غير هذه المراتب كان ذلك تبهيرا .

الفصل السادس (١)

قد عرفت أن السخى هو الذى يبذل من المال ما يجب عليه بذله
إما بسبب الشرع وإما بسبب المروة ، و البخل هو الذى لا يفعل .
ذلك .

فأما الجواد فدرجته أعلى من درجة السخى ، وذلك أن حقيقة
الجود هو إفادة ما ينبغى لا لعوض ، فلعل من يهب السكين لمن يعلم
من حاله أن يقتل نفسه بها أو يقتل غيره لا يكون جوادا ، ولعل من
يعطى ليستعيض (ب) شيئا آخر لم يكن جوادا ، إلا أن عدم طلب العوض
بالكفاية لا يتصور إلا من الله تعالى - أما الآدمى فإنه لا يبذل الشيء إلا
لغرض - إما لثواب (ج) الآخرة أو اكتساب الفضيلة النفسانية المسماة
بالجود - وتطهير النفس عن رذيلة البخل سمى جوادا ، أما إذا كان
الباعث على البذل هو الخوف من هجو الشعراء من ملامة الخلق أو ما يتوقعه
من نفع يصل إليه من المنعم عليه ، فذلك ليس بجود ، لأنه إنما أتى
بهذا الفعل على سبب الضرورة .

(١) المخطوطة: - الرابع

(ب) أيضا: ليستوعفان

(ج) أيضا: ثواب

- ١٢٧ -

فصل > سابع <

الكلام في الجاه

قد هرقت كل واحد من هذه الأحوال إنما تتكون عن اعتقاد حال
بخيّل (١) فها هنا يكون كذلك ، أما الاعتقاد ، فهو أن الإنسان إذا اعتقد
في غيره أنه إنما يبخل منه في خصلة من الخصال الدينية تولد عن هذا
الإعتقاد (الورقة ٢٨٣ ظ) حالة نفسانية مخصوصة ، وتولد عن تلك
الحالة أعمال مخصوصة وهي القيام بخدمته والثناء عليه بلسانه وترك المنازعة
والتعظيم والمفاتحة بالسلام ، وتسليم الصدر في المحافل ، والجاه صبرة
عن ذلك الاعتقاد الموجب تلك الحالة النفسانية المؤثرة في هذه الأحوال
الجسدانية .

السبب الموجب لحب الجاه

كما أن ملك (١) الذهب والفضة يفيد القدرة على تحصيل الاغراض
فكذلك ملك الارواح يفيد القدرة على تحصيل الاغراض ، إلا أن
الجاه (٢) احب من المال عند ذوي المهمم العالية ، فإن للملك القلوب ترجيحاً (ب)
على ملك الأموال من ثلاثة أوجه :

أحدها أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى
الجاه ، فالعالم أو الزاهد الذي له جاه في القلوب لو (ج) قصد اكتساب
المال تيسر له ذلك ، فإن قلت الإنسان متى صار ملكاً للغير صار ماله
ملكاً لذلك الغير - أما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا

(١) المخطوطة : حال وبخيّل

(ب) ايضاً : ترجيح

(ج) ايضاً : أو

— ١٢٨ —

وجد كنزا أو أراد أن يتوصل به إلى الجاه لم يتيسر له ، فالخاصل أن مالك الجاه مالك المال (١) ولا ينعكس ، فكان الجاه أفضل من المال وأحب .

والثاني وهو أن الارواح من جنس عالم الملائكة ، والذهب والفضة من الجهادات والتفاوت بين جوهر الملائكة ، وبين جوهر الجهادات كثير ، والاشرف اولى بالحبوبية من الاخس ، فلا جرم كان الجاه أحب من المال .

الثالث ليس الذى يحتاج الإنسان إليه من المال بخاصة نفسه قليل كلما كول والملبوس ، وإنما يحتاج الإنسان إلى المال الكثير ليتوصل به إلى أن يصير مخدوما لغيره ، وإن كان غير خادم (ب) له ، والمخدومية عبارة عن التفرد بصفات الحلال والعزة وهو محبوب لذاته — فالجاه يوجب حصول هذا التفرد بلا واسطة والمال يوجبه بواسطة فذلك الأول أحب .

الرابع ان ملك القلوب (٣) ينمو ويتزايد بذاته ، فإن القلوب إذا دعيت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل اوضحت الالسة بالثناء عليه ، وكل من سمع ذلك الثناء اعتقد ايضا فيه ، فثبت أن الجاه ينمو (د) بذاته ، واما المال فإنه لا ينمو (د) ولا يتزايد بذاته فكان الاول أحب .

ومق الناس من قال أن الجاه إنما يراد ليكون صونا للمال ، فإن

(١) المخطوطة: مالك للجاه مالك للمال

(ب) ايضا : غير خادما له

(ج) ايضا : ينمو . . . لا ينمو

- ١٢٩ -

من لاجاه له لا يمكنه حفظ ما له عن الهلاك - والنابع أخس من المتبوع
فهذا الإنسان يكون المال عنده أثرًا (١) من الجاه ، إلا أن الطبيعة البهيمية
تكون غالبية على هذا الإنسان ، لأن المال من جنس المحسوسات ، والجاه
من جنس المجردات ، فكل من كانت البهيمية أغلب عليه كان حب
المال عنده أثر ، وكل من كانت الروحانية عليه أغلب كان الجاه عنده
أثر (ب) .

السبب الموجب لحب المال والجاه

له سببان :

احدهما ان حاجات الإنسان غير متناهية ولا دافع لها إلا المال
ولازم المطلوب مطلوب - فلاجرم لزم أن يكون لانهائية لحب المال ،
والجاه صران المال وحافظ له ، فصار الجاه أيضا محبوبا حبا لانهائية له .
الثاني ما ذكرنا ان ملك المال وملك القلوب قدرة والقدرة
كمال (٤) ، والكمال محبوب لذاته ، فهذه الاشياء محبوبة لذواتها ،
وهذه القدرة بالنسبة إلى كل واحد من اعيان الاموال واعيان
الارواح مملكته ، فلاجرم كانت محبوبة مطلوبة لأعداد غير
متناهية (ج) .

وأیضا كون كل (الورقة ٢٨٤ و) الاموال مملوكة وكون
كل القلوب مملوكة يقتضى توحيده بالمالكية والاستعداد والقهر ،

(١) المخطوطة - : عنده اثر

(ب) ايضا : الجاه عند اثره

(ج) ايضا : للاعداد الغير متناهية .

— ١٣٠ —

والتوحد بالكمال أيضا غاية الكمال ، والكمال محبوب لذاته ، والاستكثار من ملاك الاموال ، ومن تملك القلوب (هـ) تقلل من الشركة .

وكلما كان التوحيد مطلوبا بالذات كل ما كان اقرب (ا) الى ثبوت التوحيد وإلى نفي الشركاء كان أولى بالمحبوبة ، فهذا هو السبب في حب جمع الاموال وكثرة الكنوز ، حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا يتغنى وراءهما ثالثا ، وهو السبب أيضا في حبه لاتساع الجاه وانتشار (ب) الصيت إلى اقاصى البلاد التى يعلم قطعا انه لا يصل إليها ولا شاهدها ولا اهلها ، ولا ينتفع بهم البتة فانه مع ذلك يلتذ غاية الالتذاز ببلوغ صفته إلى هذه البلاد .

(ا) المخطوطة: كلما اقرب كان الى الخ
(ب) ايضا: وأشار

— ١٣١ —

فصل < ثامن > اجنبي عن هذا الباب

وهو في بيان الكمالات الحقيقية والوهبية (١)

اعلم ان الكمال اما أن يعتبر في الذات أو في الصفات أو في الأفعال .

أما الكمال في الذات فهو من وجهين :

الأول أن يكون واجب الوجود لذاته لا يتعلق وجوده بغيره أصلا ، وأن يكون واجب الوجود في جميع صفاته من جميع جهاته ، ولو افتقر في شيء من صفاته إلى غيره لزم منه كونه مفتقرا في ذاته إلى غيره ، على ما تبين ذلك في العلوم الحقيقية .

الثاني أن يكون منفردا بذاته ولذاته في ذلك الكمال دون المساواة في الكمال ، لأن المساواة توجب النقصان ، لكن فيضان الكمالات عنه لا يوجب النقصان البتة — لأن كل كمال حصل للمعلول فهو في الحقيقة حاصل للعلة ، فاشراق نور الشمس في جميع الآفاق لا يوجب نقصانا في الشمس بل هو الدليل على غايته كما لها . اما لو وجدت شمس اخرى تساوى هذه (١) الشمس في الرتبة والاشراق ، كان ذلك نقصانا في هذه الشمس ، ومعلوم ان كل ما سوى الواجب لذاته كامل (ب) في ذاته بذاته من هذين الوجهين .

وأما كمال الصفات فهو في العلم والقدرة ، اما كمال العلم فهو لله تعالى وهو من ثلاثة أوجه :

(١) المخطوطة : هذا

(ب) ايضا ؛ كاملا

— ١٣٢ —

الأول انه تعالى عالم بجميع المعلومات ولذلك كلما كان العبد أكثر علما كان أقرب إلى الله تعالى (٢) .

الثاني كون العلم جليا منكشفاً (٣) انكشافاً تاماً ، لا محالة يخالطه احتمال النقيضين ، وكذلك كلما كانت علوم العبد اجلى واطهر ، كان أقرب الى الله تعالى .

الثالث كون العلم (٤) باقياً ممتنع التغير ، فلذلك كلما كانت علوم العبد أبعد عن الذم كان أقرب إلى الله تعالى .

والمعلومات قسمان ، متغيرات وازليات (٥) . أما المتغيرات فيلزم من تغيرها تغير العلم بها ، لو بقي بعدها لكان ذلك جهلاً لا علماً (ج) . ولولم يبق فهو المطلوب ، وامثال هذه العلوم لا تكون كمالاً البتة .

أما المعلومات الباقية فالعلم بها يكون باقياً وهو كالعلم بالماهيات المجردة ، والتصديقات التي يمتنع التغير عليها كالعلم بوجوب الواجبات ، وإمتناع الممتنعات .

فثبت أن كمال العلم ليس إلا بسبب هذه الاعتبارات ، فكل علم حصل للعبد موصوفاً بهذه الصفات كان ذلك العلم كمالاً لا للعبد ، وما لا يكون كذلك لا يكون البتة من باب الكمالات .

والقسم الأول وهو الذي يكون صفة كمال هو الذي يبقى مع العبد قبل الموت . (الورقة ٢٨٤ ظ) وعند الموت . وبعد الموت ،

(١) المخطوطة: "لو بقي بعدها .. جهلاً لا علماً" ، هذه الجملة

ويكون هذا العلم نورا للعارفين ^٦ بعد الموت يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم يقولون : ربنا اتمم لنا نورنا ^٧ أى تكون هذه العلوم رأس مال يتوصل بها إلى كشف مالم ينكشف في الدنيا ، كما أن من معه سراج خفى فإنه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بل يقتبس منه سراج اخر اقوى منه ومن لم يحصل معه في الحياة الدنيا شيئا ^(١) من هذه العلوم لم يكن له طمع في استكمال هذا النور بعد الموت ، فيبقى بعد الموت كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، بل "كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج" . ^٨

وأما القسم الثانى وهى العلوم المتعلقة ^٩ بالمعلومات المتغيرة وهى كعلم اللغات والتفسير والفقه والأخبار فشئ منها لا يبقى ولا يحصل للنفس بسببها كمال البتة . أما القدرة بكمالها كونها مستفيدة بالتأثير والإيجاد والإبداع والإخراج من العدم إلى الوجود .

وأقول : إن الغزالي رحمة الله عليه ، بين ان كمال الذات لا يحصل إلا عند التفرد ^(١٠) والوحدانية ، فاذا يجب عليه أن يعرف بأنه لا مؤثر في الإخراج من العدم إلى الوجود إلا الله تعالى ، إذ لو شاركها غيرها في هذه المؤثرة لوجب أن يقدح ذلك في كون القدرة الالهية كاملة ، ولو قال بهذا الأصل للزم أن لا يثبت شيئا يؤثر في شئ إلا قدرة الله ، وذلك يبطل أصل الفلسفة .

ثم قال : أما القدرة فليس للعبد فيها كمال حقيقى بل للعبد علم حقيقى ، وإنما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب إرادته وقدرته فهى حادثة باحداث الله تعالى ^(١١) .

(١) المخطوطة : شئ

— ١٣٤ —

ولقائل أن يقول : مذهبك في هذه المسئلة ليمى (١) إلا مذهب الحكماء وعندهم ان القدرة مع الداعية الحادثة يوجبان الفعل بهذا الفعل مستند إلى الله تعالى بمعنى انه تعالى هو الذى أوجد القدرة والداعية الموجبتين لهذا الفعل ، وأيضا فعنده أن حصول المشاركة يوجب النقصان ، وهاهنا قد سلم ان للعبد علما حقيقيا (ب) فهذا يلزم وقوع النقص في علم الله تعالى ، فإن لم يلزم هذا فكيف ادعى لو حصل ما يساوى الله تعالى في وجوب الوجود لزم النقصان .

فثبت أن هذه كلمات ضعيفة في علاج حب المال وهو من وجوه :
الأول أن حب المال والجاه تأثر وانفعال لها بالنسبة إلى المال وإلى الجاه ، والتأثر ضعف ونقصان ، وعدم حب المال والجاه قوة للنفس لسببها لم يتأثر للمال ولا للجاه — فالحالة الأولى صفة من صفات الهوى ، والحالة الثانية صفة من صفات الحق ، والذي يقرر ذلك على سبيل التمثيل ان الإنسان إذا وضع أصبعه على جسم واعتمد عليه فتأثر ذلك الجسم بذلك الاعتماد دل ذلك على أن ذلك الجسم المتأثر له طبيعة ضعيفة قابلة للتأثر من القوى .

أما إذا لم يتأثر كالحديد دل على أن ذلك الجسم له طبيعة قوية شديدة مفيضة للبقاء والدوام ، فالتأثر يدل على كمال الضعف وقبول الفناء . وأما عدم التأثر فيدل على القوة والبقاء والدوام والإستغناء . فالنفس إذا تأثرت بحب المال والجاه دل ذلك على ضعف جوهر تلك النفس .

(١) المخطوطة : السن

(ب) أيضا : علم حقيقى

— ١٣٥ —

ثم إن مراتب هذا التأثير كثيرة ، فكلمنا كان ذلك التأثير أقوى وأشد كان ضعف النفس ودناءتها أشد ، وكلمنا كان عدم التأثير أشد وعدم الالتفات إليه (الورقة ٢٨٥ و) وقلة المبالاة به كانت النفس أشد قوة وأكمل وجودا وأبعد عن يده طبة العدم والإنفصال ، وأصحاب علم الأخلاق يعبرون عن هذا المعنى فيقولون في القسم الأول إنها نفس مطبوعة على طبيعة العبودية وملكة الهوى ، والثاني نفس مطبوعة على الحرية وصفاء الجوهر وعدم التأثير .

< الفصل التاسع >

في بيان ان طلب الجاه قد يكون واجبا
وقد يكون مندوبا ومباحا مكروها وحراما

فنقول : الجاه والمال أما أن يحصل بنفسه أو يحاول الإنسان تحصيله ، أما الأول فلا بأس به ، لأنه لا جاه أوسع من جاه رسول الله ﷺ وجاه الخلفاء الراشدين ، ومن بعدهم من علماء الدين ، ولهم فيه الجلالة العظيمة ولا عيب عليهم فيه .
وأما القسم الثاني وهو طلب المال والجاه فنقول هذا على مراتب :
المرتبة الأولى أن يكون واجبا وهو قسمان : تارة في الدين ، وتارة في الدنيا .

أما في الدين ، فهوان الرسول ﷺ إنما بعث للدعوة الخلق إلى الحق ، بدف وأن لا يظهر لهم إلا على الوجه الأحسن حتى يصير ذلك سببا لأن يقبلوا قوله ، وإلا صارت أحواله منفرة فها هنا طلب الجاه

- ١٣٦ -

بقدر هذه الحاجة واجب، قال ابراهيم عليه السلام: "واجعل لى لسان صدق فى الآخرين" (١) .

وايضاً العلماء الذين لىهم الرجوع فى أمر الدين والفتوى وجب عليهم طلب الجاه بقدر ما يكمل اغراضهم فى الدين .

وأما فى الدنيا فهو أن الانسان خلق محتاجاً ، ولا يمكنه دفع حاجاته الضرورية إلا بالمال ولا يمكن حفظ ذلك المال إلا بالجاه ، وما لىتم الواجب إلا به فهو واجب ، فطلب (١) ذلك القدر من الجاه واجب .

ثم نقول : هذه الحاجة إما أن تكون جسمية أو روحانية ، أما الجسمية فهو ان المقدار المعين من الطعام والشراب والملبس والسكن الذى لو لم يحصل لوقع الإنسان إما فى الموت أو المرض ، فتحصيله واجب بالجاه والمال اللذين (ب) لا يمكن تحصيل ذلك القدر إلا بهما .

وأما الروحانية فهو ان طلب العلم ربما احتاج من مصالح المظعم والمشرى والملبس إلى أمور فوق القدر الاول ، فإذا كان ذلك العلم علماً يجب عليه طلبه كان المال والجاه اللذان لا يمكن تحصيل ذلك العلم إلا بهما يكون واجب التحصيل .

المرتبة الثانية المال والجاه اللذان يكون تحصيلهما غير واجب لكنه يكون مندوباً إليه ، وذلك لأن القدر الذى لا يمكن بقاء الحياة إلا به ولا يحصل ضروريات الدين إلا معه غير ، والقدر الذى لا يمكن كمال هذه الافعال إلا به فهو غير ، فلما كان الأول من قسم الواجبات

(١) المخطوطة: " فحفظ ، وفوق هذا اللفظ "فطلب"،

(ب) ايضاً : اللذان

- ١٣٧ -

كان هذا التالى من المندوبات ، فإن الانسان إذا كان بحيث لو لم يكن فارغ البال طيب النفس بالكلية لم يتمكن من طلب العاوم الدقيقة ولم يقدر على المباحث الغامضة ، فكل مال وجاه لا يمكن تحصيل تلك الحالة إلا معه كان طلبها مندوبا ، ولهذا قال يوسف عليه السلام "اجعلنى على خزائن الأرض ، إنى حفيظ عليم" (٢) ، وطلب المال عند ذلك الملك والسبب فيه ما ذكرنا .

المرتبة الثالثة طلب المال والجاه (الورقة ٢٨٥ ظ) بشرط أن يكون ذلك الطلب مباحا وهو ما إذا عرض نوع فضيلة من فضائله التى يكون هو صادق فيها ليحصل له فى قلوب بعض الناس جاه ومنزلة فهذا من باب المباحات (١) ، إلا أن بقاء هذه الحالة على هذا الحد متعزجا ، لأن الإنسان إذا التذ بطلب الجاه ، فقد يدعو التذاه إلى طلب الزيادة عليه ، وقد يمكنه طلب الزيادة بالصدق العارى عن التلبيس فحينئذ يقع الكذب فلما كان بقاء هذه الحالة الموصوفة بكونها مباحة على ذلك الحد امرا متعذرا لاجرم كان الاولى الاحراز عنه ،

المرتبة الرابعة : المكروه وهو ما إذا علم الإنسان شدة ميل طبعه إلى طلب الجاه والتذاه به فيكره له طلب الجاه بالصدق لأن الداعية الطبيعية لما كانت قوية فإذا التذ بها ألفها وسربها ، فصارت تلك الحالة موجبة لاعراضه عن ذكر الله تعالى وكونها على هذا الخطر يوجب ترك الطلب .

المرتبة الخامسة الحرام وهو أن يتوسل إلى طلب الجاه بالربا والكذب فهذا إلقاء التلبيس فى قلوب الناس والاعراض عن الصدق

(١) المخطوطة : المباحة

١٣٨ -

والصواب ، والاقبال على الضلال والاضلال فكان حراما . ثم ان التوسل إلى طلب الجاه بإظهار الصفات الحميدة مع كون الإنسان هاريا عنها ، ليس له مرتبة واحدة ، بل له مراتب لانهاية لها في القلة والكثرة والضعف والشدة ، فلاجرم لانهاية للمراتب الأربعة في هذه المرتبة .

< الفصل العاشر >

بيان السبب في حب المدح والثناء وبغض الهجو والذم

١٠ اسباب : الاول ان عند المدح يحصل شعور النفس بالكمال ، والكمال محبوب لذاته (١) ، وكل محبوب فيداركه لذة ، فلهذا السبب كان سماع المدح لذيدا (١) ، وتقديره ان الوصف الذي به مدح إما أن يكون جليا ظاهرا أو خفيا مستورا ، فإن كان جليا ظاهرا لم يقو الالتذاذ به ، فإن السلطان القاهر الذي عظمت قدرته واتسعت مملكته إذا مدح بكونه لذلك لم يفرح به لأنه لما كان الوجود كان الشعور به حاصل لكل احد ، والغرض من المدح تحصيل الشعور به وهو حاصل فجري هذا مجرى تكوين الكائن وتحصيل الحاصل وانه لا فائدة فيه .

ثم هاهنا دقيقة وهي انه من الجائز أن يكون الإنسان موصوفا بصفات كثيرة ، كل واحد منها يكون ظاهر الوجود فلا يلتذ الانسان عند سماع كل واحد منها لكنه يلتذ بسماع مجموعها ، والسبب

(١) المخطوطة: " لذيد

- ١٣٩ -

فيه ان الذهن لا يحصل له شعور بالمجموع ، وإذا كان كذلك كان ذلك المجموع أخفى من كل واحد منها ، فلا جرم يلتذ الانسان إذا مدح بمجموع تلك الصفات فوق ما يلتذ إذا مدح بكل واحد منها .

وأیضا فحصول كل واحد منها أكثر وحصولها على الجمع أقل فالمدح بالمجموع اقرب إلى الشعور بالتفرد وقد ذكرنا انه الكمال الحقيقي فكلما كان اقرب منه كان إلى الكمال الحقيقي اقرب ، فكان اسماعه ألد .

وأما القسم الثاني وهو أن يمدح بمحصل صفات الكمال إما كمال في الزهد او كمال في القوة والسلطنة فذلك يورث اللذة من وجوه :

الأول ان الممدوح ربما كان شاكافية فإقـرار المادح بذلك كالشهادة على ثبوته فيه (الورقة ٢٨٦ و) إعتقاده في حصول ذلك الكمال له ، ويزول عنه الشك والريب ، ولما كان حصول الكمال محبوبا بالذات كان قوة الاعتقاد في حصوله أقوى وألد ، ولكن هذه اللذة من هذا الوجه إنما يحصل إذا صدر الثناء ممن لا اكذب ولا يخالف . وأما إذا كان كاذبا مجازفا فلا يحصل هذه اللذة .

الثاني ان صدور ذلك المدح عن ذلك المادح يدل على انه يقبله معتقدا في كمال هذا الممدوح واعتقاد الفضيلة يوجب كون الناقد منقادا للكمال ومطوإا له ، فهذا المدح يدل على صيرورة ذلك المادح مسخرا بتسخير هذا المدح وذلك نوع قدرة ، والقدرة

كمال ، والكمال محبوب ، ولهذا السبب كلما كان المادح اعلى (١) شانا كان الالتذاذ بمدحه اكثر إلا أن الاستبلاء على الملك العظيم يقبل الاستبلاء على كل رعيته ولا ينعكس .

الثالث ان ذلك المدح يسمعه الحاضرون موصول إلى الغائبين وعند ذلك يصير السامعون معتقدين في فضيلته وجلالته ، فيصرون منقادين له ، وذلك يوجب ان المدح اقرار بكونه افضل ، فيتضمن الاقرار يكون هذا القائل ناقصا واقرار الانسان بنقصان نفسه مكروه متعرض ، فثبت ان النافي للإقرار بفضيلة الغير قائم ، فاذا اقدم الانسان على هذا الإقرار دل ذلك على ان الموجب للاقرار بهذه الفضيلة قد بلغ مبلغا عظيما في القوة حتى حصل مع قيام المنافي وذلك القوة لا تنفك عن احد أمرين ، لأن تلك الصفات الحميدة إما أن يقال انها بلغت في القوة والظهور إلى حيث عجز هذا المادح عن انكاره ، أو يقال انها وان كانت مفقودة ، إلا ان هذا المادح بلغ في الخوف من هذا الممدوح إلى حيث اقدم على هذا المدح مع قيام صادقين قويين ، وهما الاقرار بفضل الغير والاقدام على الكذب ، ومتى كان الامر كذلك استقر ذلك بغاية قدرة هذا الممدوح وقهره وغاية ضعف ذلك المادح وذلتة ، والقدرة من صفات الكمال ، والكمال محبوب ، وهذا المدح مشعر بهذا الكمال فلا جرم كان محبوبا .

فهذه الاسباب الاربعة هي الموجبة لحب المدح والثناء ، فان اجتمعت بالكلية كان الالتذاذ اكثر في الغاية القصوى (٢) وان حصل بعضها كان الالتذاذ بقدر ما حصل من هذه الاسباب .

(١) المخطوطة : " اعلا

اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بأن يعلم الممدوح انه غير صادق لكنه قصير بهذه (١) الجهة ، مختصر بجهة أخرى (ب) وهى أن الممدوح يعلم ان أقدام هذا المادح على الكذب وعلى إظهار هذا الخضوع ليس إلا لإستباحته وجذبه إليه بكونه يحب تسخيره ويكرمه وذلك أشعار لحصول القدرة من بعض الوجوه ، فإن اعتقد الممدوح أن هذا المادح لم يقل هذا المدح عن الحاجة والضرورة انقلب إلى محض السخرية والإستهزاء بالممدوح .

<الفصل الحادى عشر>

فى علاج حب الجاه

قد عرفت أنه لا معنى للجاه إلا ملك قلوب الناس ، وهذا وإن كان لذيذا نظرا إلى حصول القدرة التى هى من صفات الكمال يلزمه لوازم مكروهة :

الأول إن طلب المال وطلب الجاه انفعال للنفس ، وتأثر فيها بحب المال وحب الجاه ، والانفعال والتأثر من صفات الهوى وقابلية العدم . (الورقة ٢٨٦ ظ) وعدم الالتفات إلى المال .

والجاه عبارة عن قوة فى النفس وشدة باعتبارها يمتنع من الانفعال من الغير وهذا هو صفة واجبة الوجود ، فالحاصل ان طلب

(١) المخطوطة : هذه

(ب) ايضا : مختصرة بجهته اخرى

الجاه طلب للقدرة ، والقدرة كمال في الصفة ، وتأثر النفس لهذا الطلب يدل على كون الذات منفعة ومتأثرة وهو نقصان في الذات ، وإذا وقع التعارض بين النقصان في الذات والنقصان في الصفة ، فإن الأول أولى بالدفع .

الثاني أن طلب الجاه لا يمكنه تحصيله إلا بتحصيل موجداته ، وتلك الموجبات هي إن ظهرت (١) لهم أبدا ما يعتقدونه فضيلة عن كل ما يعتقدون كونه رذيلة وذلك بدون النفاق ، وأصل الفساد ، فإن هذا الإنسان ان لقي أهل التشبيه ولا بد أن يظهر من نفسه الميل إلى التوحيد ، وقس على هذا المثال جميع الأحوال المتباعدة في الدين وفي الدنيا ، ثم إذا أتى بهذا النفاق القبيح بقي أبدا في خوف أن يفتضح ويظهر نفاقه فيرجع (ب) عنه جميع الفرق ، والنفس إذا وقعت في هذه الدركات فقد ضلّت وخسرت وصارت من الهالكين .

الثالث ان ملك القلوب ان مله هذه المحنة فأخبره الموت بل لو سجد (١) لك كل من في المشرق والمغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له بمثل هذه السعادة المشرفة على الزوال ، فلا ينبغي أن يرجع على السعادة الباقية أبد الآباد ، وهذا العلاج لا يتم إلا إذا نسبت مدة الحياة إلى ما سيجيئ من غير الابد ، وذلك إنما يكون باستحقاق معنى الابد على الوجه الذي نلخصناه .

الرابع وهو أن الجاه معناه التفرد بالحكم والإستلاء والامتلاء ، ومعلوم انه إن حصل لك هذا المعنى بقي كل من سواك (ج) محروما

(١) المخطوطة : ظهر

(ب) ايضا : فرجع

(ج) ايضا : سواك

— ١٤٣ —

هذه ، والحريمان عما يكون مطلوباً مكروه بالذات .

إذا عرفت هذا ظهر عندك حال كل من سواك من أهل المشرق والمغرب ، انهم يئازعونك في طلب الجاه ويحاولون (أ) دفعك عنه ومنعك من الوصول إليه ممن طلب الجاه ، فقد الجأ كل من هواه من أهل المشرق والمغرب إلى عداوته ومنازعته وإبطال حياته وإبطال جميع كمالاته ، ومعلوم أنك واحد منهم ، ولو قدرت على المقاومة (ب) لم تقدر إلا على مقاومة واحد أو اثنين ، وإذا اجتمع قوم على مقاومتك قهروك ولا سيما إن اجتمع أهل المشرق والمغرب فلا بد وأن يقهروك وأن يوصلوا إليك كل شر ومحنة ، اللهم إلا إذا صرت مؤيداً بالتأييدات الإلهية السماوية أو الإتفاقات الفلكية الغربية النادرة حتى تنجو (ج) منهم مدة قليلة إلا أن النادر لا عبرة به والمرجوح .

فثبت أن من طلب الجاه فكأنه حرك البحر الأعظم من الآفات ، ويهدف لأن يحته الموج من كل جانب من غير أن يكون له عن ذلك مهرب ، ولا دافع ، وذلك مما لا يقدم عليه العاقل .

الخامس وهو أن حصول الجاه مبني على ميل القلوب ، وميل القلب إلى الاعتراف بفضيلة الغير لا يحصل إلا عند الاعتراف بفضيلته هو الأمر العرضي ، ولا سيما من العرض السريع الزوال ، ولهذا السبب كان الأصل في اعتقاد الإنسان في كون غيره أفضل منه هو العدم ، فإن حصل فيزول عن قريب ، ولما كان مدار الجاه على هذا

(أ) المخطوطة : ويحاولو دفعك

(ب) ايضاً : على المساومة الخ

(ج) ايضاً : حتي تنجوا منهم

— ١٤٤ —

الحرف وهو سريع الزوال ، والذائق أقوى من العرضى ولا سيما من العرض السريع الزوال ، ثم بتقدير أن ينقلب الإنسان من لذة الجاه إلى ذلة الرد وعدم الجاه كانت تلك المشتقة فى النهاية (الورقة ٢٨٧ و) القصوى من الأسف واللذة الحاصلة من وجدان ذلك الجاه لا تقرر (١) بهذه المذلة ، وثبت أن الأولى ترك طلب الجاه .

السادس ان لذة الجاه هو اقبال النفس على عالم المحسوسات ، واشتغال باللذات المقتبسة منها ، وهى مانعة للنفس عن الإقبال على عالم الروحانيات ، والاشتغال بتلك اللذات العالية ، وقد عرفت إنه لا مناسبة بين اللذات الفاضلة من عالم الروحانيات إلى هذه اللذات الجسائية .

السابع أن لذة الجائع ليست لذة ظاهرة قاهرة تزيل عن القلب طلب للذات الشهوانية ، لكن طلب لذة الجاه لا سبيل له إلى وجدانها إلا بترك اللذات الشهوانية مع كونه متذكرا لها راغب النفس فيها - فهذا الشخص وإن سعد بوجدان لذة الجاه لكنه شقى بفقدان لذة الشهوة - ففقد الخير والمقابلة كأنه لا لذة أصلا ، أما الالتذاذ بالإقبال على عالم الروحانيات فهو التذاذ قاهر قوى لا يبقى معه شعور بشئ من الجسائيات فضلا عن الميل إليها والرغبة فيها ، فاللذات العقلية خالصة عن مخالطة شئ من آلام ، ولذة الجاه مخلوطة بألم فقدان الشهوات ، فكان الأول أفضل .

الثامن أن صاحب الجاه ، فإن كان يتخيل انه ملك قلوب الخلق إلا انه مخطئ ، بل هو فى الحقيقة مهان مملوك لكل الخلق ، لأنه إذا

(١) المخطوطة: لا تقى

مال قلبك إلى أن يعتقد (أ) أهل العالم وتحكم عليهم فقد صرت كالحائف
الوجل من أن تقدم على أن ينفر كل واحد منهم عن الانقياد لك
وتخرجه عن ربك (ب) ، والمشتغلين بخدمتك ، وذلك يوجب أن تكون
أبدا دائم التفحص عن أحوالهم ، دائم البحث عن مراداتهم ومكروهااتهم
حتى تكون مواظبا على مراداتهم ، فقد صرت كالعبد الأمير لكل
واحد من أولئك المریدین ، ولو أخبرت بأن واحدا منهم رجع عن
إرادتك وأعرض عن مبايعتك لنألم قلبك وتشوش فكرك .

ثبت أن من جعل نفسه شيئا لطائفة فهو في الحقيقة صار كالعبد
الخن لكل واحد منهم ، لا يلتذ إلا بالإقبال عليهم ، ولا يغم
إلا بأعراضهم وأما أولئك المریدون (ج) فإن كل واحد منهم ليس إلا في
قيد ذلك الرجل الواحد ، فهذا المرید ليس إلا عبدا لرجل وأما ذاك
المراد فهو عبد لكل واحد من أولئك المریدین ، فهكذا (د) صاحب
الجاه حاول ملك القلوب وهو في الحقيقة بلغ في المملوكية إلى أقصى
الغايات وفي العبودية إلى أبلغ النهايات .

التاسع أن صاحب الجاه لا ينقذ حاله عن أحد أمرين ، إما في
التزين للخلق واستخراج الطرق الجالبة لقلوبهم إليه ، وإما في رفع
الأمور التي تنقص تأثير الجلالة عليه .

إذا عرفت هذا ، فنقول : أما الطرق الموجبة لحب الجاه فليست

(أ) المخطوطة : "يفتقد"

(ب) أيضا : وتخرجه عريض والمشتغلين الخ

(ج) أيضا : المریدین

(د) أيضا : قها كذا

- ١٤٦ -

الإظهار ما يعتقد الناس كونه فضيلة ، والأمور التي يعتقد الناس فيها أنها فضائل مختلفة بالبلدان والأزمان والأمزجة والأصناف والعادات وليس لها ضابط معلوم ولا قانون معين ، ولما كان كذلك كانت الطرق الموجبة لزوال الجاه أيضا غير مضبوطة ، فصاحب الجاه مشغول الفكر بضبط ما لا ضبط له في الإيجاد وفي الإعدام ، وذلك يستدعي توقيف الفكر وحبس النفس وشغل الهم وذلك يصدده عن جميع خبرات الدنيا والآخرة ، فيبقى عمره في استخراج الحيل التي يكون هو عالما بكونها من الأباطيل والأضاليل وينقضى عمره في الخوف أن يحضر أحد يهتك ستره فيها ويكشف عن فضيحته ، ومعلوم أن ذلك بلاء لا بلاء فوقه (الورقة ٢٨٧ ظ) ولا عناء أزيد منه .

العاشر أن كل من كان أكثر التذاذا بالجاه فإذا بقي محروما عنه كان تألمه بفقدانه أشد واشق ، ولما تقابل هذا الوجدان بضرب من الحرمان فقد تعارضا وتساقطا ، فوجب البقاء على الحالة الأصلية ، فهذا هو الإشارة إلى العلاجات العملية .

— ١٤٧ —

<الفصل الثانى عشر>

وأما العلاجات العملية ، فهى من وجوه :

الأول مباشرة أعمال مباحة (١) يلام الإنسان عليها حتى يسقط من أعين الناس ويزول عنه لذة القبول ، ويأنس بالحمول ، وهذا هو طريق أصحاب الملامتية على أن فيهم من يقدم على صفة الفواحش ليسقطوا أنفسهم عن أعين الناس فيسلمون من آفات الجاه .
وقال الغزالى : وله شرائط :

الأول أن هذا غير جائز لمن يقتدى به فإنه يوهن الدين فى قلوب المسلمين .

الثانى لا يجوز (٢) أن يقدم على المحرمات لهذا الغرض بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس .

روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد ، فلما علم تقربه منه أسرع إلى طعام عنده وجعل يأكله بشره وبِعظم اللقمة ، ويتضحك على الأكل ويصفق بيديه فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف ، فقال الزاهد : الحمد لله الذى صرفك عنى .

أما العلاجات العملية : إذا أراد الإنسان علاج هذا المرض ، فإما أن يكون فى الموضع الذى عرفوه فيه بالجاه وعلو القدر أو فى موضع ما عرفوه بذلك .

أما القسم الأول ، فلا سبيل إليه إلا بطريقين — إما باعدام ما يوجد أو بإيجاد ما يعدمه .

أما الأول ، فنقول : لاشك أن الموجب لحصول الجاه ليس إلا اظهار الفضيلة فمن أراد علاج هذا المرض فليترك إظهار تلك الفضائل التي بإظهارها يتوسل إلى اكتساب ذلك الجاه ، فإن لم ينفع ذلك في هذا الغرض فليظهر أمورا يظن بها أنها اضداد تلك الفضائل ، فإن الضد الطارئ لا بد وأن يزيل الضد السابق .

وأعلم أنه كما يمكن إظهار ما ليس بفضيلة بحيث يظن به في الظاهر أنه فضيلة كذلك يمكن إظهار ما يكون في نفسه فضيلة بحيث يظن به في الظاهر أنه رذيلة ، فإن من أكل الطعام الكثير مع إظهار الشره والضحك ومن أظهر التصفيق والرفض والعدو والتشبه بأفعال الصبيان والحجابين وكانت نيته في تلك الأفعال إزالة حب الجاه وإخلاص السر لله تعالى كانت تلك الأفعال في الحقيقة من أعظم الفضائل ، وإن كان يظن بها أنها من الرذائل ، كما أن من واطب على الصلوات والصيامات لقصد جلب قلوب الناس كانت تلك الأعمال في الحقيقة من أعظم الرذائل ، وأن يظن بها أنها من الفضائل .

وأما القسم الثاني ، وهو أن يريد إزالة الجاه في موضع لا يعرف بالجاه ، فهذا لا طريق إليه إلا أن يسافر الإنسان إلى بلد لا يعرفونه ولا يطلعون على أحواله ، ثم يخلط نفسه بالعوام ولا يأتي بفعل يميزه عن العوام ، ويدل على فضيلته ، فإذا فعل ذلك فقد يخلص عن آفات الجاه بالكلية .

ويقال ان كيخسرو (١) الملك لمملك الأرض ناقت نفسه إلى العالم الالهي ، وعلم أنه لا سبيل إليه بالجمع بين الملك وذلك الأمر ،

(١) المخطوطة : كيخسروا

— ١٤٩ —

فترك مملكته وسافر إلى موضع لم يعرف أحدا إلى أين ذهب واشتغل بنفسه فهذا هو الطريق في هذا الباب .

< الفصل الثالث عشر >

(الورقة ٢٨٨ و) بيان العلاج لكراهة الدم

اعلم أن أفعال أكثر الخلق موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء المدح وخوف الذم ، وطريق علاجه من وجوه :

الأول - ان الصفة التى يمدح الإنسان بها إما أن تكون موجودة أو معدومة ، فإن كانت موجودة فلما أن تكون موجبة للمدح فى نفس الأمر أو لا تكون موجبة ، فإن كانت موجودة وكانت موجبة للمدح وجب أن لا يحصل الفرح بهذا المدح لوجوه :

أحدها ان ذلك انعام من الله تعالى يوجب الشكر ، والظاهر أن الإنسان لم يقم لشكره كما ينبغى ، فهذا الإنسان يجب أن يكون خوفه من التقصير عن القيام بشكر الله بهلك النعمة يمنعه عن الفرح لحصولها خوفا من أن العواقب غير مستقرة ، فلعلها تزول ، فوجب أن يكون خوف زوالها مانعا عن الفرح بها وبحصولها .

وثانيها وهو ان فرحك بمدح هذا المادح مما يذهلك عن ذكر الله تعالى ، فإن كان حصول تلك الصفة توجب الفرح فحصول العاقب عن ذكر الله تعالى يوجب الغم ، والفرح إذا أوجب الغم كان وجوده مفضيا إلى عدمه .

— ١٥٠ —

وثالثها أن المؤثر في حصول تلك الفضيلة جود الله تعالى في تخصيصك بتلك النعمة ، وأما قول المادح فهو اختيار صدق عن حصوله ، وذلك تابع له ، والمؤثر في الشيء أقوى من الأثر الذي يكون نافعا له ولا يختلف حاله بوجوده ولا بعدمه ، فوجب أن يكون استغراق الإنسان في معرفة أن الله تعالى خصصه بتلك النعمة الجسيمة يذهله عن الفرح بالمدح .

وأما أن لم يحصل في قلبه شعور بأن ذلك من انعام الله تعالى فوجب أن يكون حسرته بسبب هذه الغفلة أقوى من فرحه بسبب حصول تلك النعمة .

ورابعها أن حصول تلك الصفة المحمودة بدون ذكر الذاكرين له نعمة من الله تعالى عليه ، لأنه يصير خاليا عما يوجب العجب والكبر والتهيه وحصولها ، مع ما يوجب تلك الأخلاق الذميمة المهلكة ، ولا شك أن حصول تلك النعمة خالية عن كل الآفات أحب وأفضل من حصولها مقرونة بالآفات المهلكات فوجب أن لا يكون الحمد محبوبا .

وخامسها أن شعور الإنسان بحصول تلك الفضيلة حال ما كانت خالية عن مدح المادحين يوجب توجه القلب إلى فضل الله تعالى وانعامه على العبد وشعوره بحصولها حال كونها مقرونة بمدح المادحين يوجب إنصراف القلب عن الحق إلى الخلق ، ولا شك أن الأول أولى .

أما القسم الثاني إذا مدح بصفة حاصلة فيه إلا أن تلك الصفة لا توجب المدح في الحقيقة بل هي من جملة ما يوهم أنها توجب المدح

بالقوة والنحل (١) والنسب .

وعلاجه أن يتأمل في البراهين الدالة على أنها ليست من موجبات المدح بل هي أوهام بالجملة باطلة وخيالات فاسدة لاتفيد الاشدة الجهل وتاكيد الغرور وتراكم الضلالات والبعد عن الله تعالى .

واما القسم الثالث : إذا مدح بوصف غير حاصل فيه فحصول الفرح لهذا المدح غاية الجنون (١) هو كما إذا مدح بالصلاة والورع والاشتغال بخدمة الله تعالى مع انه يعرف انه في قلبه وباطنه خال من هذه الافعال ، وانه ما أتى بهذه الطاعات الظاهرة الا طالباً للمال والجاه ، فهذه حالة التزوير والتدليس .

العلاج الثاني بحب المدح ، ان ذلك المدح إما أن يكون كذباً أو صدقاً ، فإن كان كذباً فالقاتل يستوجب (الورقة ٢٨٨ ظ) العقاب على الكذب والسماع له الراضى به يستوجب العقاب على كونه راضياً بالمعصية ، وإن كان صدقاً فالقاتل إنما يقوله لغرض فاسد عاجل ، والسماع لا بد وأن يحصل له العجب والتيه وذلك مما ينقص ثواب طاعته في الآخرة ، ومما يوجب حصول نوع من العجب والفضيلة الخالية عن العجب أحب إلى الناس العقال (ب) من الفضيلة المقرونة بالعجب ، العلاج الثالث : إن بعض الناس وإن كانوا يمدحون فهم (ج) في الأكثر يذمون ، فان عرض الانسان فكتة (د) لأن يفرح بالمدح فقد عرضة لان يحزن ويتالم بسبب الذم أكثر ، فهذا الانسان الذى فعل

(١) المخطوطة : والعجل

(ب) العقال جمع عاقل ،

(ج) المخطوطة : فيهم

(د) ايضا : مله

- ١٥٤ -

هذا فقد سعى في تشويش مصالح الدنيا على نفسه بسبب كثرة الغموم الحاصلة عند ذم الناس ، وسعى ايضا في تشويش مصالح الآخرة بسبب ان المقبل على احوال الخلق محجوب عن الحق .

علاج كراهية الذم : ان الذى ذمك (٢) إما أن يكون قد صدق فيما قال أو قصد النصيح أو صدق وقصده الإيذاء ، أو يكون كاذبا ، فان صدق وقصده النصيح فلا يجب أن تذهمه وتغضب عليه وتحقد بسببه ، بل يجب ان تعد ذلك إنعاما منه عليك ؛ لأن من اهدى إليك عيوبك فقد أبغظك من رقدة الجهالة وهداك إلى المهلكة حتى تحترز عنها ، وأما إن صدق وقصد به الإيذاء فإنه بالحقيقة قد انتفعت به وبقوله ، إذ عرفك عنك إن كنت جاهلا ، أو ذكرك العيب ان كنت قد نسيت أوقبه في عينك إن كنت قد استحسنته ، وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه ، فاشتغل بطلب موجبات (١) السعادة وإزالة موجبات (١) الشقاوة ، فقد انهج لك أسبابها بسبب ماسمعته من المذمة ، ألا ترى انك إذا قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالقذر ، فقال لك قائل : أيها الملوث بالقذر ! طهر نفسك وحينئذ تدخل على الملوك ؛ فيجب عليك ان تفرح بقوله لأن هذا التنبيه غنيمة لك .

وجميع مساوى (ب) الاخلاق (٣) مهلكة ، والانسان لا يعرفها بالتمام إلا من قول اعدائه فيجب ان يغنمه ، فأما إن قصد العدو (٤) الإيذاء فذلك خيانة منه على رين نفسه وهو نعمة منه عليك ، فلم تغضب بفعل هو نفع في حقك وضرر في حق عدوك .

(١) المخطوطة : موجبات (في الموضوعين)

(ب) ايضا : ساوى

— ١٥٣ —

واما القسم الثالث وهو أن يفترى عليك بما أنت برئ (ه) منه عند الله ، فيجب أن لا نكره ذلك . ولا تشتغل بدمه ، بل تفكر في ثلاثة :

الاول انك إن خلوت من ذلك العيب فما خلوت عن كل العيوب ، فاشكر الله تعالى إذ لم يطلعك على عيوبك كلها الموجودة فيك وشغله بذكر ما أنت برئ عنه .

الثاني ان سماع ذلك الكلام يوجب النفرة الشديدة عن مخالطة الخلق ، ومن اعرض عن الخلق فقد توجه إلى خدمة الخلق لاحتالة لأن الانسان يمتنع أن يبقى معطلا ، بل خلق فعلا بالطبع ، فالذم يدعوك من الخلق إلى الحق ، والمدح يدعوك من الحق إلى الخلق ، فما أعظم التفاوت !

الثالث ان ذلك القائل قد صارت نفسه ملوثة برذيلة الكذب مع أن الله طهرك منها ، فليكن شكرك وفرحك بهذه السلامة مذهلا لك عن الحزن بسبب ذلك الذم ،

الرابع انك ان اعتقدت ان ذلك الفعل منه فقط فإنك مشرك ، وإن عرفت أنه بقضاء الله وقدره وهو باطل أو منه وهو (١) عاجز معذور .

الخامس كما انه أدخل الغم في قلبك فصار قلبك معرضا عن الخلق متوجها إلى الخلق ، فكأنه خرب (الورقة ٢٨٩ و) دنياك وعمر دينك ، وأما ذلك القايل فقد خرب (٦) دين نفسه بسبب ذلك القول فيجب عليك بحكم الكرم أن تسعى في عمارة دينه ، ولهذا قال

(١) المخطوطة : اللفظ غير واضح

- ١٥٤ -

عليه السلام : "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" .

السادس أن تقطع طبعك عن أموال الخلق ومنافعهم ومتى فعلت ذلك سهل عليك ذمهم لك ومدحهم لك ، لأنه لا يرجى من مدحهم إلا وصول النفع من جهتهم ولا مضره في ذمهم إلا انقطاع منافعهم عنك فإذا قطعت طبعك عن منافعهم استوى عندك مدحهم وذمهم .

السابع أن يسلط صفة الكبر على نفسه ويعتقد في نفسه انه أعلى من يزداد بمدح المادحين أو ينتقص بدم الزامين ، أو يعتقد في ذلك المادح والذام أنه جار مجرى البهيمة ، ومتى كان كذلك لم يبق في قوله أثر ولا فائدة ، وقد ذكرنا طريقا (١) من طرق علاجها .

الثامن ان ذلك الذم ان صدق فالذنب المذموم حيث اكتسب تلك الصفة الموجبة للمذمة ، وإن كذب فذلك الذم للمذموم في الظاهر ولكنه ذم للذام في الحقيقة فإن اقدامه على ذلك الكذب يدل على كونه متصفا بالأخلاق القبيحة من الكذب والغيبة وخبث النفس ، وإدخال الشبهات في القلوب .

التاسع أن ذلك الذم إن كان صدقا فهو اشاعة الفاحشة وذلك من لوم الطبع وخبث النفس ، فوجب أن يشكر المذموم على أن صانه عن هذه الصفة ، وإن كان كذبا كان ذلك اعراضا عن تعظيم أمر الله وعن الشفقة على خلق الله ، فوجب أن يكون فرح المذموم على أن صانه الله عنه بذله عن الغم بسبب الذم .

العاشر ان الذام إنما أقبل على ذلك الذم سعيا منه في إدخال الحزن في قلب ذلك المذموم ، فإن حصل ذلك الحزن فقد حصل

— ١٥٥ —

غرض ذلك العدو ، وإن لم يحصل بطل عليه سعيه ونخاب جده وجهده ،
وذلك يدل على أن المذموم لم يقيم (١) له وزنا وأنه يلحقه بالبهائم
والجمادات ، فوجب أن لا يحزن المذموم عند سماع الذم لئلا يصل
عدوه إلى مقصوده وغرضه .

<الفصل الرابع عشر>

بيان اختلاف الناس في أحوال المدح والذم (١)

للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الذم والمدح (٢) :
الحالة الأولى : أن يفرح بالمدح وبمدح المادح ، ويحزن بالذم
وبذم الذام ، وهذا حال الأكثرين وهو أخس الدرجات (٣) .

الحالة الثانية : أن لا يفرح بالمدح وأن يمسك لسانه وجوارحه
عن مكافاته ويحزن بالذم ، ولكنه يمسك لسانه عن مكافاته ، وهذا
أيضا من باب النقصان لكنه بالإضافة إلى ما قباه كمال (٤) .

الحالة الثالثة : أنه يستوى (٥) عنده المدح والذم ولا يسوءه الذم
ولا يسره المدح ، وقد يظن بعض الناس هذه الحالة بنفسه ، ولكنه
يجب أن يمتحن نفسه وعلامة صدق هذه الحالة أن لا يجد في نفسه
استئقالا للذام عند تطويله الجاوس عنده أكثر ما يجد في المادح وأن
لا يجد في نفسه زيادة لذة (ب) ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما
يجده في قضاء حوائج الذام ، وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجاسه

(١) المخطوطة : لم يقيم / لم يقيم

(ب) أيضا : سده

أهون عليه من انقطاع المادح .

فإن قيل كيف يجوز أن يستوى عنده الممدوح والذم ، والممدح يقتضى إقدام المادح على تعظيم حال ممدوحه وهو طاعة (٦) ، والذم يقتضى إقدام الذام على الاساءة إلى أخيه المسلم (الورقة ٢٨٩ ظ) و هو معصية .

قلنا ان المذموم لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب من الكبائر أكثر مما ارتكبه هذا الذام في مذمة المذموم ، ثم انه لا ينفر طبعه عنهم ،

وأیضا فالمادح (٧) الذى مدحه لا ينفك عن اقامه على ذم غيره مع انه لا يجد في قلبه نفرة عنه كما يجد للمدح نفرة ، والمذمة من حيث انها معصية لا يختلف بأن يكون هو والمذموم أو غيره ، فثبت أن ذلك المذموم إنما غضب طاعة لهواه لا طاعة لمولاه . وان الشيطان يخيل إليه انه من الدين وأن الله قد جعله ممن قال في حقه : ” قل هل ننبئكم (١) بالاخسرین اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم الخ “ (ب) (٨) ،

الحالة الرابعة أن يكره الممدح (٩) ويحب الذم ، لانه يعلم أن الممدح يحجره من نور عينية (ج) جلال الله الحق إلى ظلمات عالم الخلق ، والذم يهدى إليه عيوبه ويرده عن ظلمات عالم الخلق إلى انوار عالم الحق ، فهذه (د) المراتب التي ذكرها الشيخ الغزالي .

(١) المحطره انبيئكم
(ب) ايضا : وهم في الآخرة
(ج) ايضا : عينه
(د) ايضا : فهذا ،

— ١٥٧ —

وعندى فى هذا الباب حالة خامسة : وهو أن يصير فارغا عن المدح وعن الذم بالكلية فلا يحبها ولا يبغضها ولا يلتفت قلبه إليهما ، وهذه (١) درجة الصديقين المستغرقين فى نور جلال الله تعالى ، لا يبقى فى قلبه محل إلى الالتفات إلى غير الله ، ومن لا يتصور الشئ لا يمكنه أن يحبه أو يبغضه ،

ثم قال الشيخ : وأهون المراتب هو المرتبة الأولى ثم الثانية وهى ضعيفة لأن الإنسان ، وإن مكث عن اكرام المادح وإهانة الذام لكنه لابد وأن يحض المادح بما يدل على أن قلبه إليه اميل ومحبه له أكد .

بيان حركات المدح : الحب والبغض من الاحوال القابلة للاشد والاضعف ، فلا جرم مراتب الناس فيه مختلفة .

فالمرتبة الأولى : أن يعظم حبه للمدح (١٠) والثناء حتى يدانيه (ب) بالعبادات ولا يبالي بارتكاب (ج) المحظورات (د) ، ولاحد لاشتماله على قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح .

الثانية أن يطلب المدح لا بالرياء ولا بارتكاب المحرمات بل بالمباحات ، وهذا على شفا جرف هار ، فإن حدود الكلام الذى

(١) المخطوطة : وهذا

(ب) ايضا : يرى انه

(ج) ايضا : بالارتكاب

(د) ايضا : المحظورات

يشتمل به القلوب لا يمكن ضبطها فيوشك أن يقع فيها لا يحل لطلب الحمد فهو قريب من الهالكين .

الثالثة أن لا يريد المدح (١١) ولا يسعى في طلبه لكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه ، فإن لم يعالج هذه الحالة بالمجاهدة فهو قريب من أن يستجره من فرط السرور إلى الرتبة التي قبله .

الرابعة انه إذا سمع المدح لم يحصل في قلبه سرور ، وصاحب هذه الحالة لا بد وان يستحضر في قلبه أبدا ما في السرور بالمدح من الآفات ثلثا يقع في الدرجة إلى قبلها .

الخامسة إذا سمع المدح كرهه (١٢) ولكن لا ينتهي به إلى أن يغضب على المادح وينكره عليه .

السادسة أن يكره (١٣) ويغضب وينكره عليه وهو صادق إلا ان قلبه محب له الا انه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مقتبس عنه ، ولذلك بالصد من هذا يتفاوت الاحوال في حق الزام والمادح ، واول درجاته إظهار الغضب واخره إظهار الفرح .

< الفصل الخامس عشر >

الكلام في الرياء وأحكامه

الريا مشتق من الروية والسمعة (١) < مشتقة من السماع > وحده إظهار خصلة (٢) من الخصال التي يعتقد الحاضرون فيها انها من الخصال الفاضلة لغرض أن يعتقدوا فيه كونه موصوفا بتلك (الورقة ٢٩٠ و) الفضيلة مع كونه في نفسه عاريا عنها .
لألم أن هذه الحالة قد يقع في أحوال الدنيا وقد يقع في أحوال الدين .

أما الأول فكما إذا أتى الإنسان بأفعال وأقوال تدل على كونه كثير المال مع أنه لا يكون ذلك في الحقيقة ، ومقصوده أن يعتقد فيه كثرة المال من يرى ذلك فضيلة .

وأما الثاني فكما يأتي بأفعال تدل على الزهد أو العبادة ليعتقد فيه ويكون هذا قصده ، ولا يكون كذلك في الحقيقة ، فهذا الحد الذي ذكرنا غاية في الريا في أمور الآخرة والدين والدنيا ، إلا أن القسم الثاني هو المشهور في العرف ، وهو الرياء في أمور الدين - وأما في أمور الدنيا فذلك يسمى طلب الجاه والرفعة .

إذا عرفت هذا فنقول : لابد من أركان ثلاثة :

الأول أنا نقول المرائي هو الذي يأتي بتلك الأفعال على قصد

التلبيس .

وثانيها القوم الذين يراد تزويج التلبيس عليهم وهم المراءى

لهم .

— ١٦٠ —

وثالثها المراءى (١) به وهو تلك الأفعال والأحوال التي يراد بها ترويح ذلك التلبيس على الناس .

إذا عرفت هذا ، فنقول : المراءى به كثير ويجمعه خمسة اقسام (٣) :

البدن والزى والقول والعمل ، والأشياء الخارجة .

وكما أهل الدين يراؤن بهذه الخمسة ، كذلك (ب) أهل الدنيا يراؤن بها ، إلا أن جهة المراءاة مختلفة في الناس .

فالنوع الأول : الرياء من جهة البدن (٤) باظهار النحول والصفرة (ج) ليوهم بذلك جهده واجتهاده وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ، وليلد بالنحول على قلة الأكل وبالصفرة على سهر الليل - وكذلك يرائي بشعث الشعر ليدل على استغراقه في هم الدين ، وقلة فراغه لتسريح الشعر ، وهذه الأحوال متى ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور ، ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة وكثرة أطرافها وذبول ليستدل بذلك على الصوم وعلى وقار الدين .

النوع الثاني : الرياء بالهيئة والزى (هـ) ، أما الهيئة فاطراق الرأس في المشي ليستدل به على غرق في الفكر ، وكذلك ابقاء أثر السجود في الجبهة (د) .

(١) المخطوطة : والمرعيا

(ب) ايضاً : وكذلك

(ج) ايضاً : والصففا

(د) ايضاً : الجبهة

- ١٦١ -

وأما الزى فغلظ الثياب ولبس الصوف وتقصير الثياب وتشميرها وقصر الأكمام ، وترك ترميم الثوب وتركه مخرقا أو مرقعا بعض الترقيع كل ذلك تورية ليستدل بها على اتباع السنة ، وطريق العباد الصالحين من السلف الفقراء ، ولو كان هذا الجاهل يلبس ثوبا رفيعا حلالا وكان قصده فيه أن لا يوصف بالرياء والناموس لكان خيرا له ، ومنه لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق التي يلبسها الصوفية مع التعرى عن حقايق التصوف في الباطن .

وطبقة أخرى (٦) : أرادوا أن يتشبهوا بالصالحين في الثياب والزي والهيئة ولم يسمح نفوسهم بلبس الثياب النازلة ، فأرادوا الجمع بين البابين فطلبوا الأصواف الرقيقة ، والفوط الرفيعة والمرقعات المصبوغة يلبسونها وقيمة ثيابهم قيمة لباس الأغنياء ، وأكثر ، وهذا من النزور .

وأما مراعاة (٧) أهل الدنيا فلباسهم الثياب الرقيقة النفيسة ، والمراكب الفارحة بالآلات (١) المذهبة والمموهة ليستدل بذلك على كثرة أموالهم ويتحصلون به زيادة الجاه والمال .

النوع الثالث : الرياء بالقول (٨) ، أما لأهل السدين فبذكر (الورقة ٢٩٠ ظ) المواعظ وإيراد الأخبار . وأما للشيوخ والفقهاء (ب) فبالجدالة والمناظرة ليكون الغرض افحام الخصوم بحضرة الناس ليستدل به على كثرة العلوم ، وفي تحريك الشفتين بالذكر في حضرة الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإظهار الغضب للمنكرات ،

(١) المخطوطة : بالآلات

(ب) أيضا : وأما الشيوخ وأما الفقهاء

— ١٦٢ —

كل ذلك ليستندل به على قوة الزهد .

واما اهل الدنيا فرائثهم (٩) بالاشعار والامثال والنكت المطربة والحكايات المضحكة ليستندل بذلك على لطافة الطبع وكثرة الاطلاع على الفنون .

النوع الرابع الرياء بدمعل (١٠) كمرائة (١) المصلى بطول انقيام وتطويل السجود والركوع واطراق الرأس وكذلك باظهار الصوم وتقليل الاكل والمضى إلى الحج والغزاة وفي سكون المشى وتجنب المراحة وغض البصر والتأني في المشى حتى اذا خلا بنفسه عاد إلى طبعه في العجلة .

واما اهل الدنيا (١١) فرائثهم بالتبختر ومشى الخيلاء وتحريك اليدين وتقريب الخطى (ب) ليدل بذلك على الجاه والحشمة .

النوع الخامس المرائة (ج) بالاصحاب (١٢) كالذى يستزير الامراء والوزراء واصحاب السلطان ، فيقال ان فلانا زاره فيزوره سائر الناس بناء على حشمته وفضله كالذى يكثر بكثر لقاء المشايخ والرحلة ليقال انه حصل العلوم والفوائد فيقصد لذلك .

واما اهل الدنيا فرائثهم < انهم > خدموا عظماء السلاطين وشرعوا في مهمات الملك .

فهذه مجامع (١٣) ما به يراقى المراءون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب الناس .

(١) المخطوطة - : كمرائا

(ب) ايضا : الخطا

(ج) ايضا : المراءيا

— ١٩٣ —

بيان درجات اهل الرياء في الرياء

الدرجة الاولى ان يكرم بحسن اعتقاد الناس فيه فكم من راهب^(١٤) ينزوى إلى ديره سنين^(١) كثره ، وكم من زاهد عابد انما هو متزهّد متعبد اعتزل إلى زاوية او قلة جبل مدة طويلة ولذته وحيوته قيام جاهه وسمعه عند الخلق ، ولو خطر بباله سوء اعتقادهم فيه لمات من الغم .

الدرجة (٢) الثانية ان لا ينع (١٥) بذلك الاعتقاد بل يلتمس اطلاق لسان القوم بوصفه ومدحه ، والثناء على حسن طريقته ، وانتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه .

الدرجة الثالثة أن يقصد به التوسل (١٦) إلى كسب الحرام وجمع الخطام ولوث أموال اليتامى ووقوف المساكين او المرضى ، وهذا من اشر طبقات المرائين .

واعلم ان الشيخ الغزالي ذكر تفصيلا وهو ان من الرياء ما يحل منه ومنه ما يجرم ، ثم لما شرع في بيان ذلك التفصيل تكلم في بيان ان طلب الجاه قد يكون مباحا وقد يكون حراما (١٧) ، وهذا عندي مستدرك من وجوه .

الاول ان مراتب طلب الجاه قد تقدم ذكرها في باب الجاه ، فلا فائدة في الاعادة هاهنا .

الثاني ان الرياء غير ، وطلب الجاه غير ، وذلك لانا بينا ان الرياء مشتمل على التلبس^(١٨) والتدليس ومجادلة ان يقع في الخواطر ما لاحقيقة له ، وذلك

(١) المخطوطه : سنين

- ١٩٤ -

يكون حراما بالكلية لان التلبيس والاضلال محرمان (١) بالكلية ، فثبت انه لا يلزم من اهتسام الجاه على سبيل التلبيس وهذا كله يكون حراما . علاج الرياء وهو إما بالعلم وإما بالعمل ، وهو ان يعرف الانسان ما في الرياء من المضار العظيمة في الدين وفي الدنيا .

أما في الدين فمن وجوه :

الأول أن العمل الذي ما وضع حيث وضع إلا لتعظيم الله إذا أتى الإنسان به ويدعى (الورقة ٢٩١ و) انه أراد به الله تعالى مع أنه في قلبه ، إنما أتى به لغير الله (١٩) فهذا يدل على أنواع كثيرة من الكبائر :

أحدها أن هذا يدل على ذلك الغير أعظم وقعا في قلبه من الله ، وإلا لما صرف ما هو حق الله إلى الغير ، وهذا يدل على كون ذلك الإنسان جاهلا من كل الوجوه .

وثانيها أنه لو أخلص الطاعة لله لاستوفى حمد الله ، ولما أتى بها لأجل الرياء فقد استدل بحمد سلطان السلاطين حمد أخس خلقه وما ذلك إلا جهل وحماسة .

وثالثها أنه إذا ادعى بلسانه أنه أتى بهذه الطاعة لله ، وإنما أتى بها في قلبه غير الله فكان كالمستهزأ بالله (٣٠) ومثاله أن يقوم رجل بين يدي الملك طول النهار كما جرت عادة الخدمة ، وكان غرضه من ذلك الوقوف أن ينظر إلى جارية من جواريه أو إلى واحد من غلمانه ، فإن هذا استهزاء بالملك .

(١) المخطوطة: " محرما

- ١٩٥ -

ورابعها (١) أن هذا كلاً استخفاف (٢١) بالحق سبحانه لأن من حضر في حضرة أعظم الملوك قدرة وقهراً وكرماً وفضلاً ، وعرض عليه حاجة من حاجاته ، وكان قلبه غير معلق في ذلك الكلام بذلك الملك ، بل كان قلبه معلقاً باخس من حضر هناك من العبيد ، كان ذلك سوء ظن بالملك واستخفافاً به وكذا (ب) هاهنا ، وذلك يدل على أنه يعتقد في ذلك الملك أنه كاذب في ادعائه كونه قادراً وكونه كريماً ، وبهذه الأسباب سمى النبي عليه السلام : ” الرياء الشرك الأكبر ” (٢٢) .

< الفصل السادس عشر >

بيان الرياء الخفي

اعلم أن الأقسام الثلاثة : اعنى أن لا يكون غرض الثواب معتبراً في الفعل أصلاً ، أو يكون معتبراً اعتباراً مرجوحاً أو مساوياً ، فهي المسماة بالرياء الخفي .

أما القسم الرابع وهو أن يكون غرض الثوب (١) معتبراً في الفعل اعتباراً راجحاً إلا أنه قد حصل معه غرض الرياء فهذا هو المسمى بالرياء الخفي ، وهذا مما لا يمكن أن يعرف إلا بالعلامات ، فمن تلك العلامات أن يحصل (٢) السرور (ج) في قلبه باطلاع الناس على عبادته ، وذلك لأن السرور حالة نفسانية تحصل عند وجدان المطلوب ، فلو لا

(١) المخطوطة : وثالها

(ب) ايضاً : وكذى

(ج) ايضاً : النزور

- ١٦٩ -

أنه حين أتى بتلك الأفعال كان يتوقع إطلاع غيره عليه وإلا لما حصل (أ) السرور لحصول هذا (ب) الإطلاع ، وينبغي أن يعالج ، فإنه إن لم يعالج استحكم ، ولو استحكم لا انعكست هذه الداعية التي هي الرياء من حد المرجوحية إلى حد الإستواء ، ومن حد الإستواء إلى حد الرجحان .

والعلامة الثانية أن يأتي الفعل مبنيا (ج) على كونه كثير العادة (٣) كالنحول والصفار وخفض الصوت وشعث الشعر واكثار البكاء ، وغلبة النعاس الدال على إظهار التجلد .

والعلامة الثالثة أن يترك كل هذه الأمور لكنه رأى الناس (٤) بأن أحبوا إبتداء بالسلام ، وأن يتركوا بحضوره (د) وبمصافحته ، وأن يهوه ويهادونه ، وإذا اشترى شيئا ساعوه .

يزوى عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال (ه) : "إن الله تعالى يقول يوم القيمة ألم يكن يرخص لكم الاسعار ، ألم تكونوا تبدؤن بالسلام ، ألم تكن تقضى لكم الحوائج ، اذهبوا ، فقد استوفيتم أجوركم .

واعلم أن كل المقصود من العبادات والطاعات انقطاع (هـ) النفس

(أ) المحطوطه : حصلت

(ب) ايضا : هذه

(ج) ايضا : بنيه

(د) ايضا : بان احب ابتداءه بالسلام ، وان يتركوا بحضوره الخ ،

(هـ) ايضا : وانقطاع

— ١٦٧ —

عن عالم المحسوسات واقبالها على عالم الروحانيات ، حتى أن الإنسان عند الموت يفارق من المنافي إلى الملاثم ، والآتي بالطاعات لأجل داعية الريا ، فقد أكل العلاقة مع عالم المحسوسات وبالغ في الفرار عن عالم الروحانيات ، فعند الموت ينتقل (الورقة ٢٩١ ظ) من الملايم إلى المنافي ، ومن اللذيد إلى المؤلم ، فيحصل هناك البلاء العظيم .

واعلم أنه مهما أدرك الإنسان تفرقة (٦) بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ، ففيه شعبة من الرياء ، فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال بحضور البهائم ، فلو كان مخلصاً قانعا بعلم الله لما التفت إلى إطلاع غيره عليه ، وحيث حصل التفاوت ولو بالقليل ، فالريا هناك حاصل .

فإن قلت فهل يعقل أن يحصل السرور عند إطلاع الغير على طاعته ، مع كونه مخلصاً ، فنقول : هذا ممكن في صور :

أحدها أنه إذا نظر إلى هذه الحالة من حيث أنه تعالى اطلع (٧) الخلق على أفعاله الجميلة وستر عنهم أفعاله القبيحة ، كل ذلك على العناية من الله تعالى في حقه ، فإذا فرح بهذه الحالة نظرا إلى هذا الاعتبار كان ذلك بمحض الاخلاص ، وهو المراد بقوله تعالى : ” قل بفضل الله ورحمته ، فليفرحوا “ (٨) .

الثانية أن يغلب على ظنه أنه تعالى : لما أظهر (٩) جميله وستر عليه قبيحه في الدنيا فالظاهر أنه كذلك يفعل في الآخرة لقوله عليه السلام : ما ستر الله على عبده في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة .
الثالثة إذا غلب على ظنه أن الذين رأوه على تلك الطاعة

- ١٦٨ -

يرغبون (١٠) في الإقتداء به فيصير إطلاعهم سببا لتكثر الطاعات ،
فالسرور بالاطلاع على طاعته محض للاخلاص والعبودية .

الرابعة (١) أن المطاعن (١١) على طاعته لما عظموه وانقادوا له علم
كونهم راغبين في الدين والتقوى ، فإذا فرح بحسن اعتقادهم في
الدين وتعظيم الشريعة كان ذلك محض الإيمان ، وإذا فرح (ب) بإطلاعهم
على طاعته لأنه يتوصل بذلك إلى استجلاب المقاصد الدنيوية منهم فذلك
هو الريا المذموم (١٢) .

< الفصل السابع عشر >

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى والجلى

وما لا يحبط (١)

الريا — إما أن يحصل بعد انقضاء العمل بتمامه على الاخلاص ،
وإما أن يطرى في أثناء العمل الذى وقع الإبتداء به على الإخلاص .
< القسم الأول > وأما أن يحصل بعد تمام العمل فهذا على
وجهين :

الأول إذا تمم العمل على الاخلاص (٢) ثم اتفق ان علم ان واحدا
من الملوك كان قد اطلع على اقدامه على ذلك العمل ، فحصل في قلب
هذا المتعبد سرور بسبب إطلاع ذلك الملك على عبادته ، فهذا مما يزجى
من الله تعالى أن لا يصير محبطا لثواب العمل ، لأن علمه قديم على

(١) المخطوطة: الرابع

(ب) ايضا: فرع

— ١٦٩ —

الإخلاص ، وهذا السرور لم يقع بإختياره ، فوجب أن يكون في محل العفو ، إلا أن حصول هذه الحالة يدل على أن هذا الشخص ليس من المخلصين الصديقين إذ لو كان كذلك ، لما التفت إلى إطلاع غير الله على طاعته بعد علمه بأن الله رأى تلك الحالة منه .

الثاني إذا تمم (٣) العبد على الإخلاص ، ثم أنه إطلع الناس وأظهره لهم ، فمنهم من قال : هذا الرياء محبط لثواب الأعمال السالفة .

واحتجوا بما روى أن رجلا قال : " صمت الدهر يا رسول الله ؟ " ، قال : " ما صمت ولا أفطرت " (٤) .

وعن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول : قرأت البارحة البقرة ، فقال : ذلك حطه منها (هـ) .

ومنهم من قال أنه يثاب على إخلاصه المتقدم ويعاقب (٦) على هذا الرياء المتأخر ، والله سبحانه يقضى فيه بالعدل برعاية الخير والمقابلة بين الزائد والناقص ، وأجاب عن هذا الحديث بأن هذا التهديد لعله كان إشارة إلى كراهة صوم الدهر (الورقة ٢٩٢ و) على سبيل الدوام .

القسم الثاني — إذا شرع في العبادة مع الإخلاص ثم طرأت (أ) داعية الرياء (٧) في أثناء العمل بهذا الطارئ ، إما أن يكون مجرد سرور ولا يؤثر في العمل ، وإما أن يكون رياء باعثا على العمل ، وبمقدار كونه باعثا على العمل ، فأما (ب) أن يكون باعثا على كيفيات

(أ) المخطوطة : " طرت

(ب) أيضا : فلما

ذلك العمل أو على أصل ذلك العمل ، فهذا القسم (٨) مشتمل على
ثلاثة أنواع :

النوع الأول :- أن لا يكون الطارئ إلا مجرد السرور وهذا
هو < اخس > (١) الدرجات - فإن الحارث المحاسبي قال : " أنه
يحبط (٩) العمل لأنه لما حصل السرور في قلبه بسبب اطلاع المخلوق عليه
كان ذلك السرور داعيا له إلى العمل ، وإذا صار هذا السرور حاملا
له على العمل امتنع أن يكون القصد الأول الملقى به لأجل الله تعالى
حاملا له على العمل ، لأن الأثر الواحد لا يجتمع عليه مؤثران
مستقلان (ب) ، والطارئ أولى بإزالة الثاني من العكس ، فكان أجر هذا
العمل ما شابه أجر الله فوجب أن سر .

واحتج من قال بأن هذا السرور لا يحبط الثواب (١٠) بما روى
أن رجلا قال يا رسول الله انني امرس العمل لا أحب أن يطلع عليه
أحد ، فإذا اطلع عليه أحد سرقى ، فقال عليه السلام : اللهم لك
أجران - أجر السر وأجر العلانية (١١) . وأيضا إن هذا السرور الزائد
في العمل لما لم يؤثر في العمل دل على أنه ضعيف مرجوح بالنسبة إلى
نية الاخلاص ، والمرجوح مخصص (ج) بالعدم .

اجاب عنه من ثلاثة أوجه (١٢) :

أحدها لعل هذا السرور إنما حصل بعد الفراغ من العمل ،
والثاني لعله إنما حصل لاعتقاده بأن غيره يقتدى به ، بدليل أنه

(١) المخطوطة :- ليس بموجود

(ب) أيضا : مسعلان

(ج) أيضا : مخصص

— ١٧١ —

جعل له به أجر ، ولم يقل أحد من الأمة أن السرور بحمد الناس أجر بل غايته أن يعنى عنه .

الثالث أن الحديث ضعيف الأسناد .

النوع الثانى الذى يؤثر فى كيفية العمل ، ولكنه لا يؤثر فى أصل العمل (١٣) ، فهو كما إذا شرع فى الصلاة تعظيما لله تعالى ، ثم حضر فى أثناء صلوته جماعة ففرح لحضورهم وصار ذلك الفرح حاملا له على الإتيان بزيادات فى الخضوع والخشوع ، لو لا حضورهم ما كان يأتى بها ، فهاهنا داعية الريا أثرت فى حصول كيفية زائدة .

أما تمثيله : فمثاله (١٤) أن يكون قد شرع فى صلاة تطوع فحدث أمر من الأمور ، واشتهى هذا المصلى أن ينظر إليه ، ولو لا حضور الناس لقطع الصلوة ، لكنهم لما حضروا فهو يتمها خوفا من مذمتهم ، فهاهنا الريا صار مؤثرا فى أصل العمل .

واعلم أن من وقف فى المرتبة الأولى ، علم أن الثانية ادق (١) بالبطلان ، وإن الثالثة أولى بالبطلان .

ثم هاهنا دقيقة أخرى ، وهى أن العبادات على قسمين : منها ما يكون كل واحد من أجزائها عبادة مستقلة بنفسه ، ولا تتوقف صحته على انضمام الجزء الآخر إليه - وهو مثل قراءة القرآن ، فإن قراءة كل كلمة وحرف منه عبادة .

ومنها ما يتوقف صحة بعضها على صحة كلها وهو مثل الصلوة ،

(١) المخطوطة : ادل

— ١٧٢ —

والصوم والحج ، فإنه متى فسد جزء من اجزائه فسد كلها ، ومتى
صح جزء من اجزائها فقد صح ذلك الجزء وبصححة باقيه يتم الكل
وبصح .

وإذا عرفت هذا ظهر عندك أن خطر طريان داعية الرياء في اثناء
العبادات التي تكون من القسم الثاني اعظم واسد من ظهور طريانها
في اثناء القسم الأول .

وأما القسم الثالث وهو أن يحصل داعية الرياء في أول حد
الشروع (١٥) في العبادة ، فهذا على قسمين :

أحدهما إن كان في الصلوة ونيتها ، فإنه ان استمر على تلك
الداعية إلى اخر الفراغ من تلك العبادة فلا خلاف (الورقة ٢٩٢ ظ)
في أنه يقضى ولا يعبد بصلاته .

وأما ان ندم في اثناء ذلك ففيه قولان :

أحدهما أن صلوته لم تنعقد البتة ، ولم توجد نية اخرى ، فوجب
أن لا يصح صلوته أصلا ، لأن الأعمال التي أتى بها بعد ان لم تنعقد
الصلوة < صارت > (١) لغوا .

والقول الثاني أن العبرة في العبادات بنحواتها ، فاذا وقع
الخطم هاهنا على الاخلاص كان صحيحا . والاولى أن يقال هذا الفعل
ان كان الداعي اليه في ابتدائه مجرد الرياء دون طلب الاخلاص لم ينعقد
هذا الفعل عبادة ، ولم يصح ما بعده ،

ومثاله الرجل الذى لو خلى بنفسه لم يصل (١٦) ولم يصم ، ولما

(١) اللفظ غير موجود في المخطوطة

— ١٧٣ —

رأى الناس تحرم بالصلوة ، فهذه صلوة لا نية فيها ، اذ (١) النية عبارة عن القصد إلى الفعل تعظيماً لله تعالى في هذا المعنى ولم يوجد هاهنا .

وأما أن حصل مع باعث الريا باعث الدين . فإن كان باعث الدين (١٧) راجحاً كانت العبرة به . كان المرجوح مع الراجح كالعدم ، وإن تساوى تعادلاً فتساقط ، وإن كان مرجوحاً كان ساقطاً ، وهو ظاهر .

مسئلة : الانسان إذا حصل عنده اعتقاد ما في عمل الرياء ، وأنه من آفات الدنيا والآخرة ، وتكلف اظهار كراهية الرياء في القلب ووظب على اخفاء الحسنات واظهار السيئات ، وهذا (ب) هو الغاية في علاج الرياء ، ولكنه مع ذلك يجد قلبه مائلاً إلى الرياء محباً له مع انه يبغض حبه لذلك ، فهل هو في زمرة المرائين أو من جملة الصديقين ؟

قال الغزالي (٧) رحمه الله عليه : لم يكلف العبد إلا ما يطيق ، فلما دللنا على ان الغاية القصوى في علاج الرياء ليس إلا مقابلة الاعتقاد والحال والعمل بأضدادها ، فإذا أتى العبد بذلك فقد أتى بكل ما قدر عليه فأنحارج عن ذلك ليس في وسعه ، فوجب ان لا يكون مؤاخذاً به .

واحتج عليه بما روى ان اصحاب رسول الله ﷺ شكوا (١٩) إليه : وقالوا : " تعرض لقلوبنا اشياء لأن نخر من السماء فيخطفنا

(١) المخطوطة : اذا

(ب) ايضاً : اللفظ غير واضح في الكتابه ،

— ١٧٤ —

الطير أو نهوى بنا الريح إلى مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم به ،
فقال عليه السلام : ذلك صريح الإيمان “ .

قال الغزالي : ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهية ولا يمكن أن
يقال المراد تصريح الإيمان الوسوسة ، فلم يبق إلا الكراهية المساوية
للسوسة .

إذا ثبت هذا فنقول : الرياء (٢٠) وإن كان عظيماً بالكراهية ،
فإنه يندفع ضرر الأصغر كان أولى بالحاصل أن كل ما كان من
مقتضيات النفس ، فإن وجدت النفس كراهة لها كانت من الحق ،
وإن وجدت النفس مع ذلك راضية بها مائلة إليها ، فذاك من الشيطان
والنفس .

وأعلم أنه يتفرع على هذه المسئلة مسئلة أخرى ، وهى ان
الشيطان إذا عجز (٢١) عن حمل الإنسان على الرياء خيل إليه ان لإصلاح
قلبه فى الاشتغال بمحاربة الشيطان فيتوسل بهذا الطريق إلى تشويش
صفاء القلب عليه ، وإن الاشتغال بمحاربة الشيطان انصراف عن اللذات
الحاصلة بسبب المفاجأة مع الله تعالى .

وأعلم أن للناس فى هذا المقام (٢٢) مراتب :

الاولى أن يشتغل بمحاربة الشيطان ومنازحته .

والثانية أن يقتصر على تكذيبه ولا يشتغل بمحاربته ،

الثالثة أن لا يشتغل أيضاً بتكذيبه بل يستمر على ما كان عليه من
كراهية الرياء من غير أن يشتغل بالتكذيب أو بالخاصمة .

الرابعة أن يكون قد عزم على أن الشيطان مهما نازعه فى شرط

من شرائط الاخلاص ، فإنه يريد في الأعمال الموجبة للاخلاص .

وضرب الحارث الحاسبى لهذه المراتب الأربع مثالا (٢٣) فقال
كأربعة نفر قصدوا مجلس عالم ليستفيدوا منه ، فحسداهم عليه ضال (أ)
مبتدع ، فتقدم إلى واحد منهم (الورقة ٢٩٣ و) ومنعه عن الذهاب
إلى ذلك المجلس فأبى ، فلما علم إباءه شغله بالحاربة فاشتغل ذلك معه ليرد
ضلاله ، فبقى في تلك الحاضرة إلى أن يفوت مجلس العلم ، وحينئذ
يحصل غرض ذلك الضال .

فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقفه فوقف وانكر على الضال ذلك
المنع والنهى ، ولكن لم يشتغل بالقتال ، ففرح الضال بقدر توقيفه
للدفع .

ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله ، بل
استمر على ما كان فخاب رجاء بالكلية .

فر الرابع فلم يتوقف له بل زاد في عجلته فيوشك أن عادوا
ومروا على ذلك المضل (ب) مرة اخرى ، أن يعاود (ج) الجميع إلا
هذا الأخير ، فإنه لا يعاوده خيفة من أن يزداد في الاستعجال .

النوع الثانى : هل يجب الرصد (٢٤) للشيطان قبل شروعه في
الوسوسة انتظارا لوروده (د) أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع

(أ) المخطوطة : مثال

(ب) ايضا : المصلى

(ج) ايضا : ان يعادوا الجميع

(د) ايضا : الورد

- ١٧٦ -

له - اختلفوا في هذا ، فقال قوم : الأولى ترك هذا الرصد ، ويدل عليه وجوه :

< الأول > أن الرصد لدفع الشيطان بوجوب الإعراض عن ذكر الله ، فالترصد وقوع في حباله الشيطان .

الثاني أن الرصد للشيطان اعتماد على النفس ، والتفويض إلى الله اعتماد على الحق ، فمن ترصد للشيطان فقد اعتمد على نفسه ، فقد وقع في حباله الشيطان .

الثالث الشيطان مخلوق ضعيف (٢٥) لا قدرة له على شيء كما قال الله تعالى حاكيا عنه : ” ما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم استجبتم لى “ (٢٦) - وأما الحق سبحانه ، فله الأمر والنهى ، والتفويض إلى الحق بعينه على الجذر ، لأن من توكل على الله كفاه .

الرابع أن الإنسان لا يمكنه أن يتوكل على الله إلا إذا عرف أنه العالم بكل المعلومات ، والقادر على كل المقدورات ، وله رحمة عامة ، وفضله وقضائه شامل ، وأنه لا مقدرة لاحد على مقدرته ، ولا رحمة لاحد مع رحمته ، ومضى استنار القلب بهذه المعارف لم يجد الشيطان إليه سبيلا - فصارت هذه المعارف شيئا لحصول الامان من منابذة الشيطان .

أما من ترصده لدفع وساوسه احتاج إلى استنباط الحيل .

وقال آخرون : ” بل لا بد من الحذر من الشيطان “ (٢٧) ، واحتجوا عليه بأن الإستغراق فى المعرفة والمحبة لا يخلص عن نزعات الشيطان ، لأن الأنبياء كانوا أعظم الناس قدرا فى المعرفة والمحبة ، مع أنهم ما خلوا عن نزغات الشيطان ، قال تعالى : ” وما أرسلنا من

— ١٧٧ —

قبلك من رسول إلا إذا تمنى ، ألقى الشيطان فى أمنيه (٢٨) .
وقال عليه السلام : ” إنه لبغان على قلبى “ (٢٩) ، مع أن شيطانه
قد أسلم ، ولا يأمر إلا بخير .

وأيضاً ان آدم وحواء قد بين الله تعالى أن الشيطان غيرهما وأنه
عدولهما فى قوله : ” إن هذا عدولك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من
الجنة فتشقى “ (٣٠) .

وأنه تعالى ما نهى (٣١) <إلا عن> شجرة واحدة ، ومع ذلك
وقعا فى حباله الشيطان .

فإذا كان حال الأنبياء والأولياء كذلك ، فكيف حال غيرهم ؟
وقال موسى عليه السلام : ” <هذا> من عمل الشيطان “ (٣٢) ،
وقال يوسف : ” نزع الشيطان بينى وبين أخوتى “ (٣٣) .

وقال تعالى : ” يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم
من الجنة “ (٣٤) ، والقرآن يشتمل على كثير من التحذير من الشيطان
فكيف يجوز إهماله . وأيضاً أنه تعالى أمرنا نحذر من الكفار ، فقال :
” فليأخذوا حذرهم وأسلحتهم “ (٣٥) ، وقال : ” واعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل “ (٣٦) — فلما لزمك الحذر من
العدو الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من العدو الذى يراك ولا
تراه كان أولى .

أجابوا عن الكلام الأول : فقالوا : الحذر عن الشيطان (الورقة
٢٩٣ ظ) عبارة عن المواظبة على وظائف الشرائع التى حاصلها يرجع
إلى الإيمان بالأعمال الشاقة لئلا يصير الطبيعة مسؤلية — فإذا ألقت
الشريعة فعند ذلك يفوض رعاية المصالح إلى الخالق ، وهذا هو مقام

— ١٧٨ —

الحقيقة والإستغراق في العبودية ، ألا ترى أنا ناكل ونشرب ثم نعول على فضل الله في تحصيل الصحة ودفع الأمراض . فكذا (١) هاهنا نستعد لمحاربة الكفار ، ونعتقد أن الظفر والنصرة هو من الله ، وكذلك نحذر الشيطان (٣٧) ، ونعتقد أن المضل والهادى هو الله ، هذاما اختاره الحارث المحاسبى ، وهو قول الكاملين الذين جمعوا بين رعاية قوانين الشريعة ومناهج الحقيقة .

إذا عرفت هذه (ب) المسئلة فنقول : اختلفوا في كيفية ذلك الحذر على ثلاثة أوجه :

قال قوم (٣٨) إذا حذرنا الله من العدو وجب أن يكون ذكر هذا الحذر أغلب الأشياء على قلوبنا ، وقال قوم إن هذا يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله تعالى ، واشتغاله بالكلية بحرب الشيطان وجز به ، وذلك حين مراد الشيطان ، بل ينبغي ان يجمع بين ذكر الله تعالى وذكر الحذر من الشيطان .

وقال المحققون (٣٩) : غلط الفريقان :

أما الأول فلأن من تجرد لمحاربة الشيطان ونسى ما سواها فقد غفل عن ذكر الله ، وذلك غاية غرض الشيطان ، وأيضا فالشيطان إنما يفر عن القلب لاشتغاله على نور ذكر الله تعالى ، فإذا خلا القلب عن هذا النور استولى الشيطان عليه لا محالة فالتجرد لمحاربة الشيطان يوجب تقوية الشيطان على تخريب القلب .

(١) المخطوطة : فكذى

(ب) ايضا : هذا

أما الفرقة الثانية (٤٠) فقد شاركت الأولى ، إذ جمعت في القلب ذكر الله تعالى وذكر محاربة الشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر غير الله يبقى محروما عن ذكر الله ، فالصواب أن يقرر العبد مع نفسه عداوة الشيطان ويترك هذا المعنى كالشئ المحروب عند النفس ، ثم يقبل بالكلية على ذكر الله تعالى ، ويعرض عن أن يخطر بباله أمر الشيطان ثم إن عند هذا الحال أن خطر أمر الشيطان بباله تنبه له ، وعند التثبت يشتغل بدفعه ، والإشتغال بذكر الله على هذا الوجه لا يمنع من التيقظ بل الوجه قد ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الشمس فيلزم نفسه الحذر وربما انتبه في أثناء الليل من قبل أن يطلع الفجر لما سكن في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع انتباهه؟ بل لهذه الواقعة مثال آخر ، وهو بئر (٤١) فيها ماء قد اراد صاحبها أن يطهرها بإزالة ذلك الماء لينفجر منها الماء الصافي ، فالمشتغل بذكر الشيطان كالذى ترك فيها الماء القذر ، والذي جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان ، هو الذى احتال حتى انفجر الماء الصافي ، ولكنه اختلط بالماء القذر .

والمصيب هو الذى أخرج الماء القذر واستنبت الماء الصافي ، وهو المشتغل بذكر الله وبالجملة فلا حيلة في دفع الشيطان إلا بذكر الله تعالى كما قال : ” أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا “ (٤٢) .

وإذا كان لا يندفع الشيطان إلا بالاشتغال عنه بذكر الله وجب إبقاء هذا الذكر حتى تكون السلامة والسلاح في دفعه قويا ، وكلما كان التشاغل عن ذكر الله أقوى (١) كان السلاح أضعف ، وبالعكس إذا

(١) المخطوطة : اقل

ذكر الله أكثر كان السلاح في دفعه أقوى .

قال الفريق الأول : ثبت بهذه المباحث أنه كلما كان ذكر الله في القلب أكمل وأجلى وعن الشوائب أصفى كانت القدرة على الدفع أكمل لكن الإشتغال بذكر الشيطان شوب صفاء الذكر ، وذلك يوجب ضعف السلاح (الورقة ٢٩٤ و) فكل ذلك يوجب نقيض المطلوب ، وعكس المقصود ، بل نقول : من كملت معرفته بالله فقد قوى حصن قلبه ، ومتى قوى الحصن عجز الشيطان عن النقب والسرقة ، فكان هذا الطريق أكمل ، وعند هذا توصلوا منه إلى شئ مهيب ، وهو ان الاشتغال بالأعمال الظاهرة اشتغال بغير الله ، وذلك يوجب استيلاء الشيطان على القلب ، فكل من كلف به فقد كلف الاعراض عن الله تعالى ، وهذا كلام مهيب وله غور منكر ينتهى إلى تحريك الأخطار .

- ١٨١ -

<الفصل الثامن عشر>

بيان الرخصة في قصد (١) إظهار الطاعات (١)

اعلم ان في الاخفاء فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء ، وفي الاظهار فائدة الاقتداء بالفضلاء ، وترغيب الناس في الخير الظاهر ، ولكن فيه آفة الرياء (٢) ، وبهذا السبب (ب) اثنى الله تعالى على السرو العلانية ، فقال : ” وأن تبدوا الصدقات فنعمنا هي ، وان تخفوها وقرتوا الفقراء فهو خير لكم “ الآية (٣) ،

وللاظهار (٤) قسمان : احدهما في نفس العمل ، والاخر في التحدث (ج) بالعمل ،

اما القسم الاول : وهو اظهار نفس العمل : اعلم أن الاعمال منها مالا يمكن اخفاؤه كالحج والجهاد والعمرة ، ومنها ما يمكن اخفاؤه كالصوم وبعض الصلوات والصدقات ، اما الاول فالافضل (٥) المبادرة إليه واظهار الرغبة فيه للتعريض ، فان الاسرار فيه غير ممكن .

فنقول : ان كان اظهار الصدقة يؤدى المتصدق عليه ، لكنه يرغب الثاني في الصدقة ، فالسر افضل لأن الايداء حرام ، والترغيب مندوب اليه ، وترك الحرام افضل من فعل المندوب ، وإن لم يكن فيه ايداء ففيه قولان :

(١) المخطوطة: فضل

(ب) ايضا : ائنا

(ج) ايضا : التحدث

- ١٨٢ -

قال قوم : السر افضل من فعل المندوب ، لأن الاظهار فيه خطر الرياء والرياء حرام ، والاحتراز عن الحرام المحتمل اولى من الترغيب في المندوب اليه .

وقال اخرون : العلانية الموجبة للقدرة افضل من السر .

واحتجوا بانه تعالى امر الانبياء باظهار العمل للاقتداء ولا يجوز أن نظن بهم انهم حرموا افضل العمل . ولقوله عليه السلام (٧) : "من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة" ، وذلك لا يحصل إلا عند الاظهار .

والاولى ان يقال ان كان في الاظهار احتمال الرياء اغلب كان ترك الاظهار اولى ، وان كان الاقتداء من الخلق اغلب من الرياء كان الاظهار اولى ، وان استوى الاحتمالان فعندى أن الاخفاء اولى من الرغبة في تخصيص النفع الزايد ، وإذا غلب على ظنه ان احتمال الاقتداء به راجح ، فهاهنا الاولى به أن يظهر لكن فيه شرائط :

الاول يكفى فيه حصول ، فان الاقتداء في الجملة ، ولا يشترط فيه اقتداء الكل به ، فرب رجل (٨) يقتدى به أهله دون جيرانه ، ورب رجل آخر يقتدى به خبرانه دون السوق ، وربما يقتدى به العامة دون الاكابر والعلماء وربما اقتدى به الكل .

الثاني اظهار الطاعات لغرض أن يقتدى به إنما يصح ممن هو في محل القدوة بالنسبة إلى من يكون في محل من يقتدى به ، أما من لا يكون كذلك فلا ، لأن غير العالم (٩) إذا أظهر بعض الطاعات ،

- ١٨٣ -

فربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ، ولم يقتدوا به ، فهاهنا لم يجز له الاظهار .

الثالث أن يراقب (١٠) قلبه ربما كان فيه حب الرياء الخفى ، فيدعوه إلى الاظهار بعذر الإقتداء ، وهذه مزية قدم ، فان الضملاء يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ، فلا يقوى قلوبهم على الانخلاص ، فيحبط أجورهم بالرياء .

وعلمة الفرق في هذا الباب

(الورقة ٢٩٤ ظ) انه إذا قيل له ” اخف عملك ” (١١) ، فإن مقصود الإقتداء حصل باظهار غيرك ، فإن لم يجد في قلبه تفاوتا فحينئذ ظهر ان الاظهار كان لرغبة الإقتداء ، فلما حصل هذا الغرض بطريق آخر استغنى هو عن الاظهار ، وإن وجد تفاوتا فحينئذ نعرف أن الداعي إلى الإظهار هو الرياء .

القسم الثاني : أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ (١٢) ، وحكمه حكم اظهار العمل نفسه ، إلا أن الخطر في هذا أشد ، لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان ، فعند الحكاية قد يزيد فيها شيئا لغرض يظن به النفس ، ويحصل هاهنا معنى الرياء الكذب ، إلا أن هذا القول من الأول من وجه آخر ، لأن هاهنا تمت العبادة منفكة عن الرياء ، والرياء إنما حصل بعد تمامها ، أما في الأول فصارت داعية الرياء حال الاتيان بالفعل ، وهذا المنع من حصول تلك الأعمال في نفسها يوصف كونها عبادة .

(الفصل التاسع عشر)

بيان الرخصة في كتمان الذنوب (١)

إعلم أن الإنسان إذا أتى بشيء من المعاصي وجب عليه إخفاؤها ويدل عليه قوله تعالى : "ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة" الآية (٢) ، وقوله عليه السلام : من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٣) .

لأنما الحرام (٤) أن يقصد سترها إيهام الناس كونه متورعا زاهدا ، واعلم أنه لا يجوز له أن يفرح بستر المعاصي لوجوه :
الأول أنه لما ستر الله (٥) عليه ذلك الذنب في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة .

الثاني ان الدلائل التي ذكرناها تدل على ان الله سبحانه يحب ستر العيوب ويكره فضيحة المعيوب ، واجب (١) أن يتشبه بهذا الخلق بالحق سبحانه لقوله عليه السلام : "تخلقوا باخلاق الله" (٦) .

الثالث ان الناس إذا اطلعوا على عيوبه لعنوه وذموا (٧) واستحققوه ، وذلك يوجب تشويش قلبه وهو يمنعه من الاشغال بعبادة الله فهو سعى في اخفاء عيوبه لئلا يصبر عن طاعة الله .

الرابع : الإنسان يحذر من اطلاع الغير على عيبه لأنه ربما عابه به ، وإذا عابه بذلك فلإن طبعه (٨) يحمله على تبحر أحواله ، ويستخرج بعض عيوبه ويعيبه به لأن المكافات في الطبيعة واجبة ، فهو حذرا عن

(١) المخطوطة : واجب

- ١٨٥ -

هذا الضرر يسعى في اخفاء عيوب نفسه .

الخامس أن ستر (٩) المعصية لئلا يقصد بضرر أو نوع آخر من الآلام .

السادس أن ستر المعصية لمجرد الحياء (١٠) ، فإن عدم المبالاة بذلك الذنب نوع من الوقاحة ، وهى خلق مذموم ممن اذنب ومن لم يستحى فقد جمع بين الذنب والوقاحة ، وهى خلق مذمومة لكن هاهنا دقيقة ، وهى أن الحياء شديد الاشتباه بالرياء .

والفرق أن الحياء حالة نفسانية يقتضى كرامة شعور الغير بنقصانه ، وأما الرياء فحال يقتضى كراهية مع إرادة التلبس على الغير ومع إرادة أن يبقى ذلك الغير معظما له منقادا إليه .

السابع أن يخاف (١١) ظهور ذنبه أن يقتدى به غيره .

إذا هرقت هذا ، فنقول : المذنب إذا حاول اخفاء ذنبه لواحد من هذه الاغراض كان مطيعا لله تعالى فى ذلك الاخفاء مخلصا فى تلك الطاعة فى سعيه فى اخفاء تلك المعصية ، أما إذا قصد (١٢) ستر المعصية أن يخل إلى الناس كونه زاهدا أو ورعا فحينئذ يكون مراثيا للاحالة .

- ١٨٧ -

ولاً يترك العمل البتة ، وذلك لأن الشيطان يدعوه أولاً إلى ترك العمل ، فإذا لم يجب وشرع في العمل دعاه إلى الرياء ، فلما لم يجب ودفعه ، قال له هذا العمل ليس بخالص ، وانت مرأى وسعيك ضائع ، فاني فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه ، حتى يحمله بهذا الطريق على ترك العمل ، فإذا تركه فقد حصل غرض الشيطان (هـ) ، ومن مكائده (٦) ايضاً أن يحسن له ترك العمل خوفاً من أن يقول الناس أنه مرأى ، فيعصوا الله به وهذا ايضاً باطل لوجوه :

الأول أن ذلك اساءة الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم هذا ،

الثاني ان كان كذلك لكنه لا يضره ويفوته ثواب العمل بترك الطاعة خوفاً من قولهم هو مرأى ، هذا هو عين الرياء ، فلو لا حبه لمدحهم وخوفه (١) من ذمهم ، فماله ولقولهم انت مرأى ؟

الثالث لو ترك العمل (٧) ليقصد أنه خالص لا يشتهى الشهرة ، فالشيطان يلقي في قلبه انك (ب) رجل من اقوياء الزهاد ، حيث تركت الشهرة واثرت الانزواء ، وهذا ايضاً من المهلكات .

وبالجملة ما خلا القلب من نزغات الشيطان بالكلية فيتعذر (ج) ، فلو وقفنا جواز الاشتغال بالعبادات على ذلك انخلو التام ليعذر الاشتغال بشيء من العبادات ، وذلك يوجب البطالة وهي أقصى

(١) المخطوطة: وجه (موضع "وخوفه")

(ب) ايضاً : انكر

(ج) ايضاً : متعذر

- ١٨٨ -

غايات الشيطان ، بل الصواب انك ما دمت تمجد باعنا دينيا على العمل فلا يترك العمل ، فإن ورد في اثنائه خاطر يوجب الرياء فجاهد نفسك واحتل في ازالة ذلك الخاطر بقدر القوة .

واحتمج الذين قالوا يجب ترك العمل عند الخوف من داهية الرياء بما روى ان النخعي (٨) دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءه ، وقال لا ينبغي أن يرى هذا انى اقرأ كل ساعة ،

وقال ابراهيم التيمى إذا اعجبك الكلام فامسك ، وإذا اعجبك السكوت تكلم .

والجواب (٩) ، اما أمر النخعي فلعله علم ان ذلك الإنسان سيقاربه في الحالة ، وانه سيعود إلى قراءة القرآن في الحال من غير خطر الرياء .

وأما أن التيمى فلواراد مباحات الكلام فالفصاحة والحكايات ، فإن الاغراق في ذلك يورث العجب ، والسكوت المباح محدود فهو عدول من مباح إلى مباح حذرا من العجب .

القسم الثاني : فيما يتعلق بالخلق ويعظم فيه الآفات والاضطراب ، واعظمها الخلافة ، قهى من أفضل العبادات ، إذا كانت مع العدل (١٠) والانصاف ، قال عليه السلام (١١) : عدل (الورقة ٢٩٥ ظ) خير من عبادة ستين سنة .

واعلم ان هذا وإن كانت بشارة من وجه فهو تخويف (١٢) من وجه اخر ، لأنه لمفهومه يدل على "أن يوما من سلطان جائر شر من فسق ستين سنة" . والأمر كذلك لأن حكم الخلافة والامارة غير لازم

- ١٨٩ -

بل متعدي ، لاجرم كانت حالته في العدل وفي الفسق مساوية لاحوال الكل على سبيل الاجتماع .

وقال عليه السلام: ما من والى عشرة الا جاء يوم القيمة مغلوله يده إلى عنقه ، اطلقه عدله وآنفه جورره (١٣) .

وهاهنا مسئلة وهى أن الرجل إذا ضرب نفسه ورآها صابرة على الحق ممتنعة عن الشهوات فى غير زمان الولاية ، إلا أنه خاف عليها ان تتغير ، إذا دامت لذة الولاية ، وان يستحلى الجاه (١٤) ، ويستلذ نفاذ الأمر ، فيكره العزل ، فيداهن خيفة من العزل ، فقد اختلف الفقهاء فيه .

فقال بعضهم يلزمه الحرب من تقلد الأمانة ، وقال آخرون هذا حرف أمر فى المستقبل فهو فى الحال وجد نفسه قويا فى اظهار الحق والبعد عن الباطل .

قال الغزالي والصحيح (١٥) ان عليه الاحتراز لأن الإنسان إذا شرع فى الامارة تعسر عليه تحمل ألم العزل ، فربما لا يتم امر الامارة إلا بالمداينة والتزام (١) الباطل ، فيدعوه خوف العزل إلى الشروع فى الباطل والعمل الفاسد ، إذا عرفت الكلام فى الخلافة والامارة فافهم مثله فى القضاء .

وأما الوعظ (١٦) والفتوى والتدريس ، وكل ما يتسع نسبة الجاه ويعظم به القدر ، فأفته عظيمة ، لأن لذة الجاه والقبول متولية على الطباع ، وعند الاستيلاء يخاف أن لا يبقى الإنسان على المنهج القديم

(١) المحظوظة: الزام

فى اظهار الحق وابطال الباطل ، بل الظاهر أنه يقع فى المداينة ممن وجد فى نفسه داعية الرياء وحب الجاه وخاف على نفسه منها وجب عليه الترك .

فإن قيل فهذا يقضى إلى التعطيل (١٧) وترك العلوم واندراى الشريعة ، قلنا : كما احتاج الناس إلى يسير العلم والشريعة ، فكذلك احتاجوا إلى من يقوم بأمر الخلافة والامارة .

قلنا : قول يوجب الامتناع منها ، ونبذها (١) ، هنا ، بل السبب أن الداعية الطبيعية فى التزام (ب) الخلافة والامارة واظهار العلم والشريعة قائمة وهى كافية فى حصولها ، فالنهي الذى ذكرناه لا يوجب المحذور المذكور (ج) .

وهاهنا مسألة اخرى : وهى ان الرجل إذا سعى فى جمع المال (١٨) الحلال لغرض ان يفرقه على المستحقين فالاولى فعله أو تركه ؟

قال بعضهم الاولى تركه ، لأن لذة استجلاب الحمد والثناء لذة مسئولية ، على النفس ففيتها خطرات تصير مانعة من الاخلاص .

وقال آخرون فعله اولى لأنه طاعة مشتملة على مانع متعدد به (د) فكانت افضل ، وتتمام الكلام فيه مذكور فى مسألة التحلى .

(١) المخطوطة : ونبدأ هاهنا بل السبب الخ ،

(ب) ايضا : التزام

(ج) ايضا : المركوز

(د) ايضا : متعديه

— ١٩١ —

المسئلة الثالثة فى العلامات (١٩) التى تعرف الواعظ أنه مخلص فى وعظه ، وانه لا يريد به رياء الناس وهى امور :

الأول : لو ظهر من هو احسن منه وعظا ، واغزر (١) منه علما ، والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده ، نعم لا بأس بالغبطة وهى ان يتمنى لنفسه مثل علمه .

الثانى ان الاكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان إذ لو حصل التغير فى كلامه دل ذلك على أنه يراعى القلوب ويدهن بكلامه ، وذلك يمنعه من الاخلاص .

الثالث : لو اتفق ان اخطأ فى شئ فرده عليه بعض الجاهلين وجب ان يقبل ذلك منه ويقرح به ولا يسوءه بحال .

تم الكتاب

والحمد لله وحده كما هو أهله ومستحقه ، وصلى الله على محمد وآله .

وحسبنا الله ونعم المعين .

(١) المخطوطة : واغذر

ضميمه

مؤلفات الامام فخر الدين الرازى

فى علوم القرآن والحديث

- ١- مفاتيح الغيب: يقال انه لم يكمله ، طبع فى ثمانى مجلدات و عرف بالتفسير الكبير.
- ٢- كتاب تفسير الفاتحة، ولعله جزء من التفسير الكبير فى تفسير الفاتحة.
- ٣- كتاب تفسير سورة البقرة على الوجه العقلى لا النقلي ، مجلد
- ٤- رسالة فى بعض الاسرار المودعة فى القرآن
- ٥- تفسير اسماء الله الحسنى
- ٦- تفسير سورة الاخلاص ، ذكره صاحب كشف الظنون
- ٧- درة التنزيل و غرة التاويل فى الآيات المتشابهات ،
- ٨- البرهان فى قراءة القرآن ،
- ٩- نقد التنزيل
- ١٠- المسلك الجيّد فى قصة يوسف الصديق
- ١١- سداسيات فى الحديث

فى الفقه وأصول الفقه

- ١- المحصول فى علم اصول الفقه ،
- ٢- المعالم فى اصول الفقه ،
- ٣- شرح الوجيز فى الفقه للغزالي — (فى طبقات الاطباء انه "لم يتم ، كمل منه العبادات والنكاح فى ثلاث مجلدات")
- ٤- فى ابطال القياس
- ٥- احكام الاحكام ، (لم يذكر فى كشف الظنون)
- ٦- منتخبات المحصول ،

في علم الكلام

- ١- المطالب العالم ، في ثلاث مجلدات ، ولم يتمه ،
- ٢- كتاب نهاية العقول في دراية الاصول ، في مجلدين ،
(ذكره ابن خلكان في باب علم الكلام ، أما صاحب كشف الظنون
فقال : انه في أصول الفقه . وذكر الرازي نفسه في رسالته هذه انه
في علم الكلام)
- ٣- كتاب الاربعين في اصول الدين ، طبع بجيدرآباد ، في الهند
- ٤- كتاب الخمسين في اصول الدين ، هذه الرسالة قد طبعت في مجموعة
الرسائل التي نشرها الشيخ محي الدين صبرى ، بمصر سنة ١٣٢٨ هـ ،
وهي الرسالة الخامسة عشر من المجموعة و اسمها "المسائل
الخمسون في اصول الكلام" ،
- ٥- المحصل ، مجلد ، (كشف الظنون : المحصل في اصول الفقه)
- ٦- كتاب البيان والبرهان في الرد على اهل الزيغ والطغيان ،
- ٧- كتاب المباحث العمادية في المطالب المعادية ،
- ٨- كتاب تهذيب الدلائل و عيون المسائل
- ٩- كتاب ارشاد النظار الى لطائف الاسرار ،
- ١٠- كتاب أجوبة المسائل النجارية ،
- ١١- كتاب تحصيل الحق في الكلام
- ١٢- أسرار التنزيل و انوار التاويل ، مجلد مشتمل على أربعة اقسام :
الاول في الاصول ، الثاني في الفروع ، الثالث في الاخلاق ، الرابع
في المناجات والدعوات ، لكنه توفي قبل اتمامه فبقى في اواخر القسم
الاول — و هو تفسير القرآن الصغير عند القفطى ،
- ١٣- كتاب الزبدة ،
- ١٤- المعالم في اصول الدين ، لعله في اصول الفقه
- ١٥- كتاب القضاء و القدر ،
- ١٦- رسالة الحدود ،
- ١٧- عصمة الانبياء ، طبع
- ١٨- الملل و النحل ، لم يذكره حاجي خليفة ولا ابن خلكان ولا
السبكي — ولعله كتاب "اعتقادات فرق المسلمين والمشركين" ،
الذى حققه على ساسي النشار وقد نشرته مكتبة النهضة المصرية ،
بالقاهرة في سنة ١٣٥٦/١٩٣٨ م .

- ١٩- رسالة في النبوات ،
- ٢٠- شفاء العي من الخلاف ، ذكر صاحب هدية العارفين "شفاء العي والخلاف" ،
- ٢١- كتاب تنبيه الاشارة في الاصول ،
- ٢٢- كتاب الطريقة في الجدل
- ٢٣- الاختبارات العلائية في التأثيرات السماوية ، و ذكر صاحب هدية العارفين ، الاختيارات السماوية
- ٢٤- سراج القلوب ،
- ٢٥- رسالة في السؤال ،
- ٢٦- كتاب منتخب تنكوشاء وفي طبقات الاطباء : منتخب كتاب دنكوشا (دنكوشا؟)
- ٢٧- شرح اثبات الواجب ،
- ٢٨- الصحائف الالهية ،
- ٢٩- كتاب الخلق والبعث
- ٣٠- الطريقة العلائية في الخلاف ، في اربع مجلدات ،
- ٣١- كتاب الرسالة المجدية ، لم يذكره صاحب كشف الظنون ، و عند صاحب هدية العارفين : رسالة المحمدية .
- ٣٢- الرسالة الصحابية ، لم تذكر في كشف الظنون ،
- ٣٣- كتاب اللطائف الغيائية ، فارسي مرتب على اربعة اقسام — الاول في اصول الدين ، الثاني في الفقه ، الثالث في الاخلاق ، الرابع في الدعاء
- ٣٤- كتاب تأسيس التقديس ، وقد طبع باسم اساس التقديس في علم الكلام بمطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٣٥٤/١٩٣٥ م ،
- ٣٥- كتاب المعلم ، وهو اخر مصنفاته من الكتب الصغار ، لم يذكر في كشف الظنون ،
- ٣٦- كتاب عمدة النظار و زينة الافكار ، لم يذكر في كشف الظنون ،
- ٣٧- الايات البينات ،
- ٣٨- لوامع البينات في شرح اسماء الله تعالى والصفات ، طبعت
- ٣٩- كتاب جواب الفيلائي
- ٤٠- الرياض الموثقة ، لم يذكره حاجي خليفة ؟ ولا ابن خلكان ولا صاحب شذرات الذهب ، و ذكره ابن ابي أصيبعة ، و ورد في اخبار الحكماء هكذا : "الرياض الموثقة في الملل والنحل"

في الحكمة والعلوم الفلسفية

- ١- كتاب الملخص في الفلسفة ،
- ٢- كتاب الانارات في شرح الاشارات
- ٣- المحاكمات ،
- ٤- لباب الاشارات ، طبع
- ٥- شرح عيون الحكمة ،
- ٦- كتاب تعجيز الفلاسفة ، و في اخبار الحكماء كتاب تهجين تعجيز الفلاسفة بالفارسية ،
- ٧- كتاب البراهين النهائية بالفارسية ،
- ٨- كتاب الخلق والبعث ،
- ٩- مباحث الوجود
- ١٠- مباحث الجدل ،
- ١١- كتاب المباحث المشرقية ، طبع في مجلد بن بچيدرا باد ، بالهند ،
- ١٢- الرسالة الكمالية في الحقايق الالهية ، بالفارسية ، نلماها تاج الدين محمد بن الازموى الى العربى فى سنة (٦٢٥) خمس وعشرين وستمائة بد مشق ، حققها سيد محمد باقر سبزوارى ، و نشرتها جامعة تهران سنة ١٣٣٥ هـ .
- ١٣- المنطق الكبير
- ١٤- الملخص فى الحكمة والمنطق ،
- ١٥- شرح المنطق الملخص ،
- ١٦- رسالة وحدة الوجود ،
- ١٧- كتاب الاخلاق ، اظنه نص كتاب النفس والروح و شرح قواهما ، تحقيق "محمد صغير حسن المعصومى" ،
- ١٨- طريقة فى الخلاف ، ذكر صاحب هدية العارفين باسم "اخلاق فخر الدين" ، انظر رقم ٣٠ تحت "علم الكلام" ، الطريقة العلائية فى الخلاف ،
- ١٩- المحصول فى المنطق
- ٢٠- مباحث الحدود ،
- ٢١- محصل افكار المنقذين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ، طبع
- ٢٢- رسالة فى النفس ،

- ٢٣- رسالة الجواهر الزرد ، صاحب هدية العارفين : رسالة الجواهر ،
- ٢٤- الرعاية ، لم يذكر في كشف الظنون ، صاحب هدية العارفين : باسم كتاب الرعاية ،
- ٢٥- كتاب في ذم الدنيا
- ٢٦- المرسوم في السر المكنوم
- ٢٧- كتاب النفس و الروح — واطنه كتاب الاخلاق ،
- ٢٨- شرح الاشارات والتنبيهات لابن سينا ،

في العلوم و الآداب العربية

- ١- شرح المفصل في النحو للزخشرى ،
- ٢- مؤاخذات جيدة على النجاة ،
- ٣- نهاية الایجاز في ثعابة الاعجاز ، في علم البيان ، طبع
- و ذكر صاحب هدية العارفين "دراية الاعجاز"
- ٤- مختصر في الاعجاز ،
- ٥- شرح سقط الزند
- ٦- شرح نهج البلاغة ، لم يتم
- ٧- كتاب السر المكشوف في مخاطبة الشمس والنجوم على طريقة من يعتقدهم وقد انكر السبكي صاحب الطبقات الشافعية ان يكون من مؤلفاته ، طبع
- ٨- شرح ديوان المتنبي (الوافي لصالح الدين ، جلد ٤ ص ٢٥٥) ،
- ٩- شرح ابيات الشافعي الاربعة التي اولها : وما شئت كان وان لم اشأ ، اظنه كتاب القضاء والقدر ، الوافي : جلد ٤ ، ص ٢٥٥
- ١٠- الاحكام العلائقية في الاعلام السماوية
- ١١- التخيير في علم التعبير
- ١٢- جامع العلوم فارسي ، طبع
- ١٣- جمل في الكلام
- ١٤- حدائق الانوار في حقايق الاسرار .

في الطب

- ١- شرح الكليات للقانون ، لم يذكر في كشف الظنون ، وفي طبقات الاطباء "لم يتم"

- ٢- الجامع الكبير ، لم يتم ، ويعرف بالطب الكبير ،
- ٣- كتاب النبض
- ٤- كتاب الاشرية
- ٥- مسائل في الطب ،
- ٦- نفثة المصدور ، لم يذكر في كشف الظنون ، هدية العارفين : نفثة الصدور
- ٧- كتاب التشريح من الفم الى الحلق ، لم يتم ،

في الطلسمات والعلوم الهندسية

- ١- السر المكنون ،
- ٢- كتاب في الرمل
- ٣- مصادرات اقليدس
- ٤- كتاب في الهندسة ،
- ٥- كتاب الفراسة ، حققه يوسف مراد نقله الى الفرنسية ، طبع بباريس سنة ١٩٣٩ م .

في التاريخ

- ١- كتاب فضائل الصحابة ، لم يذكره صاحب كشف الظنون ، و ذكر صاحب هدية العارفين باسم "فضائل الاصحاب"
- ٢- كتاب مناقب الشافعي ، نشرته المكتبة العلامة بجوار الازهر بمصر ،
- ٣- بحر الانساب .

فهرس الآيات القرآنية

- انهم لا يعصون الله ما امرهم ، ويخافون ربهم من فوقهم
 —(النحل : ٥٠ : التحريم : ٦)
- انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا أتجعل فيها
 —(البقرة—٣٠)
- يسبحون الليل والنهار لا يفترون
 —(الانباء (٢١) : ٢٠)
- اعلم ما لا تعلمون
 —(البقرة—٣٠)
- والله يدعوا الى دارالسلام
 —(يونس (١١) — ٢٥)
- جنات تجري من تحتها الانهار
 —(آل عمران (٣) — ١٥ ، ١٣٦ ، ١٩٨)
- (المائدة (٥) — ١٢٢)
- (البروج (٨٥) — ١٥)
- (الحديد (٥٧) — ١١)
- (البقرة—٢٥٥)
- الله لا اله الا هو الحى القيوم
 —(آل عمران (٣) — ٢)
- الله الغنى وانتم الفقراء
 —(محمد—٣٨)
- والمقسمات امرا والمدبرات امرا
 —(الذاريات (٥١) — ٤)
- ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
 —(الاعراف (٧) — ٢٠٥ — الانبياء (٢١) — ١٩)
- ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ،
 —(الحاقة (٦٩) — ١٧)
- وترى الملكة حافين من حول العرش يسبحون
 —(الزمر (٣٩) — ٧٥)
- بحمد ربهم
 —(البقرة—٢٥٥)
- وسع كرسيه السموات والارض ،
 —(المائدة (٥) — ٥٧)
- يحيهم ويحيونه —
 —(الواقعة (٥٦) — ١١ ، ٨٨)
- والسابقون السابقون ، اولئك المقربون ،
 —(الواقعة (٥٦) — ١١ ، ٨٨)
- فاما ان كان من المفريين
 —(الواقعة (٥٦) — ١١ ، ٨٨)
- ولا تحسبن الذى قتلوا فى سبيل الله اسواتا بل
 —(آل عمران (٣) — ١٦٩)
- احياء عند ربهم يرزقون فرحين

- النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، — (المؤمن (٤٠) — (٤٦)
- راغرقوا فادخلوا نارا ، — (نوح — ٢٥)
- اخرجوا انفسكم — (الانعام (٦) — ٩٣)
- يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية — (الفجر — ٢٧)
- اذا جاء احدكم الموت توفنه رسلنا وهم لا يفرطون — (الانعام — ٦١)
- ثم ردوا الى الله مولاهم الحق — (الانعام — ٦٢)
- ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين — (المؤمنون (٦٣) — ١٢)
- ثم جعلناه نطفه في قرار مكين — (المؤمنون — ١٣)
- ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر — (المؤمنون — ١٤)
- خلقنا الانسان — الدهر — ٢ ، الحجر (١٥)
- ولقد خلقنا الخ — (٢٦ —)
- قل الروح من امر ربي — (الاسراء (١٧) — ٨٥)
- فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، — الحجر (١٥) : ٢٩ ، ص (٣٨) — (٧٢)
- ونفس وما سواها ، فאלهمها فجورها و تقواها ، — (النفس (٩١) — ٧)
- انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبثليه فجعلناه سميعا بصيرا — (الدهر — ٢)
- ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم — (الحشر (٥٩) — ١٩)
- عمله الاسماء كلها — (البقرة — ٣١)
- قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك ، — (البقرة — ٩٧)
- وانه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك — (الشعراء — ١٩٣)
- ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او التى السمع و هو شهيد — (الزمر (٣٩) — ٢١ ، ق (٥٠) — ٣٧)

- اولم يسبروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون
 بها او آذان يسمعون بها — (الحج ٢٢) — (٤٦)
 لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم — (البقرة ٢٢٥ ، سائده ٩٢)
 لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
 — (الحج ٣٧)
 وحصل ما في الصدور — (العاديات ١٠٠) — (١٠)
 لهم قلوب لا يفقهون بها — (الاعراف ٧٨)
 لمن كان له قلب — (ق ٣٧)
 في قلوبهم مرض ، ختم الله على قلوبهم — (البقرة ٧)
 وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم — (البقرة ٨٨) — (النساء ١٥)
 يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم —
 — (التوبة ٦٥)
 كلا بل ران على قلوبهم — (المطففين ٤)
 افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها — (محمد ٢٤)
 فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
 — (الحج ٤٦)
 ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا
 — (الاسراء ٣٦)
 يعلم خائنة الاعين ، وما تخفى الصدور — (سومن ١٩)
 وجعل السمع والافئدة قليلا ما تشكرون — (النحل ١٦) — (٨٧)
 — (المؤمنون ٧٩)
 — (السجدة ٩)
 — (الملك ٢٣)
 ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم
 سمعا وابصارا و افئدة — (الاحقاف ٤٦) — (٢٦)
 فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء
 — (الاحقاف ٢٦)
 لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها
 — (الاعراف ٧) — (١٧٨)
 قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم — (المائدة ٤٤)

- و قال : الا من اكره و قلبه مطمئن بالايمان، — (النحل ١٦) — (١٠٦)
- ولما يدخل الايمان في قلوبكم — (الحجرات ٤٩) — (١٤)
- و قال فكتب في قلوبهم الايمان — (المجادلة ٥٨) — (٢٢)
- افرايت من اتخذ الهه هواه — (الفرقان ٤٣) —
- (الجاثية ٢٢) —
- كمثل الكلب — (الاعراف ٥) — (١٢)
- ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ،
- (النازعات ٤٠) —
- و فضل الله المجاهدين باموالهم و انفسهم على
- القاعدین درجة — (النساء ٩٤) —
- فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا نبدل لخلق الله
- (الروم ٣٠) —
- ايات الذم نحو قوله تعالى : لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
- عن ذكر الله ، و من يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
- (المنافقون ٩) —
- انما اموالكم و اولادكم فتنة — (الانفال ٨) — (٢٨)
- الهكم التكاثر — (التكاثر) —
- لانه ما جعل لرجل من قلوبين في جوفه ، — (الاحزاب ٢٣) — (٤)
- كما قال : ما عندكم ينفد وما عند الله باق ،
- (النحل ١٦) — (٩٦)
- والله الغنى و انتم الفقراء ، — (محمد ٣٨) —
- وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت ،
- فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
- واكن من الصالحين ، و لن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ،
- (المنافقون ١٠) — (١١)
- ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
- (الاسراء ٢٩) —
- و قال : والذين اذا انفقوا ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
- ذلك قواما ، — (الفرقان ٢٥) — (٦٧)

- ربنا اتمم لنا نورنا — (التحریم ٦٦) — (٨)
- ... واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، — (الشعراء ٢٦) — (٨٤)
- قال يوسف عليه السلام : اجعلنى على خزائن الارض
انى حفيظ عليم — (يوسف ٥٥)
- قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا
— (الكهف ١٨) — (١٠٤)
- قل بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ، — (يونس ١٠) — (٥٨)
- قال تعالى : ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم استجبتم لى ،
— (ابراهيم ١٤) — (٢٢)
- وما ارسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى ، التى الشيطان فى امنيه
— (الحج ٥١)
- ان هذا عدوك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ،
— (طه ١١٧)
- وقال موسى عليه السلام : من عمل الشيطان ،
— (المائدة ٩٣)
- وقال يوسف : نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ،
— (يوسف ١٠٠)
- وقال تعالى : يبنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة
— (الاعراف ٢٦)
- فلهاخذوا حذرهم ، واحذرهم واسلحتهم ، — (النساء ١٠١)
- وقال : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ،
— (الانفال ٦١)
- كما قال : ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ،
— (الاعراف ٢٠٠)
- وان تبدوا الصدقات فنعماهى ، وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ،
— (البقره ٢٧١)
- ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
— (النور ١٩)

فهرس اقوال النبى صلى الله عليه وسلم

و من قوله عليه السلام : انه من الملائكة قائمون لا يركعون و راكعون
لا يسجدون ص ٦

قال عليه السلام : انه ليغان على فلبى و انى لاستغفرالله فى اليوم
سبعين مرة ، ص ٦

صاحب الشرع ، فانه كان يقول : جأنى ملك البحار فقال كذا و كذا و
ملك الجبال و ملك الرعد و خازن الجنة ، و خازن النار ،

ص ١٧ ، ١٨

قال صاحب الشريعة عليه السلام : منهومان لا يشبعان طالب علم و
وطالب الدنيا ، ص ١٢٥

قوله عليه السلام : من عرف نفسه عرف ربه ، ص ٤٨

قوله عليه السلام : انبياء الله لا يموتون ، و لكن ينقلون من دار الى
دار ، ص ٤٨

وقال عليه السلام فى خطبة له طويلة : حتى اذا حمل الميت على
نعشه و فرقت روحه فوق النعش و يقول : يا اهلى و يا ولدى و
ذكر الحديث ، ص ٤٩

روى النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :
ألا و ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله و اذا
فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب و باقى الاعضاء تبع له ،

ص ٥٦

و بروى ان اسامة لما قتل الكافر الذى قال لا اله الا الله ، فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم لما انكر عليه قتله ، و اعتذر بانه قالها

٢٠٥

عن الخوف : فقال : الا شققت عن قلبه

ص ٥٧

(مسلم من حديث اسامة بن زيد)

وكان يقول عليه السلام : يا مقلب القلوب : ثبت قلبي على دينك ،

ص ٥٧

قال عليه السلام : ان الشيطان ليحجرى من ابن آدم مجرى الدم ، ص ٨٤

قال عليه السلام : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، ص ٨٦
(متفق عليه)

ص ٨٦

وقال : النفوس جنود مجنّدة ،

قال عليه السلام : تخلفوا باخلاق الله ايضا (رواه مالك) ص ١٨٤

و لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء
ص ١٠٧

ص ١٢١

اللهم احبني مسكينا واحشني في زمرة المساكين ،

وللهذا قال عليه السلام : اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ، ص ١٥٤

ص ١٦٥

سمى النبي عليه السلام : الرباء الشرك الاكبر ،

لقوله عليه السلام : ما ستر الله على عبده في الدنيا الا ستر عليه في الآخرة ،

ص ١٦٧

بما روى ان رجلا قال صمت الدهر با رسول الله قال ما صمت ولا

ص ١٦٩

افطرت ،

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول وراأت البارحة

ص ١٦٩

البقرة ، فقال ذلك حطه منها ،

ان رجلا قال يا رسول الله انني اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد ،

فاذا اطلع عليه احد سرفي ، فقال عليه السلام : اللهم لك أجران ، اجر

ص ١٧٠

السر واجر العلانية ،

بما روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه ، و قالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فيخطفنا الطير او تهوى بنا الريح الى مكان سحيق ، احب الينا من ان يتكلم به ، فقال عليه السلام ذلك صريح الايمان ، ص ١٧٣ ، ١٧٤

(مسلم ، مسند امام احمد)

وقال عليه السلام : انه ليغان على قلبي مع ان شيطاني قد اسلم ولا يامر الا بخير ، ص ١٧٧

ولقوله عليه السلام : من سن سنة حسنة فله اجرها و اجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ص ١٨٢

وقوله عليه السلام : من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ، ص ١٨٤

عدل خير من عبادة ستين سنة ، ص ١٨٨

وما من سلطان جائر شر من فسق ستين سنة ، ص ١٨٨

وقال عليه السلام : ما من والى عشرة الا جاء يوم القيمة ، مغلوله يده الى عنقه اطلقه عدله وانقه جوره ، ص ١٨٩

و من قول نبينا عيسى عليه السلام

عن عيسى عليه السلام انه قال : ان مهمات الدنيا لاتتم بالاصلاح والتكميل . و انما تتم بالترك والاعراض ، ص ١٠٧

في كتاب الله المنزلة

يا انسان ! أعرف نفسك تعرف ربك ، ص ٤٨

الاعلام

- ابراهيم التيمى : ١٨٨
- ابقراط و افلاطن : اسم كتاب لجاليينوس : ٧٤
- ابن مسعود رضه (عبدالله) : ١٦٩
- ابوعلى بن سبنا (الشيخ) : ٨٥
- ارسطو : ٥١ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٥ -
- اسامه رضه : ٥٧
- افلاطن : ٨٥
- جاليينوس : ٥١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٤ -
- الحارث المحاسبى : ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨ -
- على رضه بن ابى طالب : ١٢ ، ١٦٦ -
- عيسى ٤ -
- الغزالي : ١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٩ -
- موسى رضه : ١٧٧
- النخعى (ابراهيم) : ١٨٨
- النعمان رضه بن بشير : ٥٦
- يوسف ٤ : ١٧٧ -

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢	١٥	أياد	إياد
والجاشمية تحت (ج)		ليست بصحيفة ،	الأياد هو ما أيد به السئ -
٣٢	١	ردنا أن أ	أردنا أن
٣٣	١	الثفس	النفس
٣٧	١٦	الاء جزء	الاء جزء
٤٨	١٦	أعرف	إعرف
٥٠	٧	البرهانية	البرهانية
٥٨	٣	وتدبره	وتدبرها
٧٦	٢	الاقوة	إلا قوة
٨١	٦	بنور	بنور
٨٧	١٢	جوه	جوه
٩٦	٧	الحقيقة	الحقيقة
١٢٣	٨	اتنقل	انتقل
١٢٥	٩	ثحصيل	تحصيل
١٣١	١٣	قهو	فهو
١٣٥	٤	عن طبة العدم	عن طبيعة العدم
١٣٥	١٩	بدف و	فلا بد و
١٣٩	١٦	لكذب	يكذب
١٤٤	١٢	للذات	الذات
١٦١	٢	الترقيع	الترقيع

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١٦١	٣	اتباع	اتباع
١٧٢	٥	اسد	اشد
١٧٢	٦	اثناء	اثناء
١٧٣	١٢	مجهاله	مجا له
١٧٦	٥	النقس	النفس
١٧٧	٥	قوله	قوله
١٧٨	١٠	عل	على
١٧٨	١٥	لمجارية	لمجارية
١٨٢	١٦	حيرانه	حيرانه
١٨٢	١٩	القدوة	القدوة
١٨٣	١٨	الريا	الرياء
٤٧	١٧	يل	يل
٥٤	١٧ ٥ ١	أولم	أفلم
٥٥	١٥	جعل السمع	وجعل لكم السمع
٥٦	١١	تثبت	اولئك كتب
٨١	١٠	فاتبع	واتبع
٨١	١٧	وفد ل	فدل
١١٠	٨	انما	واعلموا انما
١١٣	٣	" لانه ما	لانه " ما
١١٧	آخر	اكون	اكن
١٢٤	٦	ولم يسرفوا	لم يسرفوا
١٣٧	١٢	وقد يمكنه	وفد (لا) يمكنه
١٣٨	٨	سه	له
١٥٢	١٢	موت باب	موت باب
١٦٥	١٢	الثوب	الثوب
١٧٦	١٠	استج بتم	فاستج بتم
١٧٧	١٥	غلياخذوا	ولياخذوا
١٨١	١٥	الصدقة	الصدقة (٦)

فهرس المحتويات

ب	...	مقدسة
ج	...	تمهيد
١٩١—١	...	نص الكتاب

كتاب النفس والروح و شرح قواهما (في علم الا'خلاق)

القسم الاول

٣	...	في الاصول الكلية لعلم الاخلاق
٣	...	الفصل الاول : في شرح مرتبة الانسان من مراتب الموجودات
٣	...	(١) التقسيم الاول : المخلوقات على اربعة اقسام
٣	...	الاول الذي له عقل وحكمة وليس له طبيعة ولا شهوة
٣	...	و هم الملائكة
٣	...	الثاني الذي ليس له عقل ولا حكمة وله طبيعة و شهوة
٣	...	و هو سائر الحيوانات ،
٣	...	الثالث الذي ليس له عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا
٣	...	شهوة ، و هي الجمادات والنبات ،
٣	...	الرابع و هو الذي يكون له عقل و حكمة و يكون له
٤	...	طبيعة و شهوة و هو الانسان
٥	...	معنى الشوق و بيان ان الشوق غير حاصل للملائكة
٨	...	مقام الشوق مقام شريف
٩	...	الملائكة آمنون عن التغيرات
٩	...	الحيوانات العجم لا تتألم باحوالها الموجودة
١٠	...	في بيان الحكمة في تخليق القسم الرابع و هو الانسان
١٠	...	تخليق البشر فانه يدل على كمال الجود والرحمة

- (٢) التقسيم الثاني : الموجود ، الخالق ، الدنيا ، الارواح
المشرية ، الآخرة ،
- (٣) التقسيم الثالث : كاملة ، ناقصة ، تارة كاملة و تارة ناقصة ،
- الفصل الثاني : في تقرير ما سلف بطريق آخر اقرب الى التحقيق ... ١٢
- الاقسام الاربعة : مؤثر و غير متأثر ، متأثر و غير مؤثر ،
- مؤثر و متأثر ، غير مؤثر و غير متأثر ،
- القسم الاول : ... ١٢
- القسم الثاني : ... ١٣
- القسم الثالث : ... ١٤
- الارواح ، مغيرات او مؤثرات ؟ ... ١٥
- الروحانيات درجات : ... ١٥
- العقول المحضة ... ١٦
- الارواح المتعاقبة بتدبير عالم الاجسام ... ١٦-١٧
- القسم الرابع ... ١٨
- الفصل الثالث : في بيان مراتب الارواح البشرية ... ١٩
- المحجوب لذاته : المكروه لذاته ... ٢٠
- المحجوب لذاته : اللذة والكمال ... ٢٠
- المكروه بالذات : الالم والنقصان ... ٢٠
- الكمال في الذات ... ٢١
- الكمال في الصفات ... ٢٢
- العلم والقدرة ... ٢٢
- النفوس على ثلثة اقسام : ... ٢٢
- السابقون—اصحاب الميمنة—اصحاب المشئمة ... ٢٦
- الفصل الرابع في البحث عن ماهية جوهر النفس ... ٢٧
- النفس واحدة العلم البدهي ، وبالبرهان — ... ٢٧
- الادراك والغضب و الشهوة صفات لذات واحدة ... ٢٨

- ٣٠ ... النفس ليس هذا البدن ،
- ٣٣ ... الحجّة الاولى
- ٣٣ ... الحجّة الثانية
- ٣٤ ... الحجّة الثالثة
- ٣٧ ... الحجّة الرابعة
- ٤٠ ... الحجّة الخامسة
- ٤٠ ... الحجّة السادسة
- ٤٠ ... احوال النفس متضادة لاحوال الجسم
- الفصل الخامس في الدلائل المستفادة من الكتاب الالهى في اثبات
- ٤٣ ... ان النفس شىء غير الجسد
- ٤٣ ... الحجّة الاولى : الشىء المشار اليه هو الانسان
- ٤٤ ... الحجّة الثانية : النفس شىء مغاير لهذا الجسد
- ٤٥ ... الحجّة الثالثة : مراتب الخلقة الجسمانية
- ٤٦ ... الحجّة الرابعة : التمييز بين عالم الارواح وعالم الاجساد
- ٤٦ ... الحجّة الخامسة : التسوية و نفخ الروح
- ٤٦ ... الحجّة السادسة : النفس الموصوف بالادراك و التحريك
- ٤٨ ... الحجّة السابعة : الشكل المشاهد لا ينسى
- ٤٨ ... الحجّة الثامنة : من عرف نفسه عرف ربه
- ٤٨ ... الحجّة التاسعة : الاحاديث في صفات الانسان
- ٤٩ ... الحجّة العاشرة : جعل الانسان خليفة
- ٥٠ ... النفس بالمعنى الاول ، النفس بالمعنى الثانى
- ٥١ ... الفصل السادس في ان المتعلق بجوهر النفس هو القلب
- ٥٢ ... الدلائل القرآنية
- ٥٢ ... الحجّة الاولى على ان التنزيل والوحى كانا على القلب
- ٥٢ ... الحجّة الثانية على ان محل الذكر والفهم هو القلب

- الحجة الثالثة استحقاق الجزء ليس الا على ما في
 ٥٤ ... القلب من السعى والطلب
- الحجة الرابعة محل العقل هو القلب
 ٥٤ ...
- الحجة الخامسة السؤال عن القواد
 ٥٥ ...
- الحجة السادسة اضافة الايمان الى القلب
 ٥٦ ...
- الدلائل العقلية : المقدمة الاولى في الرد على القائلين
 بتعدد النفس
 ٥٧ ...
- المقدمة الثانية ، العضو الرئيس هو القلب
 ٥٨ ...
- الحجة الاولى : القلب اول الاعضاء نكون
 ٥٩ ...
- الحجة الثانية : في اثبات ان الفهم والادراك والعلم
 من ناحية القلب
 ٦٠ ...
- الحجة الثالثة : النفس حساسة ومتحركة بالارادة
 ٦٠ ...
- الحجة الرابعة : الحس والتحرك يحصلان بالحرارة
 ٦١ ...
- الحجة الخامسة : المشار اليه "بأنا" الحاصل في القلب
 ٦١ ...
- الحجة السادسة : اظهر آثار النفس الناطقة النطق
 ٦١ ...
- الحجة السابعة : القلب في موضع وسط من البدن
 ٦٢ ...
- الحجة الثامنة : صفة القلب : الذكاء والبلادة
 ٦٣ ...
- حجج جالينوس على ان معدن الادراك والفهم
 هو الدماغ
 ٦٣ ...
- الحجة الاولى : الدماغ مثبت الاعصاب
 ٦٣ ...
- الحجة الثانية : قوة الحس والحركة تجري من
 الدماغ الى القاب
 ٦٤ ...
- الحجة الثالثة : الروح هو الحاصل لقوى الحس والحركة
 ٦٤ ...
- الحجة الرابعة : العقل اشرف القوى
 ٦٥ ...
- الجواب عن حجته الاولى من وجوه
 ٦٦ ...
- الاول لا نسلم ان مثبت العصب هو الدماغ
 ٦٦ ...
- الثاني انه لا نزاع ان القلب مثبت الشرائين
 ٦٧ ...

- ٦٧ ... الثالث الاعصاب انما تولدت من الشرائين
- ٦٨ ... جواب جالينوس عن هذا الكلام من وجهين:
- ٦٩ ... الاول : الاعصاب ليست من جنس الشرائين :
- الثاني : الشريان المتولد من القلب ينقسم الى قسمين
- ٧٠ ...
- ٧٠ ... جواب اصحاب ارسطاطاليس
- ٧١ ... حجة اصحاب ارسطو على ان منبت العصب هو القلب
- ٧٢ ... جواب جالينوس
- ٧٢ ... رد اصحاب ارسطاطاليس
- ٧٣ ... النوع الثاني من الجواب عن شبهة جالينوس
- ٧٤ ... الفصل السابع : في شرح قوى النفس
- ٧٤ ... النفس الانسانية لها قوى نباتية ، قوى حيوانية وقوى انسانية
- ٧٥ ... القوى النباتية : القوة الغذائية ولها قوة جاذبة ، قوة ماسكة ...
- قوة متصرفة ، قوة دافعة ، قوة متحملة والقوة النامية والقوة المولدة
- ٧٦ ... القوى الحيوانية : محركة ، مدركة
- ٧٦ ... القوة المحركة : المباشرة والباعثة
- الباعثة لها مراتب : ارادة جازمة ، شوق جازم ، وشعور مختلف او فكري
- ٧٦ ... القوى المدركة : الظاهرة وهي الحواس الخمس
- الباطنة هي الحس المشترك ، الوهم ، الخيال ، الحافظة والمتصرفة المفكرة ،
- ٧٧ ... القوى الانسانية : نظرية وعلمية
- ٧٨ ... الفصل الثامن — في بحث يتعلق بالالفاظ والعبارات
- ٧٨ ... النفس — العقل — الروح — القلب

الفصل التاسع — في نسبة هذه القوى الى جوهر النفس
تفسير الاُمثلة في هذا الباب

(١) جوهر النفس كالمملك والبدن مملكته

حصول الصورة المجردة في النفس — الصورة بدئية

— ونظرية — ٧٩ ...

(٢) القلب في البدن كالوالى — قواه بمنزلة المملك —

القوة المفكرة كالمشير — الشهوة كالعبيد —

الغضب كصاحب الشرطة ٨٠ ...

(٣) البدن كالمدينة — النفس الناطقة كالمملك — الحواس

كالجنود ، الاعضاء كالرعية — الشهوة والغضب

كالاعداء ٨١ ...

(٤) النفس الناطقة مثل فارس ٨١ ...

(٥) نسبة بدنك نسبة الدار الكاملة ٨٢ ...

النفس الناطقة في الدار كالمملك ٨٣ ...

تدبير المملكة مفوض الى ثلاثة من الرؤساء : ٨٣ ...

١- الشهوة - ٢- الغضب - ٣- القوة النفسانية ... ٨٣

الفصل العاشر : النفس الناطقة ، هل هي متحدة بالنوع او مختلفة ٨٥ ...

اقوال الفلاسفة ٨٥ ...

الاقوال النبوية ٨٦ ...

الحجة على تماثل النفوس البشرية ٨٧ ...

الفصل الحادى عشر : الذات العقلية اشرف و اكمل من الذات

الحسية : ٨٨ ...

الحجة الاولى — سعادة الانسان غير متعلقة بالشهوة

والغضب ٨٨ ...

الحجة الثانية — سبب حصول السعادة والكمال ٨٩ ...

الحجة الثالثة — الذات الحسية ليست بسعادة الانسان ٨٩

الحجة الرابعة — الذات الحسية في الحقيقة تدفع الالام ٩٠

الحجة الخامسة — الانسان اشرف من الحيوان ولا

٩١ ... تساوى في افعالهما —

الحجة السادسة — بهجة الملائكة اشرف من بهجة

٩٢ ... الحيوانات

معنى "الكمال لاجل حصول الالهية" و

٩٢ ... "التخلق"

الحجة السابعة — سعادة لانسان في محصيل اللذات

٩٣ ... المباحات بقدر الضروية والاجتناب عن المحرمات ...

الحجة الثامنة — لا يستحيا من اظهار ما هو كمال و

٩٣ ... سعادة

الحجة التاسعة — الاكل والشرب لا يزيدان القيمة

٩٤ ... الحجة العاشرة — سكان اطراف الارض في غاية العسة

٩٤ ... والدناءة

الفصل الثاني عشر — في شرح نقصان اللذات الحسية

٩٦ ... وجوه كون الدنيا مذمومة لذاتها :

١ — اللذات ليست في شئ من السعادات والكمالات

٩٧ ... ٢ — اللذة والطلب على قدر الحاجة

٩٧ ... ٣ — الا لتذاذ في حال الحدوث فقط

٩٨ ... ٤ — اللذات عند زوال الحاجة تصير كلا ووبالا

٩٨ ... ٥ — الاشياء لاتزال توصف بصفات

٩٨ ... ٦ — اللذات الجسدانية تنا في معنى الانسانية

٩٩ ... ٧ — اصل احوال الانسان اشتغاله بمعرفة الله تعالى

٩٩ ... — وجوه كون الدنيا مذمومة لامور لازمة لها كثيرة : ...

٩٩ ... ١ — الدنيا سريعة الزوال

١٠٠ ... ٢ — لذات الدنيا غير خالصة

١٠٠ ... — وجوه ترجيح الانسان للآلام والخسران

١٠٠ ... ١ — الضرر سار في سائر الازمنة الثلاثة

- ٢- عادة الانسان ان يلتذ بطلب المعلوم
١٠٢ ... موجبات استيلاء الغم على الانسان :
- الف- نظر الانسان في اى واحد من الاربعة يوجب الغم ... ١٠٢
ب- لاختلاط بالناس والانفراد عنهم سبب للغم والحزن ... ١٠٢
ج- اما ان يكون اكمل من غيره ، مساويا له او انقص منه
لا ينفك من الغم والحسرة ... ١٠٣
د- للانسان عقل يهديه وهوى يرديه ، والعقل ضعف من
الهوى ، فبقاؤه ، في الغم والحسرة هو الغالب الراجح- ... ١٠٤
هـ- درجات السعادة غير متناهية ، وتحصيل مالا نهاية له
محال ... ١٠٧
- ٣- الغالب ان الانسان في نفسه الخ
١٠٨ ... ٤- لا نهاية للذات الجسمانية ،

القسم الثاني من الكتاب

- ١٠٩ ... في علاج ما يتعلق بالشهوة — وفيه فصول
- الفصل الاول : في حب المال ... ١١٠
الفصل الثاني : في انه كيف يتوصل بالمال الى اكتساب السعادة
الروحانية ... ١١١
- الفصل الثالث : في الحرص والبخل ... ١١٣
علاج البخل بطريق العلم ... ١١٤
- (١) — تقليل الحاجات ... ١١٤
(٢) — التأمل في الآيات والاحاديث في ذم البخل ... ١١٤
(٣) — التأمل في احوال البخلاء ... ١١٤
(٤) — التأمل في المال ... ١١٥
(٥) — المغالغة في امساك المال ... ١١٥
(٦) — العجز عن الانفاق ... ١١٥
(٧) — انما يبقى من ماله الذم في الدنيا والعقاب في
الآخرة — ... ١١٥

- (٨) — الشركاء في صفة البخل ١١٦ ...
- (٩) — البخلاء يكونون ابدا في الضيق والضعف ١١٦...
- (١٠) — السخى ممدوح و محمود عن الكافة و البخيل ١١٦ ...
- مبغوض ١١٦ ...
- (١١) — الفرحة للسخى و ضد الفرحة للبخيل ١١٧ ...
- (١٢) — يتمنى البخيل ايصال الخيرات الى الناس عند ١١٧ ...
- قرب الموت ١١٧ ...
- (١٣) — لا نهاية لمراتب الاموال ١١٨ ...
- (١٤) — السعى في طلب المال ممكن عند الاسعانة بالغير ١١٨ ...
- (١٥) — اعتياد التنعم بكثرة المال ١١٩ ...
- (١٦) — الاستحضار في ذمته ان المال لا فائدة فيه الخ ١١٩ ...
- (١٧) — الصرف الى وجوه الخيرات — ١١٩ ...
- (١٨) — المواظبة على القناعة ١١٩ ...
- (١٩) — رزقه المقدر ١٢٠ ...
- (٢٠) — المتجرد عن المال يكتسب كمالات النفس ١٢٠ ...
- (٢١) — الاموال اعداء لله ولاولياؤه ١٢٠ ...
- (٢٢) — من كان ماله اكثر ، احبابه اكثر و مصائبه ١٢١ ...
- اكثر ١٢١ ...
- الفصل الرابع : علاج البخل بطريق العمل ١٢١ ...
- (١) — مجالسة الفقراء ١٢١ ...
- (٢) — الميل الى اختيار المحاسن والمجاهد ١٢١ ...
- (٣) — البعد عن المال بالانفاق — ١٢٢ ...
- (٤) — لطايف الحيل ١٢٢ ...
- (٥) — اتباع استاذ متفق ١٢٣ ...
- الفصل الخامس في حقيقة البخل والجود ١٢٤ ...
- ١ — الاستقبح بسبب الفاعل ١٢٤ ...

- ٢ — الاستقباح بسبب المضاف اليه ١٢٤ ...
- ٣ — المضائق — ١٢٥ ...
- ٤ — الاستقباح المتعلق بالوقت ١٢٥ ...
- الفصل السادس في السخى ١٢٦ ...
- الفصل السابع : الكلام في الجاه ١٢٧ ...
- السبب الموجب لحب الجاه ١٢٧ ...
- الموجب لحب المال والجاه اثنان ١٢٩ ...
- ١ — لانهاية لحب المال ١٢٩ ...
- ٢ — ملك المال و ملك القلوب قدرة والقدرة كمال ١٢٩ ...
- الفصل الثامن : في بيان الكمالات الحقيقية والوهمية — ١٣١ ...
- كمال الصفات في العلم والقدرة ١٣١ ...
- المعلومات قسمان : متغيرات وازليات ١٣٢ ...
- المعلومات الباقية ١٣٢ ...
- العلوم المتعلقة بالمعلومات المتغيرة ١٣٣ ...
- كمال الذات يحصل عند التفرد والوحدانية فقط ١٣٣ ...
- النقد على ما قيل في علاج حب المال : ١٣٤ ...
- الفصل التاسع — طلب الجاه واجب ، مندوب ، مباح ، مكروه و ١٣٥ ...
- حرام ١٣٥ ...
- الفصل العاشر — السبب في حب المدح و بغض المهجو ١٣٨ ...
- الفصل الحادى عشر — في علاج حب الجاه ١٤١ ...
- الفصل الثانى عشر — العلاجات العملية ١٤٧ ...
- الفصل الثالث عشر — بيان العلاج لكراهة الذم ١٤٩ ...
- الفصل الرابع عشر — بيان اختلاف الناس في احوال المدح و الذم ١٥٥ ...
- بيان حركات المدح ١٥٧ ...
- الفصل الخامس عشر — الكلام في الريا واحكامه ١٥٩ ...
- ١ — الرياء باظهار النحول ١٦٠ ...

١٦٠ ...	٢ - الرياء بالمهيئة والزى
١٦١ ...	٣ - الرياء بالقول
١٦١ ...	٤ - الرياء بالعمل
١٦١ ...	٥ - المرايا بالاصحاب
١٦٣ ...	بيان درجات اهل الرياء في الرياء
١٦٥ ...	الفصل السادس عشر - بيان الرياء الخفى
	لفصل السابع عشر - بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى و الجلى
١٦٨ ...	وما لا يحبط -
١٦٨ ...	١ - الرياء بعد انقضاء العمل على وجهين
١٦٩ ...	٢ - الرياء في اثناء العمل على ثلاثة انواع
١٧٢ ...	٣ - الرياء في اول حد الشروع في العبادة على قسمين
١٧٣ ...	مسئلة من يبغض حب الرياء ولكن قلبه مائل الى الرياء
١٧٤ ...	مسئلة الاشتغال بمحاربة الشيطان
١٧٦ ...	قال قوم "لا بد من الجحذ من الشيطان"
١٧٨ ...	قول المحققين
١٨١ ...	الفصل الثامن عشر - بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات
١٨٣ ...	وعلاوة الفرق في هذا الباب
١٨٤ ...	الفصل التاسع عشر - بيان الرخصة في كتمان الذنوب
١٨٥ ...	الفصل العشرون - بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء -
١٨٥ ...	الطاعات قسمان :
١٨٥ ...	القسم الاول : الطاعات البدنية
١٨٨ ...	القسم الثانى : ما يتعلق بالخلق ، واعظمها الخلافة ،
١٨٩ ...	الوعظ ، والفتوى ،
	والتدريس
١٩٣ ...	ضميمة في مؤلفات الامام الرازى
٢٠٧-٢٠٠٠٠٠	فهارس
٢٠٨ ...	جدول الخطأ والصواب
٢٠٩ ...	فهرس المحتويات

